الجمهوريه الجزائريه الديمقراطيه الشعبيه

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة -

الرقم الترتيبي: .....

رقم التسجيل: .....

كلية الآداب و الحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية .

شعبة اللغة العربية و الدراسات القرآنية

ألفـــاظ مـــن القامـــوس القرآنـــي فـــي إليـــاذة الجزائـــر لمفـــدي زكريـــا دراســـة دلاليـــة

بحـث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلـوم فـي اللغـة العربيـة

إعداد الطالب

بلقاسم بن موناح

إشراف الأستاذ الدكتور

رابح دوب

السادة أعضاء لجنة المناقشة

أ . د محمد العيد تاورتة	جامعة منتوري – قسنطينة -	رئيسا
أ . د : رابح دوب	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة -	مشرفا و مقررا
د . محمد حجازي	جامعة باتنة	عضوا
د . خليفة بوجادي	جامعة سطيف	عضوا
د . أمال لواتي	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة -	عضوا

السنة الدراسية: 1432 / 1433هـ - 2011 / 2012 م

الإهداء

إلى أرواح أمي و أبي وزوج أختي

إلى بناتي وزوجتي

إلى أخواتي وإخوتي

إلى شوقي عبريط

أنيس غربتي

و إلى كل أحبتي

أهدي ثمرة رحلتي

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعد الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي من أكبر الثورات العالمية أهمية لما كان لها من بعيد الصّدى على المستويين المحلي و العالمي، و قد كان لكل هذا دور في تحريك قرائح شعرائها و أدبائها ليدلي كل بدلوه في الإشادة بمآثر هذه الثورة ورجالها.

ومن هؤلاء الشاعر مفدي زكريا آل الشيخ الذي عرفت ـ أكثر ـ به الثورة، وعرف بها حتى اشتهر بـ « شاعر الثورة»، و ذلك لوفرة ما كتب حولها و حول نضال الشعب الجزائري من أشعار و مقالات منها ما وصل إلينا و منها الذي لا يزال في طيّ المغيب،ومن أبرز ما وصل إلينا من أشعاره مدونته المعروفة بـ « إلياذة الجزائر».

فإن قيل بأنها تضم موضوعات كثيرة ومتنوعة لا تقتصر فقط على الجانب الثوري!نقول: هذا صواب، وإنه لمن أهم الأسباب التي جعلتنا نختارها دون غيرها، و سنأتي إلى ذلك لاحقا.

قلت: لعلّ من أشهر ما وصلنا من ذلك هذه الإلياذة التي تعد أكبر محضن يشتمل – مع غيره– على أكبر قدرمن الألفاظ و العبارات القرآنية.

فإن قيل: ولمَ هي تحديدا إذن؟ نقول:بأنّ في الإجابة عن ذلك أيضا أحد أبرز الدواعي التي جعلتنا نختارها دون غيرها، وسنأتي إلى ذلك. إذن فموضوع الدراسة هو حول الإلياذة، وبالتحديد حول ظاهرة التناصّ من القرآن الكريم وما ينطوي عليه ذلك من دلالات .

وعليه فلعل أول ما يخطر بلدّهن من تساؤلات إنّما ينصب حول أهم الدّوافع التي جعلت الشاعر يعمد إلى هذا الكم من الألفاظ و العبارات.

فكم هو حجم هذا الاستعمال؟ و عَلامَ ينم ذلك؟ و إلى أيّ حد؟ و في أي مجال؟ و ما الدلالات التي تنطوي تحت استعمال هذه الشواهد من منظور الشاعر؟ و كيف؟ و على أي مستوى؟ ثم هل هناك فرق بين مدلول الألفاظ المفردة و مدلول التراكيب الإسنادية؟ و كيف؟ وهل هناك أقسام يمكن أن تنقسم إليها كلٌ من هذه الألفاظ أو تلك التراكيب؟ و كيف؟ ثم ما عساه يكون المستوى الأنسب (من مستويات التحليل الدلالي) لدراسة كلّ من هذه الألفاظ وتلك المركبات؟ و كيف؟ و هل يشترط ـ في هذا الموضوع تحديدا ـ الالتزام بكل ما هو معترف به من دوران الدّراسة الدلالية في دائرة (الصوت – الصرف – النحو – الدلالة)؟ أم قد يمكن الاستغناء عن بعضها؟ أو تضمين بعضها لبعض؟ و كيف؟

و بالنسبة للألفاظ المفردة، فهل يشترط الالتزام بكل ما يتعلق بها (من جمود و اشتقاق ـ تذكيروتأنيث ـ تعريف و تنكير ـ إفراد و تثنية و جمع – إعراب و بناء ـ صحة واعتلال ـ

ماض ومضارع و أمر؟)أم أنّ طبيعة المدونة تقتضي العمل ببعضها و تسوّغ الاستغناء عن بعض؟

وإذا كان المعروف أن الألفاظ المفردة تدرس من هذه الجوانب التي ذكرنا، فهل التزم الشاعر - في توظيفه لها - بالخصائص العامة لها؟ أم أنه قد خرج عن الأطر الدلالية لها إلى أشياء أخرى؟ و ما عساها تكون؟

وبالنسبة للمركبات فهل يشترط الالتزام بكل ما يتعلق بها (من تقديم وتأخير، و حذف و زيادة، و قصر، ووصل و فصل، و إعراب اللفظ و إعراب المعنى؟)أم أنّ طبيعة المدوّنة تقتضي - كذلك - العمل ببعضها دون الآخر؟ وإذا كان المعلوم أنّ النص الأصلي قد ورد لمعنى معين بمراعاة ما قُدّم فيه و ما أُخّر، و ما حذف و ما زيد، و ما وظف في حالة إعرابية ما دون أخرى، فهل التزم الشاعر بهذه الأشياء ؟ أم أنه خرج عنها بحذف وزيادة وتغيير إعراب وتقديم وتأخير؟ ولماذا؟

وإذا كان الأمر كذلك (سواء في الألفاظ المفردة أو في المركبات) فما عساها تكون الدلالات المنبثقة من كل هذه التغييرات الصرفية ، والتحويرات النحوية ؟.

كل هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث الذي دفعتنا إلى اختياره أسباب كثيرة ومتداخلة نجملها في الإجابة عن السؤالين الآتيين:

1- لماذا اختيار مفدي دون غيره ؟ والإجابة عن ذلك تكمن في أنه:

أ- لما طغت صفة (شاعر الثورة) عليه ، مع العلمبأن شعره ليس فكرة مجرّدة، بقدر ماهو - أيضا - جوهرة لغوية فنية نادرة حاولنا التركيزعلى هذا الشعر- الإليازة تحديدا - من جانبه اللغوي للتأكيد بأنه ليس شاعر الثورة فحسب، بل شاعر الفن واللغة العربية بمختلف علومها كالصرف و النحو، و سيأتي بيان ذلك .

ب- ارتكاز جهود بعض الدارسين للأدب الجزائري وللشعر خصوصا، على شعراء دون آخرين كمفدي زكرياء تحديدا، هذا الذي سمّاه بعضهم شاعر الثورة، وأسقطه آخرون حتى من مجرد ذكر اسمه في قائمة شعراء الجزائر، بله الحديث عن شعره، أو عن هذه الإليازة التي لأهميتها الحضارية والتاريخية ترجمها بعضهم إلى غير اللغة العربية.

2- لماذا اختيار الإليازة دون غيرها ؟ والجواب عن ذلك يكمن في الآتي:

أ- انصباب جل دراسات المهتمين بشعر مفدي حول غيرها من نتاجاته حتى إنك لا تكاد تعثر على شاهد لها في بعض المؤلفات التي تعنى بشعره رغم أنها ـ كما ذكرنا ـ جوهرة فنية رائعة ،بخلاف ما نجده في (اللهب المقدس) على سبيل الذكر، هذا الذي اهتم فيه الشاعر بالفكرة (الثورة) أكثر من غيرها، وإن شئت فارجع إلى المؤلف ذاته واقرأ ما كتبه الشاعر نفسه عن ذلك في مقدمة الكتاب، وبالتحديد في الصفحة الرابعة (من الطبعة التي اتخذناها مرجعا).

هذا، وإذا ما وجدت شواهد عن الإلياذة فلن تكون إلا بنسبة ضئيلة جدّا ، إلا ما خُصّص منها للحديث عن الإلياذة من أولها إلى آخرها، وهي بدورها قليلة، ممّا جعلنا نعتمد عليها بشكل كبير ، فوجدنا بدورنا بعض الصعوبة نرجئ الحديث عنها حتى حين.

ب- إن الإلياذة ـ كما ذكرنا ـ متعددة الموضوعات، ما يعني التنوع الفني والإبداعي، ما يعني التنوع في اختيار الألفاظ، فإذا كانت الألفاظ المختارة في سياق الحديث عن الحرب (الثورة) لا يكاد يتجاوز عدد السور القرآنية المقتبس منها الثلاثة أو الأربعة أو ربما حتى العشرة (كالأنفال والتوبة والقتال)، فإن التي تختار في سياق الحديث عن كل الموضوعات(العقائد، العبادات، التشريعات، الأخلاق، القصص، الثورة، الطبيعة، السياسة، الاجتماع) ستتجاوز ـ بالضرورة ـ حدود السور المذكورة لتشمل غيرها من سور القرآن الكريم، وهي كثيرة.

وقد عمل الشاعر – فعلا –بذلك حيث قد تجاوز عدد السور التي اتخذها مرجعا له في تناصّه الخمسين سورة، علما بأن سور القرآن الكريم كلها تبلغ ـ كما هو معروف ـ مائة وأربع عشرة سورة.

وعلى ضوء كل هذا فقد وجدتني منشرح الصدر منعقد العزم شديد الرغبة في البحث في هذا الموضوع الذي وسمته ب:

ألفاظ من القاموس القرآني في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا

دراسة دلالية

هذا الذي نتوخى منه أهمية قد تتجلى بدءا، وبشكل ملموس من خلال أهمية النص المرجعي الأساسي لدى الشاعر، وهو القرآن الكريم.

إن التناص ـ أوالاقتباس ـ أمر ـ يقصد في الغالب ـ لأغراض لفظية، أو موضوعية لتعزيز رأي أو لنصرة مذهب، اعتقادا بأهمية المرجع وقداسته لدى المبدع .

وبصرف النظرعن الفروق الدلالية الدقيقة بين اللفظتين، فالأولى بالحديث هو عن الأهمية التي أضفاهاعلى المدونة فجعل لها طابعا مميزا، وأورد حولها وحول صاحبها كثيرا من النقاشات والجدالات، والانحيازات، وعليه، فإن الأهمية التي نراها لهذا البحث تتجلى في الآتي:

1_ إن الشاعر بكثرة استعماله لهذه الألفاظ يكون قد نبهنا للعودة إليها في معينها الأول للوقوف على دقيق معناها ومكنون أسرارها مستعملة في هذا المصدر، مع الإفادة من ذلك في مختلف ميادين حياتنا الدينية والفكرية والعلمية والسلوكية، واللغوية على وجه التحديد .

2- النظر في مواضع توظيف الشاعر لهذه الألفاظ للكشف عمّا انطوى عليه هذا الاستعمال من دلالات وفوائد متنوعة.

وبالمختصر، فإذا كان الاقتباس ـ في عمومه ـ يهدف ـ من بين ما يهدف ـ إلى إضفاء اللمسة الجمالية على النص، أو إعطاء الشرعية للموضوع، فإن الاقتباس من القرآن الكريم، لابد أن يتجاوز كل ذلك بمزيد الحيطة والحذر.

وعليه فما نرجو تحقيقه من أهداف لهذا البحث نجمله في هذين القسمين: (أهداف خاصة وأخرى عامة).

1- فأما الخاصة فنذكر منها:

أ- تسليط الضوء على مظهر من مظاهر التراث الأدبي الذي تزخر به الجزائر.

ب- الكشف عن جوانب أساسية في شخصية الشاعر مفدي زكريا، وخاصة الجانب العلمي اللغوي على وجه الخصوص.

ت- الكشف عن الكلية العامة التي تدور في محورها مجمل هذه الاقتباسات .

ث- البحث عن الحيّز العلمي اللغوي الذي تُصنّف الإلياذة في إطاره (القيمة اللغوية الصرفية والنحوية).

2- وأما العامة فنذكر منها:

أ – التنبيه إلى فضل أسلوب القرآن الكريم ولغته في إطلاق اللسان العربي، وتخصيب الخيال الشعري، وإثراء القاموس اللغوي في مختلف مجالات الحياة.

ب- التنبيه إلى وجوب الحيطة والحذر عند القيام بتوظيف ألفاظ القرآن الكريم و تراكيبه، حتى لا يُعبّر ببعضها فيما يشذ عن العرف الاجتماعي المختزن في الضمير الجمعي لأمة الإسلام.

ت – الإسهام في خدمة اللغة العربية من خلال التشجيع للبحث في الدراسات الدلالية التطبيقية للنصوص الأدبية اعتمادا على آليات القراءة الحديثة، مع الأخذ بعين الاعتبار الجوانب التأصيلية التأسيسية اللاّزمة.

هذا، و من طبيعة العنوان الذي وسمت به دراستي ارتأيت أن أعتمد فيها على المنهج التحليلي، ذلك لأن علم الدلالة هو علم قائم أساسا على دراسة المعنى، و الذي نعنيه- في بحثنا - هو دراسة دلالات الألفاظ باعتبارها من الرموز، و ليس المراد دراسة المعاني الخاصة بها(المعاني المعجمية)، و إنما دلالاتها سواء كانت مفردة أو في إطار تركيب، فأما المفردة فتدرس من جانبها البنيوي الصرفي، و أما المركبات فمن جانبها البنيوي النّحوي، انطلاقا من الدلالات الأصلية في النصوص المرجعية لها (القرآن الكريم)، وعليه فينبغي الإقرار بالتجائنا إلى شيء من المنهج المقارن لاعتبار عرض الدلالة التي يريدها الشاعر على وجه الحكمة الدلالية المتضمنة في النصوص الأصلية، مع التركيز على الدلالات الإلياذية بعدّها موضوع الدراسة الأساسي.

إذن ولأجل كل هذا فقد رجحت أن أقسم البحث إلى مقدمة ومدخل مطول وأربعة فصول وخاتمة.

أما المدخل فذكرت فيه الآتي:

- تعريف بفن الإلياذة.
- ترجمة موجزة للشاعر.
- ترجمة مختصرة للإلياذة.
- دراسة أدبية موجزة لها.
- ملامح شخصية الشاعر (من خلال الإلياذة).
- القيمة الأدبية والحضارية لها.
- الخصائص العامة لها .

وأما الفصل الأول فقد جعلته بعنوان:

البنى الصرفية للأفعال القرآنية المفردة ـ دراسة دلالية ـ.

وقد قسمته إلى أربعة مباحث، تحدثت في الأول عن الأفعال من حيث التجرد والزيادة مع الإشارة إلى الجوانب الدلالية، ثم في الثاني عن الأبنية ودلالاتها الزمانية، ثم عن التذكير والتأنيث في المبحث الثالث، وفي الأخير عن الإفراد والجمع.

أما الفصل الثاني فقد جعلته بعنوان:

البنى الصرفية للأسماء القرآنية المفردة ـ دراسة دلالية ـ .

وقد قمت بتقسيمه كذلك إلى أربعة مباحث، تحدثت في الأول عن الأسماء من حيث الجمود والاشتقاق، وفي الثاني عن التعريف والتنكير، ثم عن التذكير والتأنيث في الثالث، وفي الأخير عن الإفراد والجمع (دون التثنية) في هذا المبحث، وكذا المبحث الرابع من الفصل السابق لانعدام شواهدها كألفاظ قرآنية في الإلياذة، أو لغير ما جعلت له في القرآن الكريم.

و أما الفصل الثالث، فقد جعلته بعنوان:

المركبات الإسنادية الفعلية ـ دراسة دلالية ـ.

و قد قسمته إلى ثلاثة مباحث، تحدثت في الأول عن الحذف و الزيادة، و تناولت في الثاني المواقع النحوية و معانيها لأختمه في الثالث بالحديث عن ظاهرة التقديم و التأخير، و ما يستوحى من كل ذلك من الدلالات.

و أما الفصل الأخير، فقد جعلته بعنوان:

المركّبات الإسنادية الاسمية ـ دراسة دلالية ـ.

و قمت بتقسيمه ـ كما الثالث – إلى ثلاثة مباحث، تناولت في الأول الحذف و الزيادة، و في الثاني المواقع النحوية و معانيها، و في الثالث التقديم و التأخير.

أما الخاتمة فقد أجملت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، ثم وضعت فهرسا للآيات القرآنية الكريمة ، وفهرسا للمراجع، وفهرسا آخر للموضوعات المتناولة.

وقد اجتمعت عَلَيّ جملة من العراقيل من مختلف المشارب والاتجاهات لِتوهنَ من عزيمتي و تُسلمني راية الرضوخ لاستفزازات الأيام، وهذه بعضها:

ـ ندرة المراجع التي تتناول النصوص الأدبية بالدراسة الدلالية من المنظور الحديث.

ـ حينما وضعت – في البدء – قائمة عريضة باسم المراجع التي تتحدث عن الثورة الجزائرية و الشعراء الجزائريين و جدت أنها كثيرة جدّا، و لكن سرعان ما فوجئت بأنّ كثيرامنها لا

يتحدث عن الشاعر مفدي زكريا، و أكثر من تحدث عنه لم يشر إلى كامل أشعاره بشكل واف خصوصا الإلياذة، و الذين تحدثوا عنها أكثرما ذكروه كان عن الجوانب الأدبية فيها دون الجوانب اللغوية، بله الحديث عن الجوانب الدلالية إلا ما يندر.

ـ بالإضافة إلى ظروف متفرقة و قاهرة لا أظنني أنفرد بها دون أغلب الباحثين و طلاب العلم.

وأخيرا فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الوافي إلى كلّ من أعانني في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد، و أخص بالذكر منهم الأستاذ الدّكتور: رابح دوب ، أستاذي في مرحلة الليسانس، و مشرفي على رسالة الماجستير، و أستاذي و مشرفي على هذا البحث.

وإنني إذ أطوي آخر صفحة من هذه الدراسة فإنني أحمد الله أولا و آخرا على توفيقه وحسن إمداده، و لا حول و لا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- مدخل -

عن الإلياذة و صاحبها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعريف بفن الإلياذة:

الإلياذة اسم قديم لفن من الفنون الأدبية وتسمى أيضا بفن الملحمة، وهو جنس من أجناس الشعر شأنه شأن المسرح الشعري[1].

وقد كان هذا الفن منتشرا بشكل ملفت للنظر عند اليونان ، وكانت موضوعاته مزيجا بين الحقيقة والخيال، بين الواقع والخرافة، ولعل أبرز ما يستشهد به في سياق الحديث عن ذلك

[1] - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، بلحيا الطاهر م . و . ك، الجزائر، 1989، ص : 19 .

(ملحمتا الإلياذة و الأوديسا لهوميروس)[1]. ثم جاء الرومان ليسيروا على خطاهم في الشكل والمضمون فيخرج إلينا فرجيلهم بـ (إنياذته) المقلدة لإلياذة هوميروس إلا في بعض دقائق لاتنطبق على أبناء حضارته فغير في بعض أسماء ، وبدل في شيء من الأشكال[2].

وهكذا بقيت بعض القرائح تبدع شيئا من ذلك حينا من الزمن، وتخبو حينا آخر إلى أن أطلت علينا من مغربنا العربي إلياذة الجزائر لصاحبها مفدي زكرياء، فمن هو مفدي ؟ وماذا عن هذه الإلياذة ؟

نبذة عن حياة الشاعر: مفدي زكرياء هو سليمان بن يحي الشيخ الحاج سليمان ولقبه (آل الشيخ)، فعن جده الحاج سليمان ورثت العائلة هذا اللقب لأنه كان أحد أبرز شيوخ (بني يزقن) بوادي ميزاب، وهي القرية التي ولد فيها الشاعر في جمادى الأولى سنة 1326 هـ الموافق ل1908م[3]، و بها تلقى تعليمه الأول حيث أدخله أبوه الكتاب ليحفظ جزءا من القرآن الكريم ويتلقى مبادىء اللغة العربية، وكذا بعض العلوم الاسلامية ، ثم انتقل مع أبيه إلى عنابة حيث كانت تجارته ليكمل تعليمه الابتدائي[4]، لكن دراسته لم تنتظم في هذه المرحلة إلى أن ارتأى والده بأن يبعث به إلى تونس، وكان ذلك سنة 1922، حيث التحق هناك بمجموعة من المدارس، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة أين التقى بأساتذة كبار فتعمق في دراسة علوم اللغة العربية من نحو وبلاغة وغيرهما[5] .

عاد مفدي زكرياء إلى الجزائر سنة 1926 م فتزوج وراح يشتغل في عدة محلات تجارية دون أن يشغله ذلك عن عمله النضالي والسياسي والثقافي العلمي، للفترة الممتدة بين سنتي 1926 م و 1936 م، ثم انضم إلى العديد من الحركات التحريرية من سنة 1936م إلى سنة 1954م .

أما من سنة 1954م إلى سنة 1962 م فقد بلغ نضجه السياسي والفني ذروته، فهي الفترة التي كتب فيها أهم أشعاره[6] دون أن ننسى ما كان يحرره بقلمه من مقالات في

---

[1] - ينظر:المرجع نفسه من ص : 23 إلى ص: 28.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 29.

[3] - ينظر: مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، محمد ناصر، جمعية التراث ، غرداية ، الجزائر، 1987 ، ط: 02 ، ص: 08.

[4] - ينظر:المرجع نفسه

[5] - ينظر: مفدي زكريا شاعر النضال والثورة ،المرجع السابق، ص: 8 .

[6] - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 39 و 40.

الصحف والمجلات، أو أن ننسى المحاضرات التي كان يقدمها للشعب وللشباب خلال ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقدها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

ألقي القبض على الشاعر من طرف البوليس الفرنسي، وأدخل السجن مرات عديدة، ثم انتقل إلى تونس حيث توفي بها بتاريخ: 17 أوت 1977 م ونقل جثمانه إلى الجزائر ليدفن في مسقط رأسه[1].

رحل الشاعر وقد ترك من غزير النتاجات الأدبية ما قد تفوق نسبة مجهوله نسبة المعلوم منه [2]، وسنقتصر في هذه الدراسة على أحد أبرز تلك النتاجات وهو الإلياذة.

فما هي الإلياذة ؟ وما موضوعها؟ ومتى ألفت؟ و أين؟ وكيف؟ وبإيعاز ممن؟ ولماذا؟

ترجمة موجزة لإلياذة الجزائر يذكر مولود قاسم نايت بلقاسم في مقدمة الطبعة الأولى لإلياذة الجزائر بأنه وفي آخر الملتقى الخامس للفكر الإسلامي المنعقد بوهران سنة 1971 م أعلن بأن الملتقى السادس سيعقد بالجزائر العاصمة بالمناسبة المزدوجة: عيد الاستقلال العاشر، والذكرى الألفية لتأسيس الجزائر العاصمة مع المدية و مليانة، ولهذا طلب من الشاعر أن يضع نشيدا يجمع كل ما ألفه من أناشيد ليشمل به تاريخ الجزائر القديم والحديث[3].

والظاهر أن هذا ما فعله الشاعر[4]، فجاءت الإلياذة ونمت وبلغت في ظرف قصير الستمائة وعشرة أبيات أنشدها صاحبها في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات يوم 24: يوليو من سنة 1972م، ثم أكمل بعدها ما تبقى منها إلى أن بلغت الألف بيت والبيت[5] لتبقى أحسن سجل يحفظ تاريخ الجزائر من أقدم عصوره إلى ما بعد الاستقلال، بالإضافة إلى ما تضمنت من قواعد تربوية وعملية يحسن بأبناء الاستقلال اتخاذها منطلقا لهم في بناء جزائر الحرية[6].

---

[1] - ينظر:مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، المرجع نفسه، ص:22.

[2] - ينظر:المرجع نفسه، ص: 174 و ما بعدها، ينظر كذلك: شعرالثورة عند مفدي زكريا – دراسة فنية تحليلية-، يحيى الشيخ صالح، قسنطينة 1407 هـ /1987م ، ط: 01 ، ص: 49 و 50 و 51.

[3] - ينظر: إلياذة الجزائر ، مفدي زكريا ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1992 ، ط: 02 ، ص: 09.

[4] - هذا ما ذكره مولود قاسم نايت بلقاسم في ص: 10 من المرجع نفسه. لكننا نقول: لئن كانت الإلياذة قد شملت بأناشيدها و موضوعاتها المختلفة تاريخ الجزائر قديمه و حديثه ، فإنها لم تشمل أيّا من أناشيد " من جبالنا " و " فداء الجزائر" و " قسما " و " اقصفي " كما ذكر ذلك مولود قاسم في ص: 09 من المرجع المذكور.

[5] - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 12.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 16.

هذه هي الظروف التي ترعرعت فيها الإلياذة، فماذا عنها هي ؟ وما الذي تضمنت من موضوعات ؟

دراسة أدبية موجزة للإلياذة :

ـ **الشكل**: تتألف الإلياذة من ألف بيت وبيت موزعة على مائة مقطوعة، تحتوي كل واحدة على عشرة أبيات[1] لتختم باللازمة الشعرية[2]. واللازمة في الملحمة بمقام (الأنشودة) في المسرح الشعري تتكرر لتوكيد المعنى السابق، ولترك الجو العام – جو البداية – يطغى على كل أجزاء النص[3]، كما " تحمل معلومة لا تقل أهمية عن معلومة الوحدة الشعرية التي تسبقها"[4] إذن فهي معلومة للمخاطـــب " الذي يشك في ورودها أو ينكره، وهي " شغل الورى، وملء الدنا، بشعر يرتل كالصلاة، تسابيحه من حنايا الجزائر "[5].

أما عن البحور الشعرية فقد اعتمد الشاعر على بضعة منها كالكامل والبسيط، ولكن اعتماده الأكبر كان على المتقارب لما يتسم به من خفة الوقع ومناسبته للأغراض الحماسية أو لأغراض الوصف السريع[6].

هذا، وقد تنوع كل من حرف الروي[7]، والقافية بحسب الموضوع وما يناسبه، وكذا بحسب بحسب الحاجة الجمالية التي تدعو إليها الضرورة الفنية[1].

---

[1] - عدا المقطوعة الثالثة و التسعين فتتألف من أحد عشرة بيتا / ينظر:المرجع نفسه، ص: 111 .

[2] - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 52 و 53.

[3] -ينظر: المرجع نفسه.

[4] - الثابت اللساني في إلياذة الجزائر – بين المنظور الوظيفي و الاتجاه الأسلوبي – خليفة بوجادي، دار هومة، العلمة، الجزائر، 2001 ، ص: 51.

[5] - الثابت اللساني .... المرجع السابق، ص: 51.

[6] - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 54 و 55.

[7] - يذكر خليفة بوجادي في كتابه الثابت اللساني .... في ص:15 ، بأن حروف الروي الواردة في الإلياذة سبعة عشر حرفا وردت بتواترات مختلفة نبيّنها في الجدول الآتي نقلا عنه و بعد مراجعة خاصة:

الحرف	**ن**	**ر**	**لـ**	**م**	**د**	**ب**	**ي**	**ع**	**س**
عدد المرات	17	15	13	12	9	6	6	4	3
الحرف	ف	ح	ق	هـ	ك	ت	ض	ء	
عدد المرات	3	2	2	2	2	2	1	1	

- **الموضوع**: لئن كان مولود قاسم قسم الإلياذة تقسيما عاما متمثلا في جانبي (الجلال) و(الجمال) فقد قسمها بلحيا الطاهر إلى أقسام ثلاثة حيث جعل الحديث في الأول منصبا على الجانب الجغرافي والفني للبلد، وفي الثاني على الجانب التاريخي له وفي الثالث على الجوانب النقدية لبعض المظاهر الاجتماعية فيها بعد الاستقلال[2].

ثم راح يفصل في هذه الأقسام، فبين المراد من الجانب الفني الجغرافي بأنه الإبداع الإلهي الذي ما بعده إبداع، ذاك الذي في أرض الجزائر شمالا وجنوبا شرقا وغربا، فكانت الصورة الجغرافية لها منقطعة النذ من رحابة كونية وطبيعة ساحرة وعظمة خلقية ممتدة طولا وعرضا على مسافات شاسعة[3].

ثم يذكر المؤلف بعد ذلك انتقال الشاعر للحديث عن مدى تعلقه بوطنه لماله من مميزات لا تقتصر على الجوانب الجمالية، بل تتعداها لتشمل ما حفل به تاريخها من أمجاد من أقدم عصوره، أي: منذ عصر ماسينيسا وأجداده إلى يوغرطة ومن جاء بعده إلى عصر بزوغ فجر الإسلام، وما كان للفتوحات الإسلامية من أفضال على هذا البلد، والمغرب العربي قاطبة على يد عقبة بن نافع، ومن بعده ابن رستم[4] في تغيير مجرى الحياة ، وطبائع الناس، إلى أن جاءت عهدة الأتراك ثم دخول فرنسا لتحل محل (الرجل المريض) فافتعلت الأسباب لاستباحة الحرام وجعلت من مروحة الدّاي حجة للتقتيل والتشريد فاتخذت منها مفتاحا تلج به بوابة سيدي فرج، وكانت ردة الفعل عنيفة تجلت في مقاومات شعبية لم تكن أنجع من تلك التي جمع فيها الشمل واتخذ من رصاصة الفاتح من نوفمبر فاتحة فجر مشرق، وبداية عصر أبرق .

لكن فرحة الشاعر لم تطل ، فسرعان ما ران على قلوب البعض ران التقليد الأعمى لمن كان بالأمس ألد الخصوم ، فانفطر قلبه لما رأى من مظاهر الزيغ، فراح يصب جام غضبه على كل تبيع للغرب ويتهجم عليهم بأسلوب ربما كان أقسى من ذاك الذي عبر به عن شدة امتعاضه من

---

[1] - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 54 و 55.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 51.

[3] - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 59.

[4] - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 78 .

أساليب العدو نفسه ،فكانت له انتقادات لاذعة للخانعين تحت سيطرة الغزو الفكري، والفساد الأخلاقي[1].

إذن ومن خلال هذا العرض، وتلخيصا لما ذكره بلحيا الطاهر، يمكن القول بأن الإلياذة حسبه مقسمة إلى ما يلي من الفروع[2].

أولا/ جغرافية الجزائر الفنية

" الخلق والإبداع الإلهي "

ثانيا / تاريخ الجزائر بطولات وأمجاد

1- تاريخ الجزائر القديم.

2- تاريخ الجزائر الوسيط.

3- تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

ثالثا/ المجتمع الجزائري .. ومعركة البناء.

1- ضرورة الوحدة المغاربية.

2- الغزو الفكري والعادات السيئة.

3- شباب المستقبل.

ـ الوحدةالعضوية: هاته التي لا يدل عليها ظاهر الإلياذة في وقت يدل التأمل على سلامة وتيرتها من التصدع، ودليل ذلك ـ مثلا ـ أن افتتاح الشاعر للمقطوعة الثانية والأربعين بالحديث عن إبداع الخالق في تصوير طينة هذا البلد ، ما هو إلا تمهيد للحديث عن طبيعة هذه الطينة التي هي محض نضال، ورمز وصال لثورة شبت بالسهول كما الجبال .

جزائر أبدعها ذو الجـــلال وصور طينتها من نضـــــال

بلاد تمـــازج عشاقـــها وتمنع عنهم لذيذ الوصـــال

فما انكفأت ثورة في السهو ل ، ولا انطفأت ثورة في الجبال[3]

ـ الوحدة الموضوعية: فيكفي أنها ملحمة موضوعها واحد (هو الجزائر) أولا و آخرا، كيف لا وأول بيت منها يقول فيه الشاعر:

---

[1] - ينظر: المرجع نفسه، من ص: 53 إلى ص: 116.

[2] - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 57 و ص: 67 و ص: 109 .

[3] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق ، ص: 60.

جزائريا مطلع المعجــزات و يــاحــجّة الله في الكائنــات[1]

وآخر بيت منها يقول فيه :

إليك صلاتي وأزكى سلامي بلادي، بلادي، الأمــان الأمــان[2]

أما عن البطل الرئيسي فيها فهو: " ليس إلها وثنيا أو بطلا خرافيا أسطوريا جاء ليخلصها من كل محنة وجدت فيها ولكنها عبقرية الشعب الجزائري ودأبه على صنع تاريخه بنفسه "[3].

هذا مجمل ما جاء في الإلياذة من موضوعات فماذا عن الجوانب البلاغية ؟

ـ المعاني: لقد غلب على الإلياذة الأسلوب الخبري ومرد ذلك إلى طبيعة النص، فهي في معظمها وثيقة تاريخية تقف أحيانا على المجمل، وأخرى على المفصل من الأحداث والوصفات، فلم تكن هناك ضرورة (للإنشاء) إلا استئناسا ببعض ما ورد فيها من إنشاءات هي في الغالب لغير ما جعلت له، كالأمر، و الاستفهام، وغيرهما ..فمن الأمر – مثلا- قول الشاعر:

سلوا قادة الشرق عن صدقه ونبــل مشــــــاعره في الملمــــة[4].

فهو لا يريد ب(السؤال) (الأمر) بقدر ما يريد التنويه بقيمة الشيخ " طفيش"، والإشارة إلى بعض مواقفه حول القضايا العربية والإسلامية عموما.

ومن الاستفهام – أيضا – قوله :

وكم فوقه انتظمت قمــــم فهــــل كان يعقـــــد مؤتمـــرا؟ [5]

فهو لا يريد السؤال، بل يريد أمرا آخر تجليه " تورية " ظريفة سنأتي إليها لاحقا.

ـ البيان: لو قرأنا أبيات الإلياذة لاستخرجنا من كل بيت تقريبا صورة أو أكثر من الصور البيانية، مما دفع ببعضهم إلى تخصيص دراسات للحديث عن ذلك خصوصا ما تعلق منها بالصور المستنبطة من الألفاظ القرآنية [6]، ولذلك فسنكتفي بهذا المثال الذي يمثله التشبيه البليغ في قول الشاعر:

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 19 .

[2] - المرجع نفسه ، ص: 118.

[3] -الظاهرة الشعرية العربية ـ الحضور و الغياب ـ نبض التاريخ، نبض الإبداع، إلياذة الجزائر ـ قراءة دلالية ـ حسين خمري، 2009/03/14م، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،سوريا www.awu -AAM -ORG/BOOK، ص:4.

[4] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق ، ص: 95.

[5] - المرجع نفسه ، ص: 24.

[6] - ينظر: مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، المرجع السابق، من ص: 111 إلى ص: 125.

ويا ثورة حار فيها الزمان وفي شعبها الهادىء الثائـر[1]

فهو بيت مصدر بنداء الجزائر استنتاجا من تكرار النداء في كل أبيات المقطوعة الثانية التي استهلت بقول الشاعر:

جزائر يا بدعة الفاطـــــر ويا روعة الصانع القــادر[2]

وعليه فقد شبه الجزائر بالثورة، بل إنها " الثورة بعينها، والجزائريون جميعا شيبا وشبابا رجالا ونساء وأطفالا وقودها ولهيبها ولظاها " [3]، كما " كانت قدرة ثورة الجزائر على الإشعاع فوق كل التصورات، فكل حدث وكل حركة وكل يوم وكل شهر وكل سنة تمر تمثل موضوعا لقصيدة، وتكون الأصباغ التي تلون لوحة شعرية تهز المشاعر وتحرك النفوس وتدمي القلوب وتسيل العيون "[4].

إذن فهي ثورة أثارت بإثارة الشعب حيرة الزمان، هذا الشعب الذي استطاع أن يجمع بين هدوء الليل وضوضاء النهار، بين سكون الريح في يوم ربيعي هادىء وهيجانها في يوم الصرصر العاتية، إنه – في الظاهر– لتفاوت صريح، وما هو – في الواقع – إلا توافق تام بين طرفي المعادلة الكونية ، فما عنف الرد إلا استجابة طبيعية منتظرة ممن طبعه كثرة الهدوء.

- **البديع**: المعلوم – في علم البلاغة – أن البديع قسمان: محسنات لفظية وأخرى معنوية، وعليه فسنقتصر على نموذج واحد فقط لكل منهما.

فمن المحسنات اللفظية: في الإلياذة:

الجناس: وهو كما قسمه البلاغيون – قسمان:

جناس تام: ونختار له من الشواهد قول الشاعر:

وأفلح خلد أمجادهـــا فأفلح أفلح قولا وفعــلا[5].

فـ (أفلح) هو اسم زعيم من بني حماد [1] و(أفلح) المتكرر مرتين (للتوكيد) هو من الفلاح الذي يعني الفوز وواضح ما بين اللفظتين من تجانس لفظي تام قد يزيده روعة ذلك التجانس المعنوي

---

[1] - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه ، ص: 20 .

[2] - المرجع نفسه .

[3] - نور الدين حاطوم، مجلة الثقافة، الجزائر، 1405هـ / 1984 م ، العدد:84 ، ص:21 .

[4] - محمد الأخضر ع . ق . السائحي ، مجلة القبس ، الجزائر ، 1387 هـ / 1967 م، العدد:02، ص:50.

[5] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 44.

المتجلي في أن الجزاء الحسن لا يكون إلا للمحسن ، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾[2]

جناس ناقص : ونختار له قول الشاعر :

ونحن الألى غسلوا العار بالنا ريسترهبون الردى بالردى[3]

فكما أن هناك تجانسا لفظيا بين (العار) و(النار) – وإن كان غير تام – فهناك تجانس معنوي بينهما – وإن كان بطريق التقابل – فلا علاج أنسب للعار من النار.

ومن المحسنات المعنوية

التورية: و لعل أروع ما نختاره شاهدا لها هو في قول الشاعر في سياق حديثه عن جبال (الأطلس)

وكم فوقه انتظمت قمـــم فهل كان يعقد مؤتمـــرا[4]

ففي البيت: " تورية" بارعة أتى بها الشاعر ليلمّح برأيه في قضية الوحدة المغربية ، فيعرض بالمسؤولين الذين يعقدون مؤتمرات القمّة باستمرار ولكنهم لا ينتهون إلى نتيجة ملموسة ..... فقد أتى بلفظ " قمم " أي ذرى الجبل الشاهقة وروّى به عن مؤتمرات القمّة ، بدليل الاستفهام في عجز البيت (فهل كان يعقد مؤتمرا؟) فجبل الأطلس حقق الوحدة المغربية ، بالرغم من أنه لم يكن يعقد مؤتمرات (الاستفهام إنكاري) بينما عجز عن تحقيقها القادة بمؤتمرات القمّة الكثيرة، فهذا التلميح الذكي والتعريض اللاذع أدّاهما الشاعر عن طريق توظيفه التورية لا غير"[5].

ملامح شخصية الشاعر من خلال الإلياذة :

الواقع أنها كثيرة ومتداخلة ،وأحيانا غامضة بغموض الفترة التي عاش فيها ولذلك فسنكتفي بما يلي:

---

[1] - ينظر الثابت الساني ....، المرجع السابق، ص: 110.

[2] - سورة الرحمن، الآية : 60 .

[3] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 92.

[4] - المرجع نفسه ، ص: 24.

5 - شعر مفدي زكريا – دراسة وتقويم ـحوّ اس برّ ي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ، 11/ 1994، ص: 358.

ـ **الثقافة الإسلامية الواسعة:** وتتجلى في عديد الأفكار والتصوّرات المتناثرة في سياقات مختلفة والتي هي مستقاة – في الأصل – من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن الفكر الإسلامي على وجه العموم.

ـ **المسحة الصوفية**: وشواهدها كثيرة، نذكر منها قول الشاعر وهو يتحدث عن جمال بلاده:

أضاع بها ذو الحجى رشده ولو لم يخف ربه .....ألّها[1]

ثم يعلق – في هامش الصفحة نفسها –بأن هذا تصوّف على مسؤوليته ، مبيّنا بأنّه ، ليس كفرا، ومعتبرا إياه إيمانا .

وفي سياق آخر يقول:

و لولا العقيدة تغمر قلبي لما كنت أومن إلا بشعبى[2]

و في آخر:

نوفمبر جل جلالك فينا ألست الذي بث فينا اليقينا[3]

فالمسحة الصوفية " بادية على النص ككل، تمثلها هذه الاستشراقة التي يمزج فيها [الشاعر] بين العظمة و العظيم"[4]لأنّ أصل التصوف هو " العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدّنيا و زينتها، و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال وجاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"[5].

و لعل هذا ما عبّر عنه الشاعر بقوله:

وديري الذي كنت أتلو به صلاتي –مع الليل- سّرا و جهرا[6]

و الواقع أن ماذكرنا من معان للزهد قد كانت عامة " في الصحابة و السلف، فلمّا فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني و ما بعده و جنح النّاس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية و المتصوفة"[1].

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص : 32.

2 - المرجع نفسه، ص: 21.

3 - المرجع نفسه، ص: 70.

4 - تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 61.

5 - مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون ـ متوفي 808هـ ـ، دار الهيثم، القاهرة، مصر، 1426 هـ / 2005 م، ص: 391.

6 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 25.

ـ **المبالغة في الاعتداد بالنفس:** و الواقع أن هذه المبالغة لها تجليات كثيرة، فمن قوله:

تنبأت فيها بإلياذتـــــــــي فآمن بي، و بها المتنبـــــــــي[2]

يتبين بأن الشاعر قد بات يعتبر شعره " كأنه قرآن و تنزيل لأن طموحه جعله يتخذه إمامه في الكتابة"[3]، و هو الأمر الذي يؤكده في كثير من القصائد، و التي منها قوله:

وإننا الشعراء الناس ما فتئت أرواحنا، تغمر الإنسان إيمانـــا

رسالة الشعر في الدّنيا مقدسة لولا النبوءة .. كان الشعر قرآنا[4]

إذن فمفدي زكريا هو شاعر " آمن منذ نعومة أظافره بأن الشعر رسالة إنسانية سامية بما يحمل من عظمة و جلال و ما يمكن له من عقيدة ووحدة اللغة و التزام الشعر، و تجديد في التعبير و التفكير مما يجعله شعرا صادقا متجاوبا مع مشاعر العروبة الزّاحفة"[5]

و من الشواهد التي تتجلى فيها هذه المبالغة – أيضا – قوله:

وفي كل حي غوالي المنـــى و في كل بيت نشيد الجزائـــر[6]

و الظاهر أنه يقصد أناشيده كـ (طلاب الجزائر) و (عَلَم الجزائر) و غيرهما، و هي موجودة في ديوانه " اللهب المقدس".

و الواقع أن هذه المبالغة لها تجليات أكثر من أن تُحْصَى، و قد تحدّث عنها كثيرون منهم عبد الملك مرتاض و غيره[7].

---

1 - مقدمة ابن خلدون، المرجع نفسه، ص: 391.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 21.

3 - أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، محمد ناصر بوحجام، 1925-1976، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1992 ، ص: 122.

4 - اللهب المقدس، مفدى زكرياء ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ط: 02، ص: 290.

5 - محمد زغينة، مجلة الحياة، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1423هـ / 2002م، العدد: 06، ص: 221.

6 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 23.

7 - ينظر: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2003، ص:470.

- **الإنصاف والاعتراف بالجميل:** كان ذلك حتى مع مَنْ أثبتوا إجحافا في حق التراث الأدبي المغربي، و الجزائري على وجه الخصوص[1].

و من النماذج الصارخة و الناطقة بهذا الاعتراف قول الشاعر:

هو النيل خلد عشرقرو ن، و باركنا السّنة العاشـــــرة

ونكبر مصروأحرارها و من آزروا حربنا الظـــافرة[2]

و قوله أيضا:

وللدين خير يصون حمـــاه و أسطولنا في البحار يسـود

وآزرنا الترك حتى انتصرنا و لم يخفر الترك ماضي العهود

ونحن أناس نعد الجميل، و نرعى ذمام الصّديـــــــــق الودود[3]

القيمة الأدبية و الحضارية للإلياذة:

ليس من السهل حصر الجوانب التي تندرج في نطاق القيمة الأدبية و الحضارية للإلياذة و لكن يمكن التّركيز على أبرزها و التي منها:

- **الجانب التاريخي:** جاء في مقدمة الإلياذة أنها " أجمل و أكمل صياغة لتاريخ [الجزائر] بآلامها و آمالها، بانتكاساتها و انتصاراتها كما هي وظيفة التاريخ لأية أمة من الأمم، إذ هو عقلها ..و مرشدها و دليلها، و خلاصة تجاربها، و سجل مجدها ووجودها .. فالتاريخ هو الأهم و البداية و النهاية .. وليس فقط لاستخلاص التجارب، و لكن أيضا لغرس الاعتداد بالنفس، و تعميق

---

1 - و المراد: أولئك الذين يحاولون طمس كل ما هو مغربي أو جزائري، أو نسبته إلى غير أهله، و يعبّر الشاعر عن ذلك بقوله (في الإلياذة، ص:45):

علام يلقب أندلسيـــــــــا فتى مغربي أصيـل الأب

و لوأرسل الله من مغرب نبيا إذن كذبوا بالنبـــــــي.

2- المرجع نفسه، ص: 46.

3 - المرجع نفسه، ص: 52

الوعي بالذات، و توطيد الاعتزاز بالوطن"[1] حتّى وصفها حسين خمري بنبض التاريخ " فهي محاولة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر و التّركيز على أهم المحطات التاريخية قصد إجلاء أهم دلالاتها"[2].« أما زمن "إلياذة الجزائر" فإنه يمتد من فجر التاريخ البشري إلى نهاية سبعينيات هذا القرن »[3].

ـ **الجانب الدّيني:** و يمثل الأساس الذي تنبني عليه كل الموضوعات و الأفكار المتضمنة في الإلياذة إذ منه و إليه يرجع الشاعر في كل تصوراته و أحكامه و موازينه، وعليه بَنَى مجمل خيالاته و صوره الشعرية، فالدّين – في الإلياذة – " خلفية ينطلق منها الشاعر للتعليل و التفسير، و الحكم في الأخير"[4].

و لعل هذاما يبدو في أجلى صوره من خلال النماذج الآتية:

جزائر يا مطلع المعجزات و يا حجّة الله في الكائنات[5]

حيث يربط بين جمال طبيعة الجزائر، و بين الايمان بالله تعالى، فهي أولى المعجزات الدالة على وجود الله تبارك و تعالى[6].

ولاح الصّباح فهزّ السكاري و أجلى النّدامى ورضّ الكؤوسا[7]

حيث يُظهر الدّين " في دور الريادة و العقيدة المحرّكة ... و ذلك حينما يصل ... إلى الفتح الإسلامي و دخول الجزائر في عهد جديد بقي مستمرا إلى اليوم"[8].

هذا، " و قد تجلت ثقافة الشاعر الإسلامية من خلال شعره حيث جاء متضمّنا للقرآن الكريم بلفظه أو بمعناه، و مستشهدا بالحديث الشريف و التاريخ الإسلامي من خلال مواقف أعلامـــــه

1- إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 16.

2 - نبض التاريخ نبض الإبداع، إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 04.

3 -المرجع نفسه. و الظاهر أنه أراد بـ (هذا القرن): القرن العشرين.

4 - شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، المرجع السابق، ص: 237.

5 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 19.

6 - ينظر: شعر الثورة عند مفدي زكريا، المرجع نفسه.

7 - إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص: 42.

8 - شعر الثورة عند مفدي زكريا، المرجع نفسه، ص : 238.

و أهمية أماكنه التي بقيت معلما من معالم التاريخ الإسلامي و مواقف رجاله"[1]

- **الجانب الطبيعي:** حسبُ مَنْ لا يعرف أرض الجزائر طبيعة و جبالا و سهولا ووديانا و حمامات وشلالات، و صحراء أن يقرأ (الإلياذة) عسى أن يحدث له – من خلال لوحاتها– ما يمكن تسميته بالمسح العام لكل أرجاء الوطن من شرقه إلى غربه، و من شماله إلى جنوبه فقد نقل لنا الشاعر من خلالها " ما تميزت به الجزائر من جمال طبيعتها و عمّم ذلك دون أن يحصر عدسته اللاقطة في زاوية معيّنة أو منطقة بعينها"[2].

" ثم أعرب عن أنّها طبيعة ساحرة ... فُتِن بها الأوروبيون خاصة"[3] و أنه[4] " لا يرى الجمال و السّحر إلاّ في وجهها، و لا يبغي عنها بديلا أو شريكا لها"[5]

جزائر يا مطلع المعجزات و يا حجة الله في الكائنـات[6]

جزائر يالحكايـة حبـــــي و يا من حملت السّلام لقلبي[7]

جزائر أبدعها ذو الجــلال و صَوّرَ طينتها من نضـال[8]

- **الجانب الثوري:** و لعله الأكثر ورودا في الإلياذة، و بكل ما تحمله اللفظة من مختلف المعاني، كالثورة المسلحة، و الثورة الاقتصادية، و الثورة الثقافية، التي سماها الشاعر ب(معركة المستوى)[9] إلاّ أنّ ثورة السّلاح كانت الأبرز في معظم مقطوعات الإلياذة بدءا بثورة بثورة ماسينيسا و يوغرطة إلى ثورة الأمازيغ و العرب، ثم جهاد عقبة بن نافع، كلّ هؤلاء الذين رغم تباعد الأزمنة التي عاشوا فيها إلا أنّ رابطا يجمعهم هو : "حب الجزائر".

---

1 - شعر مفدي زكريا- دراسة و تقويم -، المرجع السابق، ص: 206.

2 - المرجع نفسه، ص: 309.

3 - المرجع نفسه، ص: 310.

4 - أي: الشاعر.

5 - شعر الثورة عند مفدي زكريا- دراسة فنية تحليلية- ،المرجع السابق، ص: 148.

6 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 19.

7 - المرجع نفسه، ص: 21.

8 - المرجع نفسه، ص: 60.

9 - و ذلك في قول الشاعر: نهدنا لمعركة المستوى نربي النفوس و نغزو الجهالة

إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 89.

بلاد تمـــازج عشاقهـــــا و تمنـــع عنهـم لذيـذ الوصـــال

فما انكفأت ثورة في السّهو ل، و لا انطفأت ثورة في الجبال[1]

ثم جاءت ثورة الثورات، ثورة الفاتح من نوفمبر التي فيها:

..قرّر صومام أهدافنا فسرنا على هديها فانتصرنا[2]

- **الجانب السياسي:** و هو الجانب الذي ما ترك الشاعر فرصة إلاّ و تحدّث عن بعض رموزه و أسماء بعض الهيئات السياسية، كـ (نجم شمال إفرقيا) و (حزب البيان) و (حزب الشعب) و (الانتصار للحريات الديمقراطية) و (جبهة التحرير) و (جمعية العلماء المسلمين)، فقد "ذكرت الملحمة معظم التيارات السياسية التي كافحت، و ذاق أصحابها مرارة السجون، و طعم العذاب المرّ الذي كان يسلط على السياسيين الكبار"[3]، و ذلك لمَا كان لحركاتهم من دور " فعال في يقظة الأمة و تذكية الشعور الوطني الذي حاولت فرنسا إخماده منذ دخولها"[4].

- **الجانب الاجتماعي:** و يتجلى في تخصيص الشاعر لجملة من الوقفات ليتحدث فيها عن بعض المظاهر الاجتماعية و التي يمكن إيجازها فيما يلي:

- توق الشعوب المغاربية إلى التحرر و الوحدة المنشودة ، فالهدف مشترك " و ثقافة و سياسة قطر من هذه الأقطار لا تكون متكاملة و ناضجة إلاّ إذا تم استقلال القطر الآخر، فالوحدة متواجدة حضاريا و ثقافيا، أحبت السياسة أم كرهت"[5]

وقالوا حدود، فدسنا الحدو د، و رحنا بأصنامها نزدري

متى كان بين الأشقاء سـدّ يُقام على الزّور و المنكـــر[6]

- انتشار القيم الإسلامية بين أبناء الشعب الجزائري[7]، و ذلك ما يُعبّر عنه الشاعر بقوله:

شربت العقيدة حتى الثمالة فأسلمت وجهي لرب الجلالة

---

1 -إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 60.

2 -المرجع نفسه، ص: 71.

3 - تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 96.

4 المرجع نفسه.

5 المرجع نفسه، ص: 112.

6 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 86.

7 - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع نفسه.

ولولا الوفـــاء لإسلامنـــا لَمَا قرر الشعب يومـــا مآلـــه

هو الدّين يغمــر أرواحنـــا بنور اليقين و يرسـي عدالـه[1]

فالشاعر – في هذه الأبيات كأنه "يقول على لسان كلّ جزائري، لم تستلبه العادات الخبيثة: إنه تشبع بالعقيدة الإسلامية التي نفضت الغبار على وجهه المليح"[2].

- انتشار الآفات الاجتماعية و في أوساط الشباب على وجه الخصوص، كشيوع الشذوذ، و ذيوع الحشيش، و فتح دور الزني و البغاء[3]، يقول مفدي:

تفسخ هذا الشباب و ماعـا و خرب أخلاقه و تداعى[4]

الخصائص العامة للإلياذة على ضوء ما سبق ذكره يمكن الخلوص إلى ما يلي من الخصائص

- الحقيقة و الواقعية:

إذا كانت الملاحم القديمة قد حفلت – في عمومها – بالخرافات و الغيبيات الوهمية، فإن الإلياذة الجزائرية قد تضمنت حقائق ثابتة، سواء ما تعلق منها بالتاريخ الصّحيح للجزائر و الذي اعتمد فيه الشاعر على الرّواة الثِقات، و ما شاهده و عايشه في سجون فرنسا[5]،أو ما تعلق منها بأمور الدّين الثابتة، و لو كانت من الغيبيات، لأنها حقائق لا يأتيها الباطل من أي جانب.

- الشمول: و نعني به:

- شمول الزمن، أي: زمن الموضوعات التي عالجتها الإلياذة، فهو " يمتد من فجر التاريخ البشري إلى نهاية سبعينيات هذا القرن"[6] أي : إلى نهاية حياة الشاعر.

- شمول الأبطال الذين لم يكن عددهم يقتصر على ثلاثة أو أربعة أشخاص، بل لقد تعداه ليشمل الشعب بكامله، لأن الملحمة هي تاريخ هذا الشعب كله[7].

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 89.

2 - تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 112.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 115.

4 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 97.

5 - ينظر : تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 121 و122.

6 - نبض التاريخ، نبض الإبداع، إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 04.

7 - ينظر: نبض التاريخ، نبض الإبداع، إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص : 03.

ـ شمول الموضوعات ، فهي أشمل لكثير من الأغراض التي قال فيها مفدي شعره.

ـ التوارد مع بعض الملاحم:

من المؤكد أن يكون الشاعر قد اطلع على بعض الملاحم القديمة، و خاصة الإنياذة الفرجيلية، و الملحمة الهوميرية، و كذا شهنامة الفرس، بدليل ما ورد في إلياذته من كلام نقدي عن هاتين الأخيرتين[1]، و ذلك في قوله:

هو ميروس أرّخ لم ينتقـــد و شهنامة الفرس بالوصف تغلو

فقلت و شعر الخرافات يفنى و شعر البطولات لا يضمحـــل[2]

ثم إن الشاعر لم يكتف بالحديث العابر عن هاته الملاحم، بل لقد ضمّن (ملحمته) شيئا منها تجلى في:

ـ ذلك التأثر المتمثل في الحديث عن (صوفونيزيا) زوجة (ماسينيسا) و إخلاصها لزوجها، تماما كما في ملحمة الأوديسا الهوميرية حيث ظهرت فيها (بينلوب) الزّوجة الجميلة و الوفية لزوجها (إيليس)[3].

ـ الموضوع العام للإلياذتين حيث يتلخص في الصراع الدائر بين الغزاة و الأهالي،فكما كانت رحى الحرب دائرة في إلياذة هوميروس بين الغزاة، و بين السكان الأصليين لمدينة طروادة، فقد كانت الحرب – في الإلياذة الجزائرية، مشتعلة بين العدو الفرنسي، و بين كل الجزائريين[4].

ـ تقليد بعض القصائد العربية: و يتجلى في جملة من المواضع إليك أبرزها:

ـ المقطوعة الثامنة و الأربعون، و التي مطلعها:

ولم ننس في أربعين و خمس ضحايا المذابح في يوم نحس[5]

هاته التي يتحدّث فيها الشاعر عن حوادث الثامن ماي من سنة 1945م، والتي خُتِمت كل قوافيها بحرف (السين)، و معروف " الدور الذي يلعبه [هذا الحرف] بل الإيقاع الذي فرضه،

---

1 - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 130 و 131.

2- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 116.

3 ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 131 و 132.

4 - ينظر:المرجع نفسه.

5 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 66.

و الخاضع لحروف الهمس، الذي يتلاءم و حديث الخراب و الموت و التقتيل، و فوق ذلك حديث (الحزن) و الشقاء"[1].

ففي مثل هذه المعاناة كتب البحتري سينيته التي يرثي فيها ما حل بآل ساسان من مآس، و ما آل إليه الإيوان من خراب، والتي مطلعها :

صنت نفسي عمّا يدنس نفسي و ترفعت عن جدا كل جبس[2]

- المقطوعة السادسة و التسعون[3]، و التي مطلعها:

فياربّ قد أغرقتني ذنوبي و أنت العليم بما في الغيوب

أتوب إليك بإلياذتي عساها تكفر كلّ ذنوبي[4]

هاته التي يعلن فيها الشاعر توبته إلى الله جل و علا بعد أن أحس باقتراب نهاية الملحمة[5]، و هو الأمر نفسه الذي نجده عند أبي نواس الذي حينما بلغ سنّ اليأس قرر أن يتوب إلى الله فقال في مطلع قصيدة له:

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم

و يُرْوَى بأنه – بالفعل – قد تاب إلى ربه[6].

وبالمختصر المفيد، فقد أفاد الشاعر من الأدب العربي القديم مثل بقية الشعراء في العصر الحديث لأن الأدب العربي القديم يعتبر " من أغزر الروافد التي صبت في الشعر الجزائري الحديث، فساعدته على الثراء، و النّماء، و طبعته بالتالي بطابع القوّة و الجزالة ، و أشاعت في تضاعيفه التعبيرات المستمدة من الأدب القديم"[7].

---

1 - تأملات في إلياذة الجزائر ، المرجع السابق، ص: 134.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 134 و 135

3 - و ليس (المشهد رقم: 95) كما ذكر بلحيا الطاهر في (التأملات ...)

4 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 114.

5 - و الذي ينبئ في الوقت نفسه، بإحساسه باقتراب أجله.

6 - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 135 و 136.

7 - الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته و خصائصه الفنية 1925 – 1975 ، محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985 م ، ط: 01، ص: 45.

ـ التقيّد بالشعر العمودي:و يبدو ذلك جليا من أول بيت إلى آخر بيت من الإلياذة، ثم إنّ الشاعر ليُصَرّحُ بذلك من خلال اعتزازه بهذا الالتزام من جهة، و كذا من خلال تهجّمه على من جددوا في الشعر(من حيث الوزن و القافية)[1] من جهة أخرى.

يقول :

وقالوا قصيدك شعـــر قديـــم يكبّلـــــه بالتفاعيـــل غـــــل
وما حيلتي ... إن يكن شعرهم دخيلا ... و شعري يزكيه أصـل؟؟
وإن يك شعر الخنافيس خنثى فشعري صريح الرجولــة فحـل[2]

ـ غلبة اللّفظ القرآني:

" إن المتمعن في مفدي يلاحظ بادئ ذي بدء أنه متأثر بالقرآن إلى حد بعيد، فلغته يغلب عليها اللفظ القرآني، و كما أن القرآن مصدر للكثير من أفكاره و صوره ... فهو مصدر للكثير من ألفاظه و عباراته"[3] فالمتتبع لأبيات الإلياذة ـ لاعتبارها موضوع البحث ـ لا يكاد يقرأ شيئا منها إلا واستوقفته لفظة مفردة أو عبارة، و الشواهد كثيرة جدا ، إذ تجاوزت الألفاظ المفردة المائتين في حين تجاوزت العبارات (الجمل الفعلية، و الاسمية) الخمسين. شاهدا ، فالشاعر "يعد أكثر الشعراء الجزائريين التفافا إلى توظيف المفردات القرآنية"[4] لأن القرآن بالنسبة إليه يعدّ " أحد المصادر الأساسية في ثقافته ... و لذلك لا يتخلى عن ألفاظه و معانيه، لما للفظة القرآنية من وقع خاص و أثر متميز"[5].

إذن و من هذه الخاصية نأتي إلى ختام هذا المدخل جاعلين منها حلقة الوصل بين ما سبق، و بين ما نعدّه جوهر دراستنا هاته التي تدور حول الجوانب الدلالية لاستعمال الألفاظ القرآنية في الإلياذة .

إلا أنّ هناك أمورا تجدر الإشارة إليها، و مفاهيم ينبغي ضبطها.

---

1 - ينظر : أثر القرآن في الشعر الجزائري .... المرجع السابق، ص: 38.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 116.

3 شعر الثورة عند مفدي زكريا ـ دراسة فنية تحليلية ـ ، المرجع السابق، ص: 365.

4 - الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945 – 1962)، عمر بوقرورة، مطابع قرفي، باتنة الجزائر، ص: 196.

5 - شعر مفدي زكريا ـ دراسة و تقويم ـ، المرجع السّابق، ص: 326.

1- إن المراد بالدلالة ـ في اللغة ـ ما يجعل للدليل،و الدليل هو الدال الذي يستدل به، و دلّه على الطريق يدله دَلالة و دلالة و دُلالة ، و الفتح أعلى[1]، و في الاصطلاح عرّفه بعضهم « بأنه " دراسة المعنى" أو " العلم الذي يدرس المعنى " أو " ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى" أو " ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى" »[2]، إلا أن بعضهم يطلق عليه اسم " السيمانتيك " أخذا من الكلمة الانجليزية أو الفرنسية[3]، إلا أننا نفضل – كما قال محمد أحمد خضير – مصطلح (علم الدلالة). لوروده في بعض الآثار العربية[4].

إلا أن هذه التعريفات تبقى في مجملها عامة، بحيث يكون " موضوع علم الدلالة أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرّمز، هذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق وقد تكون إشارة باليد أو إيماءة بالرأس، كما قد تكون كلمات وجملا.وبعبارة أخرى قد تكون علامات أو رموزا غير لغوية تحمل معنى ، كما قد تكون علامات أو رموزا لغوية"[5].

أمّا موضوع بحثنا هذا فهو – على حد تعبير محمد سالم أبو عاصي – " الدلالة الوضعية اللفظية ليس غير، وذلك لعموم نفعها في كسب العلوم عامّة"[6].

2-إنّ الدراسة الدلالية الحديثة تعتمد على مستويات (الصّوت –الصّرف – التركيب – المعنى)، وهذا ما ذكره كثيرون، حيث يقول كريم زكي حسام الدين – على سبيل الذكر – " إن بيان المعنى اللغوي لكلمة ما يتحقق، بدراستها دراسة صوتية وصرفية ونحوية و دلالية، يتمثل الجانب الأول في كونها مركبة من أصوات منظمة انتظاما معينة. ويتمثل الجانب الثاني من معنى الكلمة في كونها اسما أو فعلا أو حرفا. و يتمثل الجانب الثالث في بيان خصائصها النحوية من

---

1 - ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظورالأفريقي المصري)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1428-1429هـ/2008م، ط: 01، مج: 04 مادة:(دلل)، ص: 531.

2 - علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، 1988م، ط : 02 ، ص : 11.

3 - ينظر: المرجع نفسه .

4 - ينظر: الدلالة والتركيب، محمد أحمد خضير، دار الزهراء للنشر القاهرة ، مصر، 1414هـ / 1993م، ص:12 .

ينظركذلك: علم الدلالة العربي، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1- 4/88 ، 09 ، 1973/دار الفكر، ص : 8 و 9.

5 - علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، المرجع نفسه.

6 - الدلالات وأثرها في تفسير القرآن الكريم ، دار علي للطباعة، 1418هـ / 1997 م ، ط : 01 ، ص : 17.

حيث جواز وقوعها في مواقع معينة في الجملة وارتباطها بغيرها من الكلمات التي تسبقها أو تلحقها ، و يأتي الجانب الرابع لتحديد دلالتها في سياقات متعددة تحديدا دقيقا"[1].

و يقول مهدي أسعد عرار" ... مهمة الأصوات أن تشكل الوحدات الدلالية الأخرى في المستويات التركيبية بدءا بالصرف و انتهاء بالجملة"[2]، و الدلالة الصرفية تتمثل " فيما تؤديه الزيادات الصرفية من معان مضافا إليها معنى الجذر المعجمي"[3] و الدلالة النحوية هي التي يدرس فيها " علم النحو من جانبين اثنين : جانب تركيب الجملة العربية، و جانب الإعراب، و معرفة هذين الجانبين تُفضي إلى المعرفة بالدلالة النحوية"[4] أما عن المعجمية، فهي " الدلالة التي تؤديها المعجمات عارضة لشرحها شرحا عاما يوضح المعنى الأصلي"[5].

وقد تحدث عن هذه المستويات أيضا جاسم محمد عبد العبود في كتابه: مصطلحات الدلالة العربية [6]، و غيرهم كثير و كثير جدا، لكننا ارتأينا ـ في هذا البحث ـ أن نستغنى عن المستوى الصوتي و تعليلنا لذلك أن الحديث عنه كان لِيُدْرَجَ لو أن موضوع الدراسة (الذي هو الألفاظ القرآنية) كان من محض إنشاء الشاعر، أمّا و إنها دراسة ذات طابع شبه مقارن لاعتبار عرض الدلالة التي يريدها الشاعر على الدلالة (ووجه الحكمة) من التعبير القرآني (الأصل)، فهذا ما جعلنا نستغني عن المستوى الصوتي .

أما الحديث عن الأصوات و دلالاتها كما فعل خليفة بوجادي في كتابه: الثّابت اللّساني في إلياذة الجزائر[7] فهو عمل لا يمكن ـ على رأي الباحث ـ تطبيقه على ما ضمنه الشّاعر من ألفاظ قرآنية في إلياذته لأن أصواتها هي محض (أصوات قرآنية)، و لا دخل للشاعر في إنشائها أو ترتيبها كنحو: الإله – الجهاد – الجنّة –الزّقوم ، ومردّ ذلك إلى أن الدراسة إنما هي للألفاظ القرآنية في الإلياذة ، و ليست للإلياذة.

---

1 -التحليل الدلالي، إجراءاته و مناهجه، كريم زكي حسام الدين ، دارغريب ، القاهرة ، مصر، ج:01، ص: 92.

2 - جدل اللفظ و المعنى، مهدي أسعد عرار، داروائل ، عمان ،الأردن، 2002 م، ط: 01 ، ص: 22.

3 - المرجع نفسه، ص: 26.

4 -المرجع نفسه ، ص: 27.

5 - المرجع نفسه، ص: 28.

6 - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 2007م، ط: 01، من ص: 101 إلى ص: 115.

7 - ينظر: المرجع السابق، من ص: 14 إلى ص: 24.

3- و يتعلق الأمر:

أ- بتخصيص الفصلين الأول و الثاني من هذا البحث للحديث عن (المستوى الصرفي) بعده الأنسب لدراسة الألفاظ المفردة(أفعال وأسماء) لاهتمامه ببنية الكلمة من جلّ جوانبها[1] و أثر ذلك على الجانب الدلالي.

ب- بتخصيص الفصلين الثالث و الرابع للحديث عن (المستوى التركيبي) باعتباره الأليق بدراسة الجمل (الفعلية و الاسمية) لاهتمامه بالتركيب الإسنادي و دلالاته من خلال بعض الظواهر كالتقديم و التأخير و الذكر و الحذف، و غير ذلك مما لا يكون شيء منه إلا في تركيب متجنّبين – في ذلك الحديث عن كل مركب إضافي أو وصفي أو عطفي[2].

والمعروف أن" الجملة هي جزء من الدلالة النحوية و الأخيرة تؤدّي إلى دلالة السياق، و هو الذي يبحث في التركيب"[3]، و قد " عرف ارتباط التركيب بالمعنى، فكانت الرغبة القوية في فهم فهم القرآن و معرفة أسرار تركيبه من أهم أسباب نشأة النحو"[4] .

كما أن النحو لا يكون إلا في جملة، و لذلك يعتبرها " بعض اللغويين من أهم وحدات المعنى، بل و يعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها، و عند هؤلاء لا يوجد معنى منفصل للكلمة، و إنما معناها في الجملة التي ترد فيها"[5].

ولاعتبار أن الجملة هي ظاهرة من الظواهر اللغوية، فقد " ينظر إليها من جهة الشكل أو من جهة المعنى الدّاخلي، و الشكل الخارجي هو صيغة الكلمات و مواقعها، و الداخلي هو المعاني أو الأغراض "[6] و هو ما يعبر عنه – عند بعضهم – ب"الصيغة النحوية و المعاني النحوية

1 - و أعني بذلك: الجمود و الاشتقاق – التعريف و التنكير – التذكير و التأنيث – الإفراد و التثنية والجمع - الزمن: (الماضي، الحاضر، المستقبل).

2 - مخالفين بذلك ما ذهب إليه بعض من جعلها جملا مستقلة، و معللين ذلك بأنها لن تكون إلا متعلقة بجمل قبلها (اسمية أو فعلية) مذكورة أو مقدرة.

3 - مصطلحات الدلالة العربية ، المرجع السابق، ص: 113.

4 - الدلالة و التركيب، المرجع السابق، ص:57.

5 - علم الدلالة، أحمد مختارعمر، المرجع السابق، ص: 34.

6 - النحووالدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1420هـ / 2000م ، ط: 01، ص: 39.

فالصيغة النحوية قالب جامد يحشى بالأمثلة، على حين المعاني النحوية تتعدد و تتحدد بتحدد الإبداع في النص"[1].

إذن فلأجل كل هذا سنخصص حديثنا – كما ذكرنا – للجمل الفعلية (في الفصل الثالث) والاسمية (في الفصل الرابع).

هذا،و إنّ من الدّواعي التي جعلتنا نقسم البحث، عموما إلى (مفردات و تراكيب) هو أن الاتجاه العام الآن قد صارت النظرة فيه إلى التحليل الدلالي على أنه يغطي فرعين:

"أ- أحدهما يهتم ببيان معاني المفردات، و ذلك حين تعمل الوحدات اللغوية كرموز لأشياء خارج الدائرة اللغوية.

ب- و الآخر يهتم ببيان معاني الجمل و العبارات، أو العلاقات بين الوحدات اللغوية مثل المورفيمات و الكلمات و الجمل، و ذلك حين تقوم العناصر اللغوية بدور الرموز لعلاقات بين عناصر لغوية أخرى"[2].

ولعل مردّ انحصار هذا الاتجاه في هذين الفرعين هو أن التناص من أساسه – قد كاد ينحصر بدوره في الألفاظ و التعبيرات و الأفكار[3] إلا أننا في بحثنا هذا لن نجعل من المعجم اللغوي منطلقا في الدراسة ، و إنما منطلقنا هو من القاموس القرآني كما هو مبين في عنوان البحث.

وعلى ضوء كل هذا فإنه لمن الضروري بدءا الحديث عن المراد بالألفاظ القرآنية ، ثم عن المراد بالألفاظ المفردة و المركبات الإسنادية و كذا الحديث عن سبب البدء ب(الفعل) قبل (الاسم) ، ثم عن سبب الابتداء بالصيغ الإفرادية قبل التراكيب الإسنادية فهذه أمورلما لها من أهمية نحاول الإجابة عنها في هذا الملخص.

فأما المراد بالألفاظ القرآنية: فكل لفظ ذكر في القرآن الكريم سواء أريد به المعنى الذي توارثه العرب عن أجدادهم، أو المعنى الشرعي الإسلامي الجديد[4]، خصوصا منها تلك التي تجلت فيها بعض المواصفات التالية:

---

1 - في اللسانيات العربية المعاصرة، خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1429 هـ/ 2008 م، ص: 67

2 - علم الدلالة، المرجع نفسه، ص: 6 و 7.

3 - ينظر: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 455.

4 -و قد فصّل السيوطي الحديث في ذلك في كتابه: المزهر في علوم اللغة و آدابها، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة و النشروالتوزيع، 1425 هـ - 1426 هـ /2005 م، ط: 01 ، من ص: 230 إلى ص: 237 . لكن و للتنبيه فالذي نعنيه – بالدراسة– ليس كل الألفاظ الإسلامية ، بل القرآنية فقط.

ـ كثرة ورودها في القرآن الكريم و في الإلياذة كنحو : الإسلام – عيسى – الوحي .

ـ استئثار القرآن الكريم بها لأهميتها كنحو: الله – الملائكة .

ـ ورودها في القرآن الكريم لمعان مختلفة عن التي يريدها العرب بمعنى استئثاره بتلك المعاني كنحو: الصلاة – الحج .

ـ ورودها في الإلياذة لمعان مختلفة جدا عن المعاني القرآنية (الأصلية)، وهذه الخاصية تنطبق على معظم الألفاظ التي اخترنا للدراسة

ـ ورودها لإيحاءات دلالية صارخة.

والمراد بالألفاظ هو (الكلمات) أو (الوحدات) المعجمية، و لا نعني بها : المصطلح الحديث (المورفيم) الذي رغم أن له معنى معينا إلا أنه" غير قابل للتجزئة إلى وحدات ذات معنى، في حين أن الكلمة قد تحتمل التجزئة نحو: (المعلمون) هي كلمة واحدة تتكون من عدة مورفيمات الـ + معلم + ون "[1]

فالمسلّم أن المورفيم (الـ) الذي يُعدّ من السوابق له معنى معين، و هو التعريف (بالعهد أو بالجنس)، و المورفيم (ون) الذي يُعدّ من اللواحق له أيضا معنى محدد، و هو (جمع المذكر السالم)[2]، و لكن، و رغم ذلك فوجود كل واحد من هذين المورفيمين مستقلا لا يؤدي فائدة معينة، و عليه فلا يمكن الحديث عن البعد الدلالي له، و لذلك فسيكون مدار الحديث عن الكلمات، و ليس عن المورفيمات.و الكلماتُ هي الألفاظ المفردة ، و اللفظ كما يبين ابن مالك في قوله

كلامُنَا لفظٌ مُفِيدٌ كـ (استَقِمْ)

واسمٌ و فِعْلٌ ثمّ حَرفٌ (الكلِمْ)[3]

أقسامثلاثة هي المذكورة في البيت الشعري، لكنّ الجدير بالذكرأنّ الألفاظ المعنيّة بدراستنا في هذا البحث و في الفصلين (الأول و الثاني ـ تحديدا ـ) محصورة في الأفعال و الأسماء، من منطلق أن علم الصّرف لا ينطلي إلا عليها دون الحروف و الضمائر و الأدوات[1]

1 - في اللسانيات العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص: 64.

2 - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 62 و 63.

3 - ألفية ابن مالك – في النحو و الصرف، محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، 1430 هـ / 2009م، ص: 02.

فإن قيل: بأن الفعل مع مرفوعه ،أو معه و مع المنصوب يؤلف جملة ، و الجملة تركيب و ليست لفظا مفردا؟.

نقول: كان الأمر ليكون كذلك لو أن الشاعر استعمل الفعل مع مسنده (من القرآن الكريم كلاهما) و هذا ما سنتحدث عنه في الفصل الثالث ، أما الذي نعنيه بالدراسة في الفصل الأول هو استعماله لبعض الأفعال القرآنية مع ما تسند إليه (من غير القرآن الكريم) ذلك لأن " الفعل – في الأصل – كلمة مفردة سواء أكان هذا الفعل ماضيا أو مضارعا أو أمرا"[2].

وأما المراد بالمركبات الإسنادية فهي – في اعتقادنا – الجمل الفعلية و الجمل الاسمية فقط لاعتبار أن ما دونها لا يكون إلا متعلقا بهاته أو بتلك.

وأما عن سبب ابتدائنا بـ(الفعل) عموما قبل (الاسم) (سواء المفرد أو الواقع في تركيب) فلعل ما سنورده من كلام للجرجاني كفيل بالإجابة عنه حيث يقول"إنّ موضوع الاسم على أن يُثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجديده شيئا بعد شيء و أما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجديد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء، فإذا قلت: زيد منطلق فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد و يحدث منه شيئا فشيئا بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيد طويل و عمر قصير فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد و يحدث بل توجبهما و تثبتهما فقط و تقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرّض في قولك: زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد"[3].

إذن ف "الفعل يقتضي مزاولة و تجدد الصفة في الوقت و يقتضي الاسم ثبوت الصفة و حصولها من غير أن يكون هناك مزاولة و تزجية فعل و معنى يحدث شيئا فشيئا"[4] .

فبالنظر إلى هذا الكلام، و ربطه بكلام خليفة بوجادي و هو يعلل سبب ورود الثابت الفعلي في إلياذة مفدي زكريا بنسبة تتجاوز بكثير نسبة ورود الثابت الاسمي[5]. حيث يذكر بأن ذلك إنما ينم

---

1 - ينظر: في اللسانيات العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص: 69.

2 - علم الدلالة ـ أصوله و مباحثه في التراث العربي ـ ، منقور عبد الجليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010 م، ص: 243.

3 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تقديم علي أبوزقية ، موفم للنشر ، 1991 م ، ص: 173 و 174.

4 - المرجع نفسه، ص: 175.

5 - هو – في الواقع – يتحدث عن الجمل في الإلياذة عموما.

عن" حجم الإلياذة و تجددها ... فهي تزخر بالحيوية، تتسم بتجدد الأحداث و تجدد الأفعال"[1] يتبين وجه اللفتة الدلالية من إيثارنا الابتداء بالثوابث الفعلية قبل الاسمية سواء ما انفرد منها، إذ قدمنا الحديث عن الأفعال المفردة(في الفصل الأول) قبل الحديث عن الأسماء المفردة (في الفصل الثاني)[2] أو ما تركّب منها، إذ قدمنا الحديث عن الجمل الفعلية (في الفصل الثالث) قبل الحديث عن الجمل الاسمية (في الفصل الرابع)[3].

فإن قيل: و ماذا عن تقديم (الإفراد) في الفصلين : (الأول و الثاني) على التركيب في الفصلين: (الثالث و الرابع)؟.

نقول : فعلنا ذلك من منطلق أن اللفظ المفرد لا تقييد فيه بخلاف التركيب، و المطلق ـ في النظر العقلي- أغزر إيحاء، و أكثف تصويرا، و أرحب للتوسع الخيالي و الدلالي، فكلما قل التلفظ (الدال) زاد (المدلول). و كلما زاد (التلفظ) قل (المدلول) أو كما يقول دارسو الفلسفة بأن الماصدق يقل كلما كثر المفهوم، و العكس بالعكس.

4- بالنسبة للمستوى الرابع (المعنى) استغنينا عن تخصيص فصل له لتضميننا إشارات[4] كثيرة إليه في ثنايا الفصول و المباحث المدروسة، و ذلك من خلال الحديث عن الدلالة المعجمية القرآنية (للشواهد) كما ذكرنا[5].

1- الثابت اللساني في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 48 و 49.

2 - بعد مراجعة إحصائية تبين أن شواهد الأفعال (بمختلف أبنيتها و مواضعها حتى المتكررة منها) قد تجاوزت المائة و الثلاثين فعلا، في حين لم يتجاوز عدد الأسماء التسعين، و حتى هذه التسعون فمعظمها من نوع الجامد الدال على المعنى (المصادر و أسماؤها) أي : مصادر الأفعال، أو من المشتقات التي تعد بمثابة الفعل(من حيث العمل و الدلالة).

3 - بعد مراجعة إحصائية ـ كذلك ـ تبين أن شواهد الجمل الفعلية قد تجاوزت الأربعين في حين لم يتجاوز عدد الجمل الاسمية العشرة ، و حتى هذه العشرة لم تخل أخبارها من الثابت الفعلي كنحو: (تجلى) و (وعدوا) أو ما يدل على هذاالثابت – من المشتقات – كنحو (ظلوما) و (ناظرة) . أما الأخبار التي تعد من نوع الجامد الدال على الذات فهي نادرة كنحو : (الحجارة) و (العماد) فهما – هنا – للثبوت لا الحركية .

4 - و هذا المعنى هو الذي أشار إليه مهدي أسعد عرار بقوله عن الدلالة المعجمية بأنها: " التي تؤديها المعجمات عارضة لشرحها شرحا عاما يوضح المعنى الأصلي" / تراجع الصفحة: 22 من هذه الدراسة.

5 - للتذكير فمنطلقنا – في هذه الدراسة – هو المعجم القرآني لا اللغوي.

الفصل الأول-

البنى الصرفية للأفعال المفردة

دراسة دلالية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المراد بالفعل – في اللغة هو العمل، " وفي الاصطلاح الكلمة التي تدل على حدث و زمن مقترن به، نحو " كتب، يكتب، اكتب .. "[1].

- والمراد بـ المفرد كل فعل استعمله الشاعر دون العبارة التي ذكر فيها في القرآن الكريم، نحو: (جلّ - جحد - أرسل - تطهّر- توارى).

-و الواقع أنّ البنى الصرفية لهذه الأفعال متعددة ومختلفة من نحو: الزمن (ماضي و مضارع و أمر)، الأصل (التجرد و الزيادة)، النقص و التمام، الجمود و التصرّف الصحّة و الاعتلال، الإعراب و البناء، و غيرها[2]، و لعلّةٍ ما[3] سنكتفي بما يلي:

أولا :

بين التجرّد و الزيادة:

- المجرّد: " هو في اللغة، اسم مفعول من (جرّد الشيء) عرّاه، أزال ما عليه "[4]، و الفعل المجرّد هو الذي لا يتضمّن أيّ حوف من أحرف الزيادة بمعنى أنّ كل حروفه أصلية[5].

- و المزيد ، " هو في اللغة، اسم مفعول من (زاد) : كثر "[6]، و الفعل المزيد " ما زيد على حروفه الأصلية حرف أو اثنان، أو ثلاثة أحرف من أحرف الزيادة (سألتمونيها) نحو: " أقدم" و " انجرح " و " استخرج "[7].

- و الأفعال (القرآنية) في الإلياذة هي من حيث هذا منها المجرد و منها المزيد.

1- المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر مراجعة: إميل يعقوب دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1997م، ص: 307.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 307 و 308

3- و هي قلّة أو انعدام الشواهد التي يمكن التمثيل بها لبعض الأوجه الدلالية لبعض البنيات (في الإلياذة).

4- المعجم المفصل في علم الصرف، المرجع نفسه، ص : 361 .

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 325 .

6 -المرجع نفسه، ص: 367.

7 - المرجع نفسه .

I –المجرّد :

- بعد مراجعة إحصائية لنماذج المجرّد خلصنا إلى أنها لا تنفك تحيد عن البنى التالية: (فَعَلَ – فَعِلَ – فَعُلَ).

- و لأن صميم الدراسة حول الجوانب الدّلالية لهذه الألفاظ على هذه الهيئات فسنقتصر – في بحثنا – على هذه الأمور.

- لكن ، و قبل ذلك فإنّه ليحسن بنا – بدءا –أن نعرّج على شيء مما ذُكر عن الجوانب الدلالية النظرية العامة - لهذه البنيات - في الكلام على وجه العموم.

فمما قيل في ذلك مثلا –أنّ :

- **فَعَل**: تُساق إما للدلالة على الاضطراب، أو الاختفاء، أو الفراغ، أو الصوت، أو المنح، أو الأخذ، أو الأكل، أو الظلم ، أو الهدوء.

و أمثلة ذلك – على الترتيب- زَجَفَ –أَفَلَ –خَلا –نَطَقَ –جَزَى –أَخَذَ –أكلَ –ظَلَمَ –سَكَنَ و خَبَا[1].

بالإضافة إلى أمور أخرى، كالدلالة على حالة فسيولوجية كنحو قوله تعالى: ﴿يَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ... ﴾[2] أو على حالة سيكولوجية، كنحو قوله أيضا: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ... ﴾[3][4].

-**فَعِلَ** : و تساق إما للدلالة على العلل، أو الأحزان، أو الأفراح، أو الألوان، أو العيوب و أمثلة ذلك على الترتيب-مَرِضَ –حَزِنَ –فَرِحَ –صَفِرَ –حَوِلَ[5].

---

1 - ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، سوريا، 2003م، ص :47.

2 - سورة الأنفال، الآية : 42 .

3 - سورة الشورى،الآية : 28 .

4 - ينظر: الدلالة الإيحائية ... المرجع نفسه ، ص: 46.

5 - ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (م: 686هـ) مع شرح الشواهد لعبد القادر البغدادي، تحقيق وضبط و شرح ، محمد نور الحسن / محمد الزقراف / محمد محي الدين عبد المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1402هـ / 1982م، القسم الأول، الجزء الأول ، ص: 71 .

كما قد تكون لأمور أخرى كالدلالة على حالة سيكولوجية، كما في نحو قوله تعالى:﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُونَكُمْ ... ﴾[1].

و قوله : ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ ... ﴾[2]. أو على حالة بيولوجية، كما في قوله كذلك ﴿وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى ﴾[3].

أو على علاقة سلبية بين الفاعل و المفعول كنحو قوله تعالى:﴿عَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[4].

و قوله:﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾[5]. أو على احتواء الفاعل للمفعول نحو قوله كذلك:﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾[6]. أو على علاقة إيجابية بين الفاعل و المفعول كما في الفعل رَحِمَ[7].

- **فَعُلَ**: و تدل على الطبائع و الصّفات لأنها ملازمة لصاحبها، و لذلك كانت كلّ أفعال (فَعُلَ) لازمة[8].

هذا، و بعد قراءة دلالية للأفعال الثلاثية المجردة التي استعملها الشاعر في إلياذته تبين بأنها تشتمل على الآتي من الدلالات:

---

1 - سورة النساء الآية : 90 .

2 - سورة التوبة ، الآية: 81 .

3 - سورة طه ، الآية: 119.

4 - سورة البقرة، الآية: 216.

5 - سورة يوسف، الآية: 80.

6 - سورة البقرة، الآية: 20 .

7 - ينظر: الدلالة الإيحائية، المرجع السابق، ص : 48 و 49 و 50 .

8 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 50 و 51/ ينظر كذلك: شرح الشافية، المرجع السابق، ص: 74.

1- فعَلَ : و هي لمَا يلي:

أ- الدلالة على الاضطراب: و لنا في ذلك نماذج كثيرة نختار منها كلمات: (رَجّ – رجف – مار) و هي في الشواهد الآتية:

و رجّت حواجزجهم بالغلا ة غريق يشد بذيل غريقه[1]

هو المغرب الأكبر الأطلسي يرجّ بكل غبيّ بليـــــــد[2]

و يرجف بركانها ساخطا فيمسـخ صنّـــاع آثامهـــا[3]

و يصنع إيماننا أمّة قواما فترجف منها الضَلاله[4]

و كم شابه النيل نهر دما نا، تمور به المهج الفائــرة[5]

فالرّج في المعجم القرآني – هو التحريك بشدة[6]، و الرجف هو " الزلزلة الشديدة"[7] أي الاضطراب الشديد [8]، وأما المور فهو التحرك والدوران [9].

- و قد وظف الشاعر لفظة (رَجَّ) في الشاهدين الأولين للدلالة – في الأول – على هول الصدمة التى ألمت بالمتمّردين من أنذال الاستعمار الذين لمَّا أحسوا " بمحاولات التفاوض مع حكومة الجنرال ديقول تمردوا و حاولوا الانفصال و أقاموا الحواجز في أكبر شوارع العاصمة ضد القوات الموالية لديقول"[10]، و في ذلك تعبير عن حالة الاضطراب الذي شمل هؤلاء المتمردين إزاء قرار ديقول.

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 28 .

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 72.

3 -المرجع نفسه، ص: 73.

4 - المرجع نفسه، ص: 89.

5 - المرجع نفسه، ص: 46.

6 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، 1409،1989م، ج:01، ص: 473.

7 - معجم الألفاظ القرآنية و معانيها موسى بن محمد بن موسى بن يوسف القليبي،تحقيق : محمد محمد داود، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر 1423 هـ /2002م، ط:1 ،ص:113 .

8 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المرجع نفسه، ص : 477

9 - ينظر: معجم الألفاظ القرآنية . . ، المرجع نفسه، ص : 230

10 - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 28 (تعليق مولود قاسم نايت بلقاسم).

أما في الثاني فقد أراد باللفظ الدلالة نفسها و لكن من جانبها المجازي، حيث نسب هذا الرج لشيء هو بذاته معنوي، و ذلك لغرض التجسيد للإشارة إلى فكرة الاستهجان و المعاتبة التاريخية لكل خالف مخلف عن ركب النضال ، أو لكل غبي بليد ، لأتفه الأسباب يستدرج إلى أحط المدارك.

- وأما توظيفه للفعل (رجف) فقد أراد به في الشاهد الثالث الدلالة على هول الصدمة التي هزت جنبات هذا الحمام العريق الذي ارتجف سخطا واستنكارا لكل مظاهر التفسخ التي انتسبت إليه وهو لها من الرافضين، وفي الشاهد الرابع أراد به الدلالة على حالة الخوف و الارتعاد الذي يعتري كل رمز من رموز الباطل إذا ما حدثت المواجهة بينه وبين صرح الإيمان الشموخ، قال الله تعالى: ﴿ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1] وقال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[2].

وقد وظف الشاعر لفظة (مار) في الشاهد الأخير للتعبير عن ذات الدلالة وذلك في سياق الحديث عن هول ما لاقاه المصريون على أيدي الفراعنة الطغاة إلى أن بنيت القاهرة التي بها نهضت مصر لكي تنفض عنها غبار السنين بل القرون[3].

ب- الدلالة على الظلم: ولنا في ذلك ـ أيضا- نماذج كثيرة نختار منها كلمات: (جحد – ضل – غوى – خان)، وهي في الشواهد الآتية:

- وكم بالجزائر من معجزات ... وإن جحدوها ولم تكتب[4]
- وكم جحدوا فضلنا و الجميلا ... فكان الحساب عسيرا طويلا[5]
- وإن يجحدوني .. فحسبي أني ... وهبت الجزائر فكري وعمري[6]
- ولن ينكر المجد إلا الجبان ... ولن يجحد الفضل إلا العتل[7]

---

1 - سورة الإسراء، الآية: 81.

2 - سورة الأنبياء، الآية: 18

3 - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 46 (تعليق مولود قاسم..)

4 - المرجع نفسه، ص:45

5 - المرجع نفسه، ص: 79

6 - المرجع نفسه، ص: 115

7 - المرجع نفسه، ص: 116

- ويضحـك فوروم مـــن حيـــو ان غواه السراب فضل طريقـــه[1]

هي الأرض .. أرض الجزائر ..مهما غوت، وصبت .. أبدا .. لن تخونا [2]

والجحود: أو الجحد، هو " نفي ما في القلب ثبوته أو إثبات ما في القلب نفيه، والمراد به ... الإنكار عن علم " [3] كما يدل – أيضا – على قلة الخير [4].

والضلال هو " الحيد و الميل عن طريق الهدى "[5] أمّا الغواية فهي الاعتقاد الفاسد الذي يؤدي إلى إلى الميل عن طريق الهدى في الظّاهر مع عدم الخروج عن طريق الرشاد "[6] .

و أما الخيانة فتدل على نقض العهد إمّا بالنّفاق أو بالنميمة[7].

و كل هذه المعاني يجمعها معنى واحد و هو الظّلم وأي ظلم هو ـ عند الشاعر ـ أكبر من أن يتنكر لمزايا بلده (بكل مستوياتها: الطبيعية و التاريخية و النضالية و غيرها ...) ،أو لمكانته هو لما قدّمه من تضحيات (بدنية و كتابية) في سبيل هذا البلد، أو من أن ينزل بعض من أبناء بلده إلى مستوى البهيمية لأجل غَيّ سببه سراب من الفكر فضلوا عن سواء السّبيل بتأييد بعض المتمردين ضد بلادهم[8]، أو من أن يُقدِم بعض من أبناء أرض الجزائر على أمر شنيع كالخيانة التي نفاها الشاعر حتى و لو ثبت ما قد يصنف في باب الغَيّ و الصبأ، و إن كان فيهما من الظلم للذات الكثير، إلا أنّه أخفَ إذا ما قورن بظلم الآخرين و خيانتهم.

ت – الدلالة على الهدوء: و لنافى ذلك كلمة (زجى)، و هي في الشواهد التالية:

و هب الأمازيغ من دوناطو س تصول، و تزجي الخميس اللهام[9]

---

1 - المرجع نفسه، ص: 28

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق ، ص : 29.

3 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر ، 1394هـ / 97. ط : 03 ، ج : 21 ، ص : 03.

4 - ينظر: أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تقديم وشرح وتعليق : محمد أحمد قاسم ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، 1426هـ/ 2005م، ص: 114 و 115.

5 - معجم الألفاظ القرآنية و معانيها، المرجع السابق، ص: 153 .

6 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 174.

7 - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم : كمال سليمان دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، ص: 519.

8 - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 28 (تعليق مولود قاسم..).

9 - إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص: 38.

و تذكر تا قست يوم انطلقنا أغستنـــس يزجـي ركاب الدهـور[1]

ولولاك يا شعب –تزجي الشرا عَ، لمـا بلغ الرّكـب شاطـــي الهنـا[2]

حيث دلت اللفظة في كل الشواهد على معنى الهدوء، فلم يحتج فيرموس بن نابال الملك المازيغي إلى كبير الضجة لغزو الرومان نظرا لحكمته و رجاحة عقله التي جعلت أهل البوادي من شيعة دوناطوس يبايعونه، بل و حتى بعض الضباط الرومان أيضا فجمع جيشه و انتصر على الرومان، و لم ينهزم إلا بعد أن غدر به أخوه جلدون[3].

و هذا أغستنس المولود بمدينة تاقست (سوق اهراس) يتضلع في مختلف العلوم ليصير عبقري زمانه حيث أصبح (أسقف قرطاج)[4] الذي يسير الأمور عن خبرة و حكمة و حسن تدبير.

و ها هو ذا الشعب الجزائري الذي يعود إليه كبير الفضل في حسن تسيير الشراع الذي به بلغ ركب الزمان شاطئ النجاة.

و كل ذلك إنما تمّ، و يتم و لن يتم إلا في جو الهدوء و لولاه لما كان هناك حسن تدبير و لما كان هناك نصر و لا نجاة.

ث: الدلالة على الصوت:

ولنا في ذلك لفظتا (تلاّ و نعق)، و هما في الشاهدين الآتيين:

- و بنت الجزائر تتلو نشيد العذارى فتصغي الدّنا راكـــــــعة[5]
- وتنعق أبواق.. ماركس فيـــــــهم فيتخذون الدليل...الغرابـــا[6]

والمراد بالتلاوة هو المداومة على دراسة المتلو، و لزوم العمل به ، و اتباع ما فيه أمرا و نهيا[7]، أما النعيق فهو- كما ذكرنا- الصياح بما لا يفهم معناه.

و قد وظف الشاعر هذين الشاهدين بما يحملان من دلالة الصوت للإشارة في الأول منهما

---

1 - المرجع نفسه، ص: 74.

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 78.

3 - ينظر :المرجع نفسه، ص: 38 (تعليق مولود قاسم).

4 - ينظر:المرجع نفسه، ص: 74 (تعليق مولود قاسم).

5 - المرجع نفسه، ص:83 .

6 - المرجع نفسه، ص: 99 .

7 - ينظر: تفسير المراغي، المرجع السابق، ج: 15، ص: 141.

إلى أن هذه الأناشيد التي تتلوها بنت الجزائر[1] إنما تتلوها جهارا و ما يحمله هذا من معنى التحدي للعدّو، و ربما ما يعزز هذا هو أمران:

- لفظة (نُصغي) في البيت نفسه، و الإصغاء للمسموع.

- عبارة: فرضنا إرادتنا ... في البيت الأول من المقطوعة نفسها[2].

أما الثاني فللإشارة إلى التبجح الذي بلغه أتباع الماركسية العقيمة حيث صاروا يجاهرون باعتناقهم لها و يفتخرون بذلك و يعتزون.

ج- الدلالة على الاختفاء: و يمكن التمثيل لذلك، بلفظة (خسف) التي في قول الشاعر:

و إن خسفوا نجم هذا الشما ل فللشعب حزب مضى مستمرا[3]

حيث قدُ حلّ حزب نجم شمال إفريقيا[4]، و في حلّه اختفاء وزوال له علما أن الخسف في القرآن هو هو بمعنى ذهاب نور القمر أو تغييب الأرض للناس عند الغور[5].

ح – الدلالة على المنح: و نمثل له بلفظة (تهدى) في قول الشاعر:

و تهدي النفوس الصراط السو ي و تغرس فيها معاني الإباء[6]

لأن في التعبير مجازا بذكر السبب وإرادة المسبب فما جمعية العلماء إلا سبب في الهداية ، التي هي محض إرادة الله تبارك و تعالى و محض هبة منه يهبها لمن يشاء.

2-فُعِلَ و هي لما يلي:

1 - و هوعنوان لقصيدة منشورة في اللهب المقدس، المرجع السابق، ص: 93.

2 - و هي في قوله: فرضنا إرادتنا الفارعة و لم تخبُ نيراننا الدالعة.

3 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 63.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص:63(تعليق مولود قاسم).

5 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 353

6 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 62.

أ – **الدلالة على علة اجتماعية:** و لنا من ذلك الفعل (زاغ) في قول الشاعر:

و زاغوا بهم دون إسلامهم إلى مذهب ليـس بالسالـــم[1]

و حرف من زاغ إسلامهم و أفقدهم و عيهم و الصوابا[2]

و الزيغ هو "الانحراف و الميل مع الأهواء"[3]، إذن فهو لفظ دال على آفة اجتماعية وظفه الشاعر في كلا البيتين " للإشارة إلى ما يقوم به بعض الأساتذة المتعاونين من محاولات إغراء الشباب و التأثير فيه و تضليله بأيديولوجيات مستوردة أقل ما يقال فيها أنها لم تفد حتى أهلها حيث لم تأت لهم بالجنة الأرضية المنتظرة بالعكس!وهم يقومون بذلك بالحفلات في بيوتهم، حفلات الخمر و الرقص...و التعقيد للشباب"[4]، وفي هذا السياق يقول صاري الجيلالي: " إن أهداف الاحتلال الاستعماري، لم تتمثل في الاستيلاء على ثروات البلاد واستغلالها استغلالا مُحْكَمًا و بأخفض الاستثمارات فحسب، بل رمت أيضا إلى تحقيق سياسة واسعة النطاق تعتمد قبل كل شيء على استطانة عدد وافر من الأوربيين إلا أن تطبيق هذا المخطط نفسه ظل مرهونا بعامل آخر يضمن وحده و للأبد بقاء الهيمنة الفرنسية و سيطرة الحضارة الغربية، و هذا العامل هو القضاء على العقيدة و بالتالي الحضارة العربية و الإسلامية"[5] و ذلك من خلال التغريب الذي أعدوا له وسائله من مسخ و تنصير و تجنيس و محاربة للغة و تهجير وغزو فكري[6] .

ب- الدلالة على حالة نفسية (سيكولوجية) ونمثل لها بالفعل (هيم) في قول الشاعر :

ولا يكتم الســـر إلا المشـــو ق، و من لم يهم ليس يكتم سرّا[7]

و هام بك الناس، حتى الطغاه و ما احترموا فيك حتى الزمان[8]

---

1 - المرجع نفسه، ص: 96.

2 - المرجع نفسه، ص: 99 .

3 - معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المرجع السابق، ص: 539.

4 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق ، : 96 (تعليق مولود قاسم)

5 - مجلة الأصالة، الجزائر، (1399 هـ - 1979 م) (1400 هـ - 1980 م الأعداد (75 – 76 – 77 – 78) ، ص : 330.

6 - ينظر : شايف عكاشة، مجلة الحضارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1422 هـ ، 2001 م، العدد : 07، من ص : 143 إلى ص: 160.

7 - إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص: 25.

8 - المرجع نفسه ، ص: 118.

و أغريت مستعمريك، فراحوا يهيمون في الشّرق بالصولجان[1]

والهيام هو كالجنون، و يكون أيضا بمعنى من يذهب على و جهه عشقا[2]، " و هامت الناقة تهيم: ذهبت على وجهها لرعي"[3] .

و في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[4] أي: "يخوضون و يذهبون كلّ مذهب"[5].

و الظاهر أن الشاعر قد استوحى من هذا الفعل كل ما ذكرنا من معان للتعبير عنها فيما ذكرنا من شواهد، و لكن لغرضين متباينين إذ يريد بتوظيفه للفعل

- في الشاهدين: الأول و الثاني، الجانب الإيجابي في هذا الهيام و كيف أنه بالفعل محفِز فعّال على كتم الأسرار من جهة، و من جهة أخرى كيف أن هذا البلد بجماله و تاريخه العريق قد افتتن به كل الناس حتى الأعداء.

ـ أما في الشاهد الثالث فالظاهر أنّ الشاعر قد أراد به جانبه السلبي إذ شبه فيه هؤلاء المعمرين بالبهائم التي ترعى هائمة على وجهها من غير حدٍ لهذا الرعي تماما كما فعل " الاستعمار بعد احتلال الجزائر، بعد مقاومة طويلة منها راودته نفسه عن الامتداد و كان له ذلك، فاحتلت تونس، ثم مصر، ثم ليبيا، ثم المغرب ثم سوريا و لبنان، و العراق، و فلسطين"[6].

ت – الدلالة على الحزن: و نمثل له بالفعل (تَعِس) و هو في قول الشاعر:

وتعس شباب عديم النهي على رجس عاداته لا يثور![7]

و التعس هو الهلاك أو العثار أو الشقاء[8] .

---

1 - المرجع نفسه.

2 - ينظر: لسان العرب، المرجع السابق، المجلد الخامس، مادة "هيم" ص : 441 .

3 - المرجع نفسه.

4 - سورة الشعراء، الآية: 225.

5 - تفسيرمفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 218.

6 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 118 (تعليق مولود قاسم).

7 -المرجع نفسه، ص: 108.

8 - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم،المرجع نفسه، ص : 416.

صحيح أن المراد هو الدعاء – كما سيأتي بيانه ، و في الوقت ذاته فاللفظة تتضمن دلالة أخرى هي الحزن، فما الهلاك و العثار و الشقاء إلا مظاهر لهذا الحزن و علامات له.

3-فَعُلَ و هي لما يلي:

- الدلالة على لزوم الصفة لصاحبها: و مما نختاره للتمثيل لذلك الفعل (جلّ) في الشاهدين التاليين:

نوفمبر جل جلاك فينا ألست الذي بث فينا اليقينا[1]

وجل الفدا بالملايين شرفت ، الخلد، في رفرف العاليه[2]

وعلى الرغم مما في البيتين من مجاز ينم عن مبالغة من المبالغات المفرطة التي عرف بها مفدي زكريا، إلا أن ذلك لا يمنع من الاعتراف بما لجهاد أبطال ثورتنا المظفَرة من عظيم الشأن، و ما لنوفمبر – على و جه التخصيص – من جلال خالد خلود الزمان و المكان.

II – المزيد

إذا كانت الأفعال الثلاثية المجردة قد حظيت في الإلياذة – بهذا النصيب من الدلالات، فإن (المزيد) منها[3] لا يقل أهمية عنها[4] سواء من حيث العدد، أو من حيث التلون في الأوجه الدلالية الدلالية المستوحاة من هذه الصيغ.

لكن و قبل الحديث عن ذلك فإنه ليحسن كالعادة أن نشير إلى بعض ما ذكر من الدلالات التي تتضمنها صيغ المزيد على وجه التعميم، و التي منها في صيغة:

- فعّل: التكثير و النسبة و التعدية[5] و الإزالة و اختصار الحكاية، و أمثلتها (على الترتيب) : ذبّح، وجهّل (إذا نسب فلان غيره للجهل)، و ضلّل و قشّر، و سبّح (إذا قال: سبحان الله).

- أفعل: و هو في الغالب للتعدية كنحو: أقعدته - أجلسته[6].

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 70.

2 - المرجع نفسه، ص: 85.

3 - و أعني (من الأفعال) لا (من الثلاثية) .

4 - أي: عن الثلاثية المجردة.

5 - ينظر: كتاب فقه اللغة و سر العربية: أبو منصور الثعالبي، تحقيق و مراجعة : فائز محمد و إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1420 هـ / 1999 م ، ط: 04، ص: 340 .

6 - ينظر: شرح الشافية، المرجع السابق، ص: 83.

- **فاعل:** و يكون بين اثنين كنحو: ضارب[1]. و للموالاة كنحو: تابع ووالى.

- **تفاعل:** و يكون للمشاركة، و للتظاهر كنحو: تناظر و تمارض[2]، و كذا للدلالة على مطاوعة (فاعل) كنحو:تباعد من بَاعَدَ.

- **تفعّل:** و يكون للتكلف، و للمطاوعة كنحو:تشجّع، و تأدّب[3]،و للتدريج كنحو: تجرّع وترشّف.

استفعل: و يكون للتكلف، و الطلب، و الصيرورة كنحو: استعظم – استسقى - استنسر[4]، و كذا لاختصار الحكاية، كنحو: استرجع، أي: قال: **إنا لله و إنا إليه راجعون**.

- **انفعل:** و هو للمطاوعة، نحو انكسر من (كسر) وانجبر من (جَبَرَ)[5].

- **افتعل:** و يكون للصفات الحادثة كنحو: افتقر وافتتن[6] و للمبالغة، و للمطاوعة كنحو: انتزع و اجتمع.

إفْعَلّ: و يكون للدلالة على اللون أو العيب كنحواخضرّ و اصفرّ واعورّ واعوجّ.

افعَالّ و افعوعل: و كلاهما للزيادة في الشيء كنحو:اخضارّ و اعواجّ واعشوشب واخشوشن.

- و بعد قراءة للأفعال القرآنية المزيدة (في الإليادة)تبين أنّ أغلبها كان على الهيئات التالية (أفعل – تفعّل – فَعّل – فاعل – تفاعل – افتعل) و بهذا الترتيب حسب نسبة التواتر، و لدلالات مختلفة و متداخلة أحيانا فإليك بيانها:

1- أفْعَلَ: و قد وظفه الشاعر لِما يلي:

---

1 - ينظر: كتاب فقه اللغة و سر العربية، المرجع نفسه، ص: 340.

2 - ينظر:كتاب فقه اللغة و سر العربية، المرجع السابق ، ص: 340 و 341 .

3 - ينظر: المرجع نفسه.

4 - ينظر:المرجع نفسه.

5 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 342.

6 - ينظر:المرجع نفسه.

ـ الدلالة على التعدية: و المراد هنا توظيف الشاعر المتعمّد للتعدية،وليس(لذات الفعل)، بل للإشارة إلى المفعول بعينه، و لنا في ذلك نماذج كثيرة منها (آمن – أبدع – أرسل – أوحى – أغرى) و هي في الشواهد التالية:

تنبّأت فيهـــا بإليادتـــــي فآمن بي و بهـا المتنبـــي[1]

وثورة قلبي كثورة شعبي هما ألهماني فأبدعت شعـــــرا[2]

و لو أرسل الله من مغرب نبيّا ... إذن كذّبـوا بالنّبـــــــي[3]

وأوحى له قمحنـــا غزونـا فأطلق هذى القمـوح سهامـــــا[4]

و أغريت مستعمريك، فراحوا يهيمون في الشرق بالصولجان[5]

و بصرف النظر عمّن يتعدى منها بنفسه أو بحرف الجر، فكلها مما يطلب مفعولا به بالضرورة، و قد حدّده الشاعر في كل بيت (مفعولا بعينه) للدلالة في الأول و الثاني على قمة الاعتداد بالنفس و الفخراللا محدود، و في الثالث على ذروة الاستنكار، و في الرابع على تمام تعجب الشاعر من مقابلة العدو لإكرامنا، و في الخامس على أبعد معاني الإعجاب بمفاتن بلده الذي هام به الناس حتى الطغاة.

2 ـ تفعّل: و قد وظفه لما يلي:

أـ الدلالة على المطاوعة و اللزوم: و نمثل لذلك بالفعلين (تقدّس و تطهّر)، و هما في الشاهدين الآتيين: تقدّس واديك، منبع عِزّي و مسقط رأسي و إلهام حسي[6] .

شباب تطهّر فيه الضمير، فأعرض عن شبهـات الطغـــام[7]

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 21.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص:25.

3 - المرجع نفسه، ص: 45.

4 -المرجع نفسه، ص: 53 .

5 -المرجع نفسه، ص: 118.

6 -المرجع نفسه، ص: 35.

7 -المرجع نفسه، ص: 109.

فأما المطاوعة فللإشارة إلى أنّ كلاً من (الوادي) و الضمير، إنما هما – في الأصل – مفعولان لِمَنْ يقوم ب(التقديس) و (التطهير) و أنّ هناك من لا ينفك يعمل على ذلك دون فتور.

و أمّا اللزوم فللإيحاء بثبوت صفتي (التقدّس) و (التطهّر) لكلٍ من (الوادي) و (هؤلاء الشباب) وملازمتهما لهما مادامت السماوات والأرض .

ب- الدلالة على التكثير (المبالغة) ولنا في ذلك الفعلان : (تلقّف وتأدّن) ، وهما في هذين الشاهدين :

تلقّف رايتك ابن الجزائر وعند ابن زيان تبلى السرائر[1]

تأدّن ربك ليلــة قــدر وألقى الستار على ألف شهــر[2]

والتلقّف – في المعجم القرآني – يراد به الابتلاع [3] و الالتقام السريع[4]، أما التأدّن فهو الإعلام إعلاما ليس معه شبهة [5] وقد يكون بمعنى الإقسام [6] :

أما عن اللفظتين في البيتين فقد أراد بهما الشاعر المبالغة من كل من اللقف (لاعتباره الأصل في التلقّف)[7]،والإذن (لاعتباره الأصل في التأدّن)[8] ولعل الشاعر قد أراد بهذا الأخير – في بيته – ذات المعنى الذي في قوله تعالى :" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا..."[9] وليس المراد الإعلام أو الإقسام – كما رأينا -، كما في نحو قوله تعالى : " وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ..."[10].

وعليه، وعلى ضوء ما سبق فقد يكون في توظيف بنية (تفعّل) في هذين الشاهدين التأكيد – في الأول – على الأمر بالتلقف وليس مجرد اللقف ، لما بينهما من كبير الفارق الدال بدوره على بعد

---

1 -إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 56.

2 -المرجع نفسه، ص: 69

3 - ينظر: معجم الألفاظ القرآنية ...، المرجع السابق ص:73.

4 - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص : 191.

5 - ينظر: المرجع نفسه، ص : 160.

6 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم ،المرجع السابق ، ص :43.

7 - ينظر: لسان العرب، المرجع السابق، المجلد الثالث، مادة:(لقف)، ص: 1132.

8- ينظر :المرجع نفسه، المجلد الخامس، مادة: (أذن)، ص :466.

9 - سورة الحج ،الآية: 39

10 - سورة إبراهيم، الآية: 07.

النظر لدى الشاعر وإدراكه – من خلال النصح – لأسباب الخلاص من كيد الأعداء ، وفي الثاني – للتأكيد من طرف المولى عز وجل على وجوب القيام بالثورة العارمة ضد العدو الظالم، وهي الدلالة التي قد تتضاءل ما لو استعمل الشاعر في بيته بنية المجرد (أذن).

3 ـ فعّل : وقد وظفه لما يلي :

أ – الدلالة على التعدية: والمراد – كما ذكرنا – الإشارة إلى مفعول معين، ولنا في ذلك نماذج نختار منها (كذّب و خلّد و ضلّل) وهي في الشواهد الآتية:

ولو أرسل الله من مغرب نبيا ... إذن كذّبوا بالنبـــــي[1]

وقال الذي خلّدوا شعـــره فداء الجزائر، روحي ومالي[2]

إذا ما فيوليت ضلّل قومــا وغرّ ضعاف العقول وأغرى [3]

حيث أراد الشاعر من وراء هذا التعيين (للمفعول به) لفت الانتباه إليه تحديدا دون غيره لأهمية ذلك في بناء الكلية العامة التي يدور حولها موضوع الإلياذة وهدفها .

فما ذكر الشاعر (بالنبي) إلا للإشارة إلى فضاعة ما بلغه بعض إخواننا من استعلاء وغرور، وما ذكره (شعره) إلا للفخر والاعتداد بالنفس، وما إيراده (قوما) إلا للتأكيد على أن المعنيين بهذا التضليل هم هؤلاء القوم الضعاف تحديدا، فهيهات أن يتسنى للعدوّ فعل ذلك مع الأقوياء.

وما هذه الثلاثة التي ذكرنا إلا صور من الصور واللوحات التي تتألف منها إلياذة الجزائر.

ب – الدلالة على التكثير : ويمثله الفعل (أدّن) في قول الشاعر :

وفي مشور المجد أدّن موسى وخلّد زيان مجد العرب[4]

والمشهورأن المراد بالفعل (أذن) هو التأذين المخصوص في الاستعمال للإعلام بدخول وقت الصلاة[5] ، إلا أن الشاعر – في الظاهر – لا يريد به ذلك بقدر ما يريد الجانب المعجمي اللغوي

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 45

2 - المرجع نفسه، ص: 61.

3 -المرجع نفسه، ص: 63.

4 -المرجع نفسه، ص: 33.

5 - ينظر: لسان العرب، المرجع السابق، مادة: (أذن)، ص: 466.

للفظ والذي يراد به العلم بالأشياء [1] ، ثم في تضعيفه (للعين) دلالة على المبالغة كما اللذي رأينا في الفعل طاف وطوّف [2].

و في ذلك لفت للانتباه إلى مدى علم هذا الرجل و إحاطته بالأمور السياسية على وجه الخصوص و ما يدل عليه من إصرار على تغيير الأوضاع من السيئ إلى الحسن ثم الأحسن.

4 ـ فاعل : و قد وظفه الشاعر لما يلي:

أ- الدلالة على التعدية: و نمثل لها بالفعلين (جَادَل و بَارك) و هما في الشّواهد التالية:

و تدمغ بالعلـــم من جادلـــو ك، فكنت الضّليع، وكانوا الحميرا[3]

فبارك باديس جمع الصفوف ودشـن باديـــس عهـــد الأمـــان[4]

وفي عمقها تكمن البركـــات إذا بارك السّعي صدق النّوايـــــا[5]

حيث جعل مفعول المجادلة هو كاف الخطاب العائد على شخص الأمير عبد القادر تحديدا للإشارة إلى رجاحة العقل لديه و الإشادة به من خلال ذكر محاولات العدو لإغرائه و كثرة محاوراته العلمية التعجيزية التي كان كثيرا ما يخرج فيها منتصرا، أو حتى على بعض القابعين ممّن يُحسَبون على (أرض الجلال).

كما جعل مفعول المباركة – في الأول – هوجمع الصفوف للتلويح إلى جهود الإمام عبد الحميد بن باديس لمحاولة التوحيد بين مختلف التشكيلات السياسية، بل و بين مختلف الفئات و الطبقات الاجتماعية.

وفي الثاني – للإشارة إلى أهمية السعي الدؤوب في تحقيق التقدم، بدل التّواكل، يقول مفدي:

ويزرع فلاحنا أرضه بذوب الشرايين لا بالتمني[6]

ولعلّ ممَا يعزز فكرة (أهمية السعي) هذه أمران :

الأول : وقوع المفعُول به (السّعي) مقدمًا على الفاعل .

---

1 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 464.

2 - ينظر: أساس البلاغة، المرجع السابق، ص: 535.

3 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 55 .

4 - المرجع نفسه، ص : 64

5 -المرجع نفسه، ص: 88.

6 -المرجع نفسه، ص : 87.

الثاني: وقوعه عمدة في جملة الشرط الذي على جوابه (وجود البركات) ينصب الغرض من الكلام كله.

ب- الدلالة على الموالاة : و نمثل لها بالفعل (جادل) في البيت الشعري السّابق، و ذلك للإشارة إلى استمرارية الجدال و المناظرات قصد الإطاحة بشخص الأمير عبد القادر و الإيقاع به في فخ التناقضات أو الإغراءات.

5 ـ تفاعل: وقد وظفه لما يلي:

أ ـ الدلالة على اللزوم: و لنا في ذلك لفظ (تبارك) في الشاهدين الآتيين:

تبارك واديك صومام إنّـــا حفظنا عهودك أيان ثرنـــا[1]

تبارك شعب تحدّى العنادا فصام، و أضرب سبعا شدادا[2]

وذلك للإشارة و التأكيد على ملازمة هذا التعاظم لكلٍ من : ـ وادي الصومام (و المراد مؤتمر الصومام و قصته التي لا تخفى على كلّ جزائري). ـ وكذلك الشعب الجزائري الأبي الذي استعصم و أضرب حتى ينال المطلب، ممّا جعل فرنسا تُجن و تعيث في عرض البلاد فسادا.

ب ـ الدلالة على المطاوعة: و هي في لفظة (توارى) في قول الشاعر:

وخامر دو بري صداع السُكارى و زلزله، عزمنا، فتوارى[3]

وفي ذلك إشارة إلى أن هذا التواري إنما هو نتيجة منتظرة لزلزلة عزمنا واشتداد إصرارنا فلم يكن هناك بدّ من أن يستجيب القدر للأمر بالانسحاب و الكف عن محاولة تنصير أطفالنا بأرض فرنسا[4].

6 ـ افتعل: و قد وظفه الشاعر للآتي:

ـ الدلالة على المبالغة: و نمثل لها بألفاظ (امترى – اغتصب – ازدرى) و هي في الشواهد الآتية:

فيامن تردد في وحـــدة بمغربنا وادعى وامتـــرى[1]

---

1 ـ إلياذة الجزائر، المرجع السابق ، ص : 71

2 ـ المرجع نفسه، ص: 77.

3 ـ المرجع نفسه، ص: 80.

4 ـ ينظر المرجع نفسه، (تعليق مولود قاسم).

عرجنا ننافح باينام ضحا كأنّا اغتصبنا لهامان صرحا[2]

وقالوا: حدود ... فدسنا الحدو د، ورحنا بأصنامــها نزدري[3]

حيث أراد في الأول التأكيد على أن هناك من يبالغ في التشكيك في نجاح مبادرة التوحيد بين أقطار المغرب العربي الكبير، بل و من يعمل بكلّ ما أوتي من قوة للحؤول دون تحققها. أما الثاني فقد أراد به الإشارة إلى أن هذا الصرح (الوهمي) لن يتنازل عنه دعاة الكفر حتىيُنتَزَع منهم انتزاعا (و كلها مجرّد صورة تشبيهية لا وجود لها في واقع الحياة، و إنما الغرض هو الإشارة إلى أن " غابة باينام أجمل مناخ جبلي في صدر عاصمة الجزائر يوحي بالعظمة و الشموخ"[4] . وأما في الثالث فللدلالة على منتهى احتقار الشاعر و استهجانه لفكرة وضع الحدود بين بلدان المغرب العربي الشقيقة، و استصغاره لشأن كلّ مَن كانت له في ذلك يد من قريب أو من بعيد .

ثانيا :

بين الأبنية و الدّلالات الزّمانية :

---

1 - المرجع نفسه، ص: 24.

2 - المرجع نفسه، ص: 26.

3 - المرجع نفسه، ص: 86.

4 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 26 (تعليق مولود قاسم).

" من البديهي أن يُعرب الفعل عن الزمان و أن يدل على أقسام هذا الزمان و دقائقه و ذلك بصيغ و أبنية و تراكيب معروفة، و هو أمر حادث في كثير من اللغات، و ليست العربية بدعا في ذلك بين اللغات فلا بد أن يُدل على الزمان في أبنيتها الفعلية.

غير أن الصعوبة في هذا الأمر أن أبنية الفعل العربي لا تفصح عن الزمان كما تشير إلى ذلك مصطلحاتها"[1] .... من تقسيم للفعل إلى ماض و مضارع و أمر، "و إنما يتحصّل الزّمان من بناء الجملة فقد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزّمان في حدود واضحة"[2].

ومع ذلك فيصح القول بأن الفعل – على العموم – ثلاثة : ماض، و تدل عليه – في الغالب – صيغة (فَعَلَ) و ما كان من قبيلها، و مضارع ، وتدل عليه في أغلب الأحوال (يفعل) و ما كان من بابها و هي للحاضر أو المستقبل[3]، و أمر، و تدل عليه في الأكثر صيغة (افْعُل) في حين يذهب البعض إلى أنه فرع عن المضارع لأنه – في الأصل – مضارع مجزوم بلام الأمر المحذوفة للتخفيف، و المحذوف للتخفيف هو في حكم الملفوظ به، و عليه فالأمر عندهم مضارع مجزوم[4] .

- إذن،فمما نخلص إليه أن كل صيغة ممَا ذكرنا قد تدل على أزمنة دقيقة و مختلفة من خلال بناء الجملة الواقعة فيها فإليك بيان ذلك:

فَعَلَ: و ما كان من بابها، (و أعني بذلك كل فعل بنيته للماضي): و هي لأمور كثيرة منها:

- أن يدل على مطلق الماضي نحو : مات زيد، أو على ما تردّد و قوعه نحو: أشرقت الشمس، أو على الدعاء بالخير أو بالشر (ما يعني الإشارة إلى المستقبل) نحو: رضي الله عن فلان، أو أماته الله، أو على استمراره حتى زمن التكلم كنحو قوله تعلى : ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ تِلِّي أَنْعَمْتُ

1 - الفعل زمانه و أبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة ، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ، لبنان، ص: 23.

2 - المرجع نفسه، ص : 24.

3 - ينظر: المرجع نفسه.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 48.

عَلَيْكُمْ ﴾[1] أو على أنّ الحدث قد و قع في زمن التكلم ذاته كما في نحو: بعتك هذا و زوجتك ابنتي[2].

- و قد تأتي للدلالة على المستقبل بعد (إذا) الظّرفية الشرطية، أو للدلالة على حدثين وقعا في الماضي إلا أن الأول منهما كان في اللّحظة التي يتم فيها الثاني، وذلك مع الظرف (لما). وقد تكون للماضي البعيد إذا سبقت بـ (كان) المسبوقة بـ (قد)[3]، كما قد تكون للدلالة على إثبات صفات لما أسندت إليه كنحو : كرم – صفر – عرج [4].

يفعل : وما كان من بابها (وأعني كل فعل بنيته للمضارع) : وهي لأمور منها : أن يدل على وقوع الفعل عند التكلم واستمراره كذلك ، وهو ما يسمى بالحال ، نحو : أراك في حيرة من أمرك ، أو على كثرة وقوع الحدث في كل زمان نحو قول أحدهم : " تلهو وتضحك والزمان يسير"[5] وقد تدل على الاستقبال بوجود (إذا) و (السين) و (سوف) و (لا) و (لن) أو لقرينة لفظية أخرى كنحو ما في قوله تعالى﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[6]، كما قد تدل على الماضي بوجود (لم) أو لقرينة لفظية أخرى كنحو قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ مِن قَبْلُ﴾[7] ، أو على وقوع حدث من قبيل الحقائق الثابتة نحو: تشرق الشمس وكل إنسان يموت[8].

كما قد تأتي للدلالة على استمرارية وقوع الحدث في الماضي كنحو قولنا : كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي بالجار [9] .

---

1 - سورة البقرة، الآية: 40.

2 - ينظر : الفعل زمانه و أبنيته، المرجع السابق، ص: 28 و 29.

3 - ينظر:المرجع نفسه، ص:29.

4 - ينظر:المرجع نفسه، ص : 30.

5 - هذا جزء من بيت شعري غير منسوب،وهو مذ كور في المرجع نفسه.

6 - سورة الحج ، الآية : 69.

7 - سورة البقرة، الآية: 91.

8 - ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، المرجع السابق، ص: 33.

9 - ينظر: المرجع نفسه

هذا، وإن اقتضى الأمرالحديث عن الأمر فهو – من ناحية – أسلوب إنشائي طلبي فليس له زمن معين يدل عليه ، ومن ناحية أخرى فالمأمور بالفعل قد يفعل وقد لا يفعل فإن كان سيفعل فقد أجاب وصار فعله في باب المستقبل، ثم إنه لا يصح الحكم على حدث بأنه يدل على زمن معين (المستقبل مثلا) وهو – أصلا – غير مؤكد الوقوع ، ولذلك فالبلاغيون يلحقون الأمر بباب الإنشاء الطلبي الذي لا يصح الحكم على صاحبه بالصدق أو بالكذب ، بخلاف الماضي والمضارع من خلال ماتقتضيه بنيتاهما الأساسيتان (فعل) و(يفعُل) وما يلحق بهما.

بعد هذا التنظير نأتي إلى شواهد الإلياذة عن البنى الصرفية الواردة فيها (للأفعال القرآنية) وما عساها تتضمن من دلالات من خلال مايلي :

1- **(فعل) وما كان من بابها:** الواقع أن شواهدها كثيرة جدا أثبتت المراجعة الإحصائية أنها قد تجاوزت الستين لفظا (في كل مواضع استعمالها) كنحو: (جل ، تقدس ، أوحى ، تبارك، عرج، جحد، ضل، زاغ ، امترى ، هدى ، رج ...الخ).

والملاحظ – على العموم – أن أغلبها موظف لأمر يكاد يكون واحدا ، وهو الدلالة على مطلق الماضي [1]، إلا ما استثني من ذلك كالدلالة – في بعض الشواهد – على الاتصاف أو على الدعاء أو على الشرط وإليك بيان ذلك من خلال هذا التقسيم.

أ - **الدلالة على مطلق الماضي:** و قد حصدت النصيب الأوفر من الألفاظ كنحو: (تنبَأ – آمن – طاف – بلا – جادل – أبدع – خسف – بارك – تأدّن – صام – جحد –أخلص – زاغ – ران.) و هي في الشواهد التالية:

تنبـــــأتُ فيـــها بإلياذتـــــي فآمن بـــي، و بهـــا المتنبـــــي[2]

وطافت بوهران جيطان غدرا وزيّان ما اسطاع حشد الجنـــــود[3]

بلونـــا السنين الطوال جهـادا تباركنـــا معجـــزات السّمـــــا[4]

وتدمـــغ بالعلـــم من جادلـــو ك، فكنت الضليع، و كانوا الحميرا[1]

---

1 - وقد يعتبر هذا طبيعيا بالنظر إلى طبيعة المدونة من حيث موضوعها العام إذ تعتبر أقرب إلى العمل التأريخي منها إلى غيره.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 21.

3 - المرجع نفسه، ص: 52.

4 - المرجع نفسه ، ص: 54.

جزائـر أبدعها ذو الجـــلال وصـــور طينتهـــا من نضـــــال[2]

وإن خسفوا نجـم هذا الشمـــا ل ، فللشعب حزب مضى مستمـرا[3]

فبارك باديس جمع الصفـــوف، و دشن باديس عهد الأمـــــــــــــان[4]

تأذن ربـــــــك ليلـــة قـــدر وألقى الستار علـــى ألـــف شهـر[5]

تبارك شعب تحدى العنـــادا فصـــام وأضرب سبعـــا شـــدادا[6]

وكم جحدوا فضلنا والجميـــــلا فكـــان الحســـاب عسيرا طويـلا[7]

وأخلـــص إســـلام أكبادنـــــا بأرض فرنسا فكـــان الجـــدارا[8]

وزاغـو بهـــم دون إسلامهـــم إلى مذهـــب ليس بالسالـــــــــم[9]

وران على البعض حمق وجهل وأغرقهم في السخافات وحـــــل [10]

و الظاهر من خلال ما سبق أن السر في إيراد الشاعر لهذا الكم من الأفعال الماضية (الدالة على مطلق الماضي) أنه إنما صار – في عموم الإلياذة – كالمؤرخ الذي همه إثبات الوقائع و سرد الأحداث سواء أكان ذلك في باب الفخر، كما في نحو (تنبأت – آمن بي – بلونا السنين).أو في باب المدح ، كما في (صام – أخلص – بارك باديس – جادلوك (مع سياقاتها بالطبع)،أوفي باب الذّم كما في نحو: (طافت – خسفوا – جحدوا – زاغوا – ران) ، و إن كان الظاهر في سياق البيت الذي وردت فيه لفظة (خسف) هو الشرط لسبقها بـ (إن) التي تفيد، في الأصل

---

1 - المرجع نفسه، ص: 55 .

2 - المرجع نفسه، ص: 60.

3 - المرجع نفسه، ص: 63.

4 - المرجع نفسه، ص: 64.

5 - المرجع نفسه، ص: 69.

6 - المرجع نفسه، ص: 77.

7 - المرجع نفسه، ص: 79.

8 - المرجع نفسه، ص: 80.

9 - المرجع نفسه، ص: 96.

10 -إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 116.

احتمال الوقوع أو عدمه[1] (أي: في المستقبل)، فالشاعر – في الواقع – يؤكد حقيقة ثابتة، و هي حل حزب نجم شمال إفريقيا من طرف أحلاس العدوّ[2]. تماما كما الذي في نحو قوله ـ في موضع آخر ـ :

وكم بالجزائر من معجزات و إن جحدوها و لم تكتب[3].

إذ يؤكد من خلال هذا البيت حقيقة " أن المشارقة حين يؤرخون للأدب العربي لا يذكرون مفاخر الجزائر و تونس و المغرب بل يقفزون من الشرق إلى الأندلس مباشرة كأنما المغرب الكبير لا وجود له في الخريطة و ذلك بدافع الكبرياء و الغرور"[4].

و على أية حال، فمهما كان الغرض الذي وظفت فيه هذه الأفعال فكلها يدل على أشياء وقعت في زمن مضى وانقضى من غير تحديد لفترة معينة إلا في بعض شواهد تضمنت بعض قرائن تدل على هذا التحديد كما في البيت الذي حدد فيه الشاعر تأذن الله عز وجل بالحرب بليلة القدر، و التي يراد بها – طبعا – ليلة الفاتح من شهر نوفمبر سنة 1954م[5] .

ب- الدلالة على الوصف : لئن كنا قد ذكرنا بأن صيغة (فعل) وبعضا من(فعل) موضوعتان للوصف – في الغالب – فقراءتنا للأفعال (القرآنية) التي ذكرها الشاعر قادتنا للإقرار بأن حتى بعضا من الأفعال غير الثلاثية قد دلت على ذلك كما في (تطهر واستقام) بالإضافة ـ طبعا ـ إلى بعض الثلاثيات كنحو : (ضل ، زاغ ، غوى) ، وهي في الشواهد التالية :

شباب تطهر فيه الضميـــر فأعـــرض عـن شبهات الطغـــام [6]

هم الثائرون الألى ولـــدوا نوفمبـر مـــن صلبهم فاستقـــــام [7]

ويضحك فوروم من حيـو ان ، غواه السراب ، فضل طريقــه [8]

---

1 - ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (م 751 هـ) – دار الفكر المجلد الأول، ج: 01، ص : 46 .

2 - ينظر: إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص : 63 (تعليق مولود قاسم).

3 ـ المرجع نفسه، ص: 45.

4 -المرجع نفسه (التعليق).

5 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 69 (التعليق).

6 -إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 109.

7 -المرجع نفسه، ص : 68.

8 -المرجع نفسه، ص: 28.

وحرف من زاغ إسلامهم وأفقدهم وعيهم والصوابـــــــــا [1]

هي الأرض أرض الجزائر..مهما غوت ، وصبت ..أبدا لن تخونـــــا [2]

إلا أن هناك فرقا بين كل هذه الأفعال مجتمعة (من حيث الدلالة طبعا) ، والفعل (هام) منفردا، حيث دلت تلك الأفعال على الوصف السلوكي ، في حين دل هذا الأخير على الوصف النفسي، وهو في قول مفدي :

وهام بك الناس حتى الطغاه وما احترموا فيك حتى الزمـــــان [3]

هذا، ويمكن القول بأن كل هذه الأفعال على اختلافها (من حيث نوع الوصف)، فهي تدل على المؤقت منه، بخلاف ما نلمحه في الفعل (جل) الذي يدل على ثبوت هذا الوصف للموصوف وهو في قول الشاعر:

نوفمبر جل جلالك فينـا ألست الذي بث فينا اليقينـــــــــا[4]

فهو يثبت لهذا الشهر صفة العظمة، بل مطلق الكبرياء الخالد ، وذلك لما له من فضل في إطلاق أول شرارة أعادت لهذا الزمان جلاله، ولهذا البلد كبرياءه الذي لن يزول بزوال من ماتوا لأجل ذلك.

ت- الدلالة على الشرط : ونمثل لها بألفاظ (أرسل ، ضلل ، بارك) وهي في الشواهد الآتية:

ولو أرسل الله من مغرب نبيـــا...إذن-كذبـــوا بالنبـــــــي[5]

إذا ما فيوليت ضلل قوما وغر ضعاف العقـــول وأغـــرى[6]

وفي عمقها تكمن البركا ت ، إذا بارك السعي صدق النوايا[7]

- حيث لم يوظف الشاعر الفعل (أرسل) مجردا عن الشرط للدلالة على أنه بالإضافة إلى كونه أمرا لم يحدث ففي سوقه إشارة إلى أنه – على افتراض جدلا – إن كان سيحدث فسيقابله بعض

---

1 -المرجع نفسه، ص: 29.

2 -المرجع نفسه.

3 -المرجع نفسه، ص: 118.

4 -المرجع نفسه، ص: 70.

5 - إلياذة الجزائر ،المرجع السابق ، ص : 45.

6 - المرجع نفسه، ص : 63.

7 - المرجع نفسه، ص : 88.

إخواننا من المشرق بالتكذيب والتنكر، في إشارة صريحة ودلالة صارخة على موقف هؤلاء من كل ما هو مغربي.

- أما في الشاهد الثاني، فقد جعل من تضليل العدو وتغريره بأبناء المسلمين شرطا يتظارف مع وجود مقدمات زواله، والتي هي ذاتها الأسباب التي يصون بها الشعب مبادئه ، يقول مفدي :

فللشعب حزب يصون المبادئ وشعب الجزائر بالناس أدرى[1]

- وأما في الشاهد الثالث ، فقد جعل من صدق النية وصفاء الضمير والمقصد شرطا لا استغناء عنه ، إن أريد لهذه الأرض الطيبة المكرامة أن يستمتع أبناؤها بخيراتها، ويعيشوا عليها بسلام .

ث – الدلالة على الدعاء : وقد اخترنا مثالين :

- أحدهما في سياق الدعاء بالخير، وهو لفظ (أفلح) الذي في قول الشاعر :

وأفلح خلد أمجادهـــــا فأفلح أفلح قولا وفعـــــلا[2].

- والآخرفي سياق الدعاء بالشر،وهو لفظ (تعس) الذي في قوله:

وتعس شباب عديم النهى على رجس عاداته لا يثور[3] .

حيث دل توظيف بنية الماضي في (أفلح) دلالة صريحة على دعاء الشاعر بالفلاح لهذا البطل، ثم هو لم يكتف بذلك فراح يلح في هذا الدعاء بتأكيد الفعل (مرتين) ، (وهو ما يسمى بالتوكيد اللفظي)، موصولا بتأكيد بياني يفصح عن صدق الشاعر وإخلاصه في هذا الدعاء حيث ذكر (قولا) و (فعلا) لقصد تمني الشمول في هذا الفلاح.

أما توظيفه لذات البنية في لفظ (تعس) فقد دل على الدعاء لهذا الصنف من الشباب الضائع المصر على ذلك بالتعاسة والشقاء.

إذن هذا هو الظاهر من السياق – في كلا الشاهدين – وعليه فالراجح أن بنية الماضي فيهما لم تكن مطلقا للتعبير عن أحداث ماضية، وإنما لما يرجو الشاعر وقوعه في المستقبل.

- هذا عن مجمل أشهر الدلالات التي يمكن تصنيف أبنية (الماضي) في سياقها ، ومع ذلك فقد ورد بعض منها لدلالات مغايرة ،و هي شبيهة بالنادرة ويمكن التمثيل لها بالفعل (أبدع) في قول الشاعر :

---

1 - المرجع نفسه، ص : 63.

2 - المرجع نفسه، ص : 44.

3 - المرجع نفسه، ص : 108.

وأبدع حتى تنبأ مثلـــــي ولم يتقول ولم أكـــــــذب [1]

وكذلك بالفعل (تنبأ) في البيت نفسه، حيث دل بالأول على أنه (أي: أبدع) إنما هو لاستمرار الماضي لغاية محددة متمثلة في (التنبؤ)، وبالثاني على أنه (أي: تنبأ) إنما هو غاية لذلك الإبداع، وفي ذلك حصر لفكرة الإبداع هذه، وأنها منتهية – لا محال – بوقت حدوث التنبؤ، وكذلك حصرٌ له، وأنه مجرد نتيجة لهذا الإبداع، أي مُسببٌ له.

وفي كلّ هذا مخالفة لِمَا هو في عموم الكلام من أنّ الإبداع - والذي هو في **الأصل خاصٌّ بالله** تبارك وتعالى -لا حَدّ له ،لا من جهة الزّمان ولا من جهة المكان كما أنّ النُبُوة (وهي التي عبّر عنها الشاعر بالتنبؤ – مع ما في ذلك من مبالغة مفرطة-)لا تكون أبدًا مقيّدة بزمن أو نتيجة لحدث ، فهي من محض مشيئة الله تعالى وتدبيره .

وقد وظّف الشاعر أيضا من الأفعال القرآنية (الماضي بناؤها) ما يدل على أنّها سبب في فعل آخر (من البناء نفسه) للدّلالة على علاقة التّظارف بينهما، وذلك في لفظ (لعن) في قوله:

وتفاحة أخرجت آدمـــا من الخلد مذ لعنته السّمـــا[2].

لأنّ هذه اللّعنة لم تكن أبدا لمطلق الماضي، وإنّما تعلقت بالإخراج من الخلد (الجنة).

2- **يفعل وما كان من بابها**: الواقع أن شواهدها – أيضا- كثيرة إذ قد تجاوزت الخمسين لفظا (في كلّ مواضعها)والملاحَظ أنّ أغلبها قد وُظِف للدّلالة على كثرة وقوع أحداثها في الزمن الماضي ،ثمّ على أحداث وقعت في الماضي، تليها أخرى للدّلالة على المستقبل، ثم على ما يدل على كثرة الوقوع في كلّ حين، وأخرى على وقوع الحدث عند التكلّم واستمراره، وآخرها على أحداث هي من قبيل الحقائق الثّابتة ، وإليك بيان ذلك:

أ - الدّلالة على كثرة وقوع الحدث في الماضي: ولنا في ذلك أمثلة كثيرة جدًا منها:(أومن- يجحد- يضلّل- تهدي- يرجّ- تمور- يرجف- تلعن- تخلد- أتلو- يركع- يصوم- يدعو- يضرع-

1 -إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص : 45.

2- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 105.

يبارك- تسخر- يمسخ- نزدري- يهيمون- تجثو....)، ولذلك فَسنختار بعضًا منها فقط ، وهي التي في الشواهد التالية:

وديري الذي كنت أتلو بــه صلاتي- مع اللّيل-سرّا وجهـوًا[1]

وكم شابه النّيل نهر دمــ نا، تمور به المهـج الفـــره[2]

وتهدي النّفوس الصدّراط السو يّ وتغرس فيها معانـي الإبـاء[3]

هو المـغرب الأكبر الأطلسيّ يرجّ بكل غبي بلـيـــــد[4]

يصوم ويمضغ جمر الغضا أما ألهب الجمر فيه الجـــــهاد[5]

وقالوا: حدود فـدسنا الحـدود، ورحنا بأصنامـــــــها نـزدري[6]

ويدعو لكلّ احتلال تبورا ويضرع في النكبة المدلهمـــــة 6

وأغريتِ متعمِرِيك فراحوا يهيمون في الشّرق بالصّولجـــان7

- فالظاهرأن الشاعر يريد – من خلال بناء المضارع في هذه الأفعال – أن يثبت أحداثا كانت تقع بكثرة في الزمن الماضي.

1- المرجع نفسه، ص: 25.

2- المرجع نفسه، ص : 46.

3- المرجع نفسه، ص: 62.

4- المرجع نفسه، ص: 72.

5- المرجع نفسه، ص: 77.

6- إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 86.

6 ـ المرجع نفسه، ص : 95

7 ـ المرجع نفسه ، ص: 118

8 ـ ينظر: المرجع نفسه، ص: 25 (تعليق مولود قاسم).

- فهاهو ذا –في الشاهد الأوّل-ينتقل بنا للحديث عن مقرّ سكناه الذي كان في قمّة جبل يطلّ على وادي قريش وبوزريعة في آن واحد، والذي أطلق عليه أصدقاؤه (دير زكريا) حيث كان لا ينقطع عن تلاوة القرآن وتأدية النوافل .8

- وهاهو ذا يتحدث عن الألفية المصرية التي يعود فضلها مباشرة للجزائر ، وكم كان بينهما من تشابه يُعززه طول الصّمود في وجه الطُغيان، وكثرة سقوط الضحايا الأبرياء

- وهاهي ذي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكيف كانت تجتهد بكل ما أوتيت من طاقة، وبشكل لا يفتر، لهداية النّاس وإخراجهم من ظلمات الجهل والتخلف إلى نور العلم والتّثقف.

- وهذه دول المغرب العربي الكبير قد كانت تسعى دؤوبة لتحقيق الوحدة الشاملة فلم تفتر ولم تضعف في وجه كل محاولات التفريق التي كانت تقابلها بالصّمود والتصدّي وكثرة الاستصغار لشأن كلّ من كانت له في ذلك وساطة.

أمّا الشعب الجزائري فلطالما كان يتجرّع أنواع الظّلم والتعذيب إلى أن قرّر إضراب السبع الشداد، ولئن كان مراد الشاعر من قوله: "صام وأضرب سبعًا شدادًا" هو الإمساك عن العمل، والتّوقف عن خدمة البوم لدّخيل[1] ،فإنّ المراد من قوله: " يصوم ويمضغ جمر الغضا" هو الصوم الحقيقي حيث قد كان (الشعب) كثيرًا ما يصوم ويطول جوعه ولا يستفيد شيئًا من كدّه.

- وأمّا الشيخ طفيش محمد بن يوسف فقصة صموده على الحق على الرغم من محاولات الدّس والكيد والزّج به في سجون العدو من جميل وأروع ما سجلته الإلياذة، حيث لم يثنه كلّ ذلك عن الاستمرار في مواجهة هذا العدو، والدّعاء عليه بالوبال مستعينا في كلّ ذلك بطول الصبر وكثرة التضرع لله بالنّصر.

ولعلّ مما يعزز فكرة استمرارية الحدث في الماضي- في هذا الشاهد تحديدا- هو وجود "كم" في البيت السابع من المقطوعة نفسها في قوله:

1- ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 77(تعليق مولود قاسم).

وكم قام يعصف بالظّالميـــن، وينصبّ فوقّ المغيـــرين نقمه[1].

ثم عطف على ذلك بالواو التي تفيد مطلق الجمع-ما هو متضَمَّن في البيت التاسع الذي وردت فيه لفظتا(يدعو ويضرع).

- أما في الشاهد الأخير فيبيّن لنالشاعر مدى اغترار المعمّر بمفاتن بلده التي رَاحَ يستمتع بها إلى الحدِّ الذي لم يعد لنهمه رادع فلم ينفطم عن الرغبة في غزو بقية البلدان العربية ما استطاع إلى ذلك سبيلا[2].

ب-الدّلالة على الماضي من الزّمن: و لنا في ذلك نماذج كثيرة نختار منها كلمات (تباركنا- يبارك- تزجيلم تَخْبُ - تدمغ)، وهي في الشواهد الآتية:

بلونا السنين الطّوال جهـاداً تباركنا معجزات السّمـــــا[3].

وجلجل صوتك بين الجبـال يبارك وحدتنـا، فالتحمنـــــا[4].

ولولاك يا شعب- تزجي الشّرا ع،لما بلغ الرّكب شاطي الهنآ[5] .

فرضنـا إرادتنـا الفارعه ولم تخـب نيراننا الدّالعـــــه[6].

وتدمغ بالعلم من جادلـــــو ك، فكنت الضليع وكانوا الحميرا[7].

وقد أراد الشاعر بكلّ هذه الأفعال الدّلالة على الماضي على الرغم من أنّها- من حيث البنية الصرفية- للمضارع، وذلك لقرائن مختلفة باختلاف البيت والسياق الذي ورد فيه كلّ فعل.

1- المرجع نفسه، ص:95 .

2- المرجع نفسه، ص: 118(التعليق).

3- المرجع نفسه، ص: 54.

4- إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص : 71.

5- المرجع نفسه، ص: 78.

6- المرجع نفسه، ص: 83.

7- المرجع نفسه، ص: 55.

- ففي البيت الأول تمثلت القرينة في لفظة(بلونا) للتأكيد على أن الأمر قد حصل وانتهى، ولا سبيل للتشكيك في أن هذا الجهاد قد ابتدأ بكلمة الله(تأذن ربك ليلة قدر)، وانتهى-فِعْلاً- بنصر الله وتوفيقه.

- وفي البيت الثاني تمثلت في لفظتي (جلجل) في الصدر، و(التحمنا) في العجز، بل وقرائن عدّة متناثرة في ثنايا المقطوعة الثالثة والخمسين منها كلمات: (تَبارك، حفظنا- صمّم- خلقت- أراد-صغتَ) بل إنّ كل بيت منها لا يخلو من شاهدين أو أكثر، وحسبك أن تُختم ثمانية أبيات منها بما يدل دلالة صريحة على الماضي، وهي كلمات:(ثرنا- انطلقنا- التحمنا- اندفعنا- سلكنا- اجتمعنا- اختصرنا- انتصرنا).

وعليه فالظاهرأن توظيف الشاعر لبنية(يُفاعل) متمثلة في لفظ (يبارك) هو للدّلالة على حدث وقع في الماضي ولتهى، وأنّ هذه المباركةتمثلت في ذلك التحوّل العظيم الذي شهدته مسيرة الكفاح من بعد انعقاد هذا المؤتمر إلى أن تحقق النصر.

- كما نلاحظ في البيت الثالث أيضا بأن الفعل(يزجي) هو للدّلالة على الماضي للقرينة المتمثلة في الفعل (بلغ)، والتي دلّت دلالةقطعية على أنّ هذا الزّجو[1] إنما كان في زمن انقضى بانقضاء فترة الاستعباد، حيث بالفعل، قد بلغ الرّكب شاطي الهنآ.

- أمّا في البيت الرابع فقد دلّت(لم) على أن الفعل (تخب) إنّما هو للماضي. ولذلك تسمّى بأداة القلب لأنها تقلب زمن (المضارع) إلى (الماضي)، وفيذلك تأكيد على أنّ هذه النيران(مهما كان المراد بها :حقيقتها أو مجازها) ما عرفت معنى الفتور أبدا حتى (وقعت الواقعة) و (لاح الخلاص) و(دوّى نشيد الجزائر) و (جلجل صوت نشيد اللّواء...) فقمنا بعدها لنشيد صرح البلاد ونبني سيادتها[2] .

1-الزجو من الفعل زَجَى، وهو- في المعجم القرآني- وَسَيَّرَ وَسَاق الشَيء برفق إلى حيث يريد/ يُنظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 176 و 209.

2- وكلها عبارات مقتبسة من المقطوعة: 65 من الإلياذة، المرجع السابق، ص: 83

- وأمّا البيت الأخير فقد دلّت فيه لفظة (جادلوك) على أنّ المراد بـ(تدمغ) هو- أيضا- الماضي، وأنّ كل تلك " المجادلات العلمية التعجيزية بين الأمير وجنرالات فرنسا وخصوصا بيجو، معروفة..."[1] .

ت -الدّلالة على المستقبل من الزّمن: ولنا في ذلك أيضا – نَماذج متعددة نختار منها كلمات (يبلو- تخون- يتوب- يطوف- يجحد)، وهي في الأبيات الآتية:

إذا القلب لـم ينتفض للجمال، ولم يبلُ في الحبّ حلوا ومـــــــرًّا[2].

فلاتثقنَّ به في النضال، ولا تعتمد في المهمات صخـــــــــــرًا[3].

هي الأرض.. أرض الجزائر.. مهما غوت، وصبت..أبدا..لن تخونا[4] .

متى سيتوب الألى لـم يـزالـو ا، بوحـدة، مغربنـا كافريـــــن[5] .

ولا أن يطــوف بأبوابنـــا ومن خلفها عزمـات وطيـــــدة[6].

وإن يجحدونــي فحسبـي أنّــي وهبت الجزائر فكري، وعمري[7] .

ففي البيت الأوّل وظّف الشاعر بنية (يفعل)متمَثّلة في لفظ (يبل) المسبوق بالجازم (لم) للدّلالة على الماضي.

إلا أن وجود (إذا) في صدر البيت قلب المعنى مرّة أخرى ليدل على المستقبل، وفي ذلك إشارة إلى أن الشاعر لا ينفي حدوث هذا الأمر في الماضي، أو في الحاضر، بل إنّه ليبني على

1- المرجع نفسه، ص: 55(تعليق مولود قاسم).

2-المرجع نفسه، ص: 25.

3-المرجع نفسه.

4-المرجع نفسه، ص: 29.

5- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص : 50.

6-المرجع نفسه، ص:103.

7-المرجع نفسه، ص، 115.

وقوع هذا الفعل (وهو: لم يبل) جوًا حتميًا متَضمَّنًا في قوله:فلا تَثِقَنَّ .....ولا تعتمد...)،وهذا الشرط مسبوق- كما ذكرنا- بـــ (إذا) وهي – كما هو معلوم-لما يستقبل من الزّمن[1] .

وفي البيت الثالث وظف ذات بنية المضارع متمثلة هنا في لفظ (تخون)، وذلك في سياق النفي بـــ (لن) التي تفيد – كما هو معلوم- نفي الفعل في الزمن المستقبل " لأن العرب إنّما تنفي بلن ما كان ممكنا عند المُخَاطَبِ مظنونا أنه سيكون "[2] ،وذلك للتأكيد على نفي هذه الصّفة (الخيانة) ليس في زمن مضى وانتهى فقط، أو في الزّمن الحاضر فحسب، بل في مطلق ما يستقبل من الزمن للدّلالة على الشمول.

- أما في البيت الرابع فالقرينة الدّالة على أن المراد بـــ(يفعل) في لفظ (يتوب) هو المستقبل، هو هذه (السّين)[3] التي وردت في سياق الاستفهام للدّلالة على ترجّي وقوع التوبة من طرف هؤلاء الجاحدين لحقيقة فكرة الوحدة المغاربية الكبرى. وفي ذلك تلميح إلى استنكار الشاعر لكلّ من يقف حجر عثرة في سبيل تحقيقها.

- وأمّا البيت الخامس فقد وظّف الشاعرُ فيه هذه البنية المتمثلة في لفظ (يطوف) للدّلالة على المستقبل للقرينة (أنْ)[4] في إشارة صريحة إلى أنّ ما يصبو إليه هؤلاء (المبشرون) من مساعي التنصير في بلاد الإسلام إنّما مصيره الفشل بفضل عمق العقيدة في النفوس واشتداد العزم لدى أبناء هذه الأرض الصّمود.

- هذا، وقد أراد الشاعر ببنية المضارع في الشاهد السادس والمتمثل في لفظ (يجحد) الدّلالة على المستقبل أيضا وذلك لوُرُودها في سياق الشّرط بـــ (إن) التي لا يُعلّق عليها إلا محتمل الوجود والعدم[5] للإشارة إلى وجود بوادر الجحود والتنكر- من بعض الأطراف- لشخص الشاعر

1- ينظر: المستقصى في معاني الأدوات النحوية، مسعد زياد، الصحوة للنشر و التوزيع ،القاهرة، مصر، ط:01 1430هـ/2009م، ص: 33.

2- بدائع الفوائد ، المرجع السابق، مج:01،ج:01، ص: 97

3-2- كلّ من (السين)و (أن) يفيد المستقبل.

ينظر : المستقصى في معاني الأدوات النحوية، المرجع السابق، ص: 64، و ص: 143.

5- سبق الحديث عن هذا ، ينظر: بدائع الفوائد،المرجع السابق، مج:01، ج:01، ص: 46.

الشاعر ومكانته، وهو تنبؤ – في الواقع- لم يكن من فراغ إذ قد تجسّدت تلك التوقعات ليس فقط من بعد رحيل الشاعر، بل حتى قبل أن يفارق دنيا النّاس هذه.

وفي استعمال (إنْ) – هنا-لطيفة، وهي أنّ الشاعر قد وظفها لذات المعنى الذي وضعت له (احتمال الوجود والعدم)وقد كان يعلم أنّ الجحود حادث – في زمانه- وسيحدث ما هو أكبر منه (عند البعض)، وربّما كان الأصوب أن يستعمل (إذا) التي يعلّق عليها النوعان (الوجود والعدم)[1] ،وفي كل ذلك دلالة على علو الهمة وكرم النفس والتفاؤل المستمر بصفاء القلوب وخلوص النيات من الشوائب.

ث -الدّلالة على كثرة وقوع الفعل: ونمثل لذلك بألفاظ (تبطر- تنعق- نرتل)، وهي في الشواهد الآتية:

فأبطرهم قمحنا الدّهبيّ، وكم تبطر الصدقات اللّئام[2] .

وتنعق أبواق.. ماركس فيهم فيتّخذون الدّليل.. الغرابا[3] .

شغلنا الورى، وملأنا الدّنا.

بشعر نرتله كالصلاة .[4]

فالشاعر- في البيت الأوّل- استعمل بنية المضارع متمثلة في لفظة(تبطر) للدّلالة على كثرة وقوع هذا الفعل، ولعلّ ما يعزّز هذا هو وجود (كم) الخبرية التي هي" اسم يُقصد به الإخبار عن الكثرة المجهولة الكمية"[5]، وذلك للإشارة إلى أنّ فكرة إبطار الصدقات للّئام إنّما هي في كلّ كلّ الزمن، فهي كالقاعدة الثابتة.

1- ينظر:المرجع نفسه.

2- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 53.

3- المرجع نفسه، ص: 99.

4- اللازمة (وهي في كل مقطوعة).

5- المستقصى في معاني الأدوات النحوية، المرجع السابق، ص:201.

- وفي البيت الثاني يستعمل ذات البنية متمثلة في لفظ (تنعق) للتّأكيد على فكرةٍ – هي أيضا- كثيرًا ما كانت وتكون وستبقى مادامت السّماوات والأرض، وهي فكرة الحرب التي أعلنها ويعلنها وسيعلنها أعداء الإسلام عليه، قال الله تعالى: ﴿ لَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصارى حتَّى تتَّبِعَ مِلَّتهم...﴾[1] .

- ثم في الشاهد الثالث (نرتله) للدّلالة على إلحاح الشاعر على فكرة استمرارية الاهتمام بشعره، من جهة، ومن جهة أخرى ففي توظيف (نون الجماعة) ما يدل على وجوب الاهتمام الجماعي بهذا النتاج الفذّ.

ولعل ما تتضمّنه لفظة الترتيل من غزير الإيحاءات لكفيل بتجلية معنى الكثرة والاستمرارية التي هي – في الأصل- مستوحاة من ديمومة الكتاب الخالد الذي منه استلهم الشاعر مقدمات نبوغه ومؤهلات الخلود لشعره.

ج ـ الدلالة على وقوع الحدث عند التكلم واستمراره: ولنا في ذلك لفظتا: (أتوب- يبلو)، وهما في الشّاهدين الآتيين:

أتوب إليك بإلـــي عساها تكفر كلّ ذنوبـــي[2].

ولولا التنقل يذكي شعوري ويُرهف حِسِّي، ويبلو رشـــادي[3] .

فالتوبة التي يعلنها الشاعر إنّما يقر بها وهو عليها ثابت، وبها متمسك إلى أن يلقى ربّه، وكذلك هذا الامتحان الذي يُختبر فيه (رشادُهُ) فإنّما هو دائم بدوام هذه التنقلات، فكلّما أقوم ـ بحسب معنى البيت برحلة إلا وأزداد إبداعًا للشعر وذكاءً في العقل، وترفعًا عن دنيا السّفاسف، وتألقا في عالم الخالدين.

1- سورة البقرة، الآية:120

2-إلياذة الجزائر، المرجع السّابق، ص:114.

3- المرجع نفسه، ص : 117.

ح ـ الدّلالة على حدث من قبيل الحقائق: الواقع أننا لم نقف على مثال لنحو هذه الدّلالة بحيث يتفق فيه الجميع كنحو ما ذكرنا: تشرق الشمس... ولكن بقراءة دلالية للفظ (تبور) في قول الشاعر:

وتُحلَب في الحيّ كالبقرا ت،فإنْ غاض منها الحليب تبور[1].

وهي لفظة وردت في سياق الحديث عن بنات هذا العصر وما آلت إليه حالهنّ،حيث صِرْنَ كالبضاعة في السوق تباع وتُشترَى لأجل قضاء الأمور، وسواء أحبت أم كرهت فهي بالمال تُقذَفُ في أحضان الأنذال لتحلَبَ كالبقرات،ثمّ إنْ نفذت المشتهَيَات صارت كالأرض البوار التي مصيرها الوبال والهجر

قلت : فبقراءة دلالية لهذا اللفظ – في هذا السياق – يمكن القول بأن هذا المصير – هو في الواقع –غير مقيد بشرطٍ كما هو ظاهر في البيت، إنّما هو – عند الشاعر- حقيقة ثابتة تؤكدّها كثرة القرائن في المقطوعة ذاتها كنحو قوله: فضّل ماري على مريم –البنات بضاعة- تُقضى الأمور- تُقذف- بلعتها الشرور وغيرها، أضف إلى ذلك أنّ الشاعر اختار (الرفع) في هذا الفعل دون الجزم (لكونه جواب شرط بدليل عدم حذف عينه للتخفيف لأنه أجوف). وكان هذا هو الأصل عند جزم الأجوف، إلا إنْ كان ذلك للضرورة الشعرية.

وعليه فيمكن القول بأن الظّاهر في توظيف الشاعر لبنية المضارع في (تبور) في سياقه المذكور أنه للتأكيد على أنّ هذا الفعل إنّما هو حقيقة من الحقائق الثابتة التي لا جدال فيها.

ثالثا: بين التذكير والتأنيث

المعروف أنّ التذكير هو الأصل والتأنيث فرع عنه، وممّا يعزز هذا – هنا-أنّ أغْلب شواهد الأفعال القرآنية التي ضمّنها الشاعر إلياذته قد وردت بهذه الصيغة إذ تجاوزت الثمانية والثمانين فعلا، في حين لم تُحصِ من الأفعال التي وردت بصيغة التأنيث إلا ما يَنيف عن الثمانية

1-المرجع نفسه، ص: 108.

والعشرين فعلا، وَ لمّا كان الأمر متعلقا بالأفعال فلا بد من الحديث عن العلاقة الإسنادية[1] بينها وبين فاعليها أو نوائبها .

لكن، وللتنبيه فليس المراد من كلامنا هو الحديث عن هذه الأمور من جانبها الصرفي المحض بل من جانبها الدّلالي، ولذلك، وقبل البدء بتناول الشواهد الإليانية وما تنطوي عليه من أسرار دلالية فإنه ليحسن بنا التعريج على بعضها قيل في هذا الشأن من دلالات تُستَوْحَى من بعض الاستعمالات الاستثنائية كتذكير الفعل لفاعل مؤنث ، أو العكس.

أ ـ فممّا ذكر في هذا الباب أنّه قد يُذكر الفعل لفاعل مؤنث لما يلي:

ـ الدّلالة على عموم الجنس لا العهد: نحو " نعم المرأة" و" بئس المرأة" ، فهما هنا لاستغراق الجنس[2] ، أي: ليس المقصود هنا امرأة محدّدة معروفة، وإنّما عموم المرأة.

ـ الدّلالة على معنى اللفظ لا ظاهره: كنحو قوله تعالى﴿السَّمَآءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ... ﴾[3].

لأن فاعل منفطر هنا مستتر عائدلى السّماء، إلاّ أنّ المراد حمل الكلام على السّقف لأن كلّ ما يعلو الإنسان ويظله فهو سماء[4] .

ولعل هذا ممّا أشار إليه ابن جنّي كذلك في كتابه الخصائص حيث يقول :" إعلم أنّ هذا الشرجّ غَوْرٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا،إكتأنيث المذكّر، وتذكير المؤنث، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه في الأوّل..."[5]

1- لسنا نقصد بالعلاقة الإسنادية (هنا) ،(الفعل مع فاعله أو نائبه) كما ورد في القرآن الكريم، فذلك خصصنا له فصلا مستقلا، إنماالذي نعنيه ـ هنا ـ هو الفعل(كلفظ قرآني) مع مسند إليه(غير لفظ قرآني).

2- ينظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف الشيخ محمّد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان 1432هـ/ 2010م ، ج:01، ص: 329.

3- سورة المزمل، الآية: 18.

4- ينظر: كتابفقه اللغة وسرّ العربية، المرجع السابق، ص: 305.

5- أبو الفتح عثمان ، تحقيق محمد علي النّجّار، المكتبة العلمية ، ج: 2، ص: 411.

ـ **الدّلالة على التغليب**: كنحو قوله تعالى: ﴿جُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[1]. أي تغليب التذكير.

ب ـ كما قد يؤنث الفعل لفاعل مذكّر لدلالات منها:

ـ الدّلالة على معنى اللّفظ لا ظاهره: كما في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا(12) ﴾[2] وقوله: ﴿..أَحْيَيْنَا بِهِبَلْدَةً مَّيْتًا... ﴾[3]، فحُمل (السّعير) على النّار، وحمل (البلدة) على المكان[4].

وبعد قراءة لأزيد من مائة شاهد تبيّن- من خلال توظيفها- بأنّه قد توافق فيها الفعل مع فاعله من حيث التذكير والتأنيث عَدَا القليل النّادر منها كنحو كلمات: (طافت- بارك- تنعق- أغريتِ)، وهي في الأبيات الآتية:

وطافت بوهرانجيطان غدرًا وزيّان ما اسطاع حشد الجنود[5] .

وفي عمقها تكمن البركـــات إذا بارك السّعي صدق النّوايا[6].

وتنعق أبواق...ماركس فيهم فيتّخذون الدّليل... الغرابــا[7] .

وأغريت مستعمريك، فراحوا يهيمون في الشرق بالصّولجان[8] .

والمراد بـ(الشرج) كما جاء في المرجع نفسه هو (النوع).

1- سورة القيامة ، الآية: 09.

2- سورة الفرقان، الآية: 11 و 12.

3- سورة ق ، الآية : 11.

4- ينظر: كتاب فقه اللّغة... المرجع السابق، ص: 304 و305.

5- إلياذة الجزائر ، المرجع السابق، ص: 52.

6-المرجع نفسه، ص : 88.

7-المرجع نفسه، ص: 99.

8-المرجع نفسه، ص : 118.

- ذلك لأن المراد بالجيطان – في الشاهد الأول- التكنية عن رعاع الإسبان وأنذالهم[1]. فأنّث الفعل المسند إليهم للسخرية والاستصغار، تمَامًا كما فعل في الشاهد الثالث الذي يظهر من سياقه أنّه يريد بالأبواقِ الأتباعَ الذين يقفُون كلّ ما ليس لهم به علمٌ فيتّخذون دليلهم من يسوقهم إلى حتفهم.

أما الشّاهد الثاني فقد ذَكَّرَ فيه الفعلَ (بَارَكَ) لفاعل مؤنث (النّوايا) على اعتبار أن هذا الأخير هو الفاعل الحقيقي لا (الصّدق) فهو مجرد فاعل نحوي، في إشارة صريحة وذكية – من الشاعر- إلى أهمية هذا اللّفظ الذي هو – في الأصل – صفةٌ أضيفت إلى موصوفها للتّأكيد على عنصر الصّدق في النية – لحصول المباركة- قبل الحديث عن النيّة ذاتها.

-وأمّا الشاهد الرّابع والأخير فقد أنث فيه الشاعر الفعل (أغرى) لفاعل هو – في الأصل- ممّا يُذكّر ويؤنث، حيث يجوز التّذكير بقولنا: (بلد) ويجوز التأنيث بقولنا: (بلاد)، ومراد الشاعر بضمير المخاطب (الفاعل) هو الجزائر تحديدا، وقد آثر فيهاالتأنيث من أوّل المدوّنة إلى آخرها كما هو ظاهر في نحو: (جزائر يا مطلع المعجزات – حجّة- بسمة- لوحة- قصة- صفحة- بدعة- من وحيها- حملتِ السلام- سكبتِ الجمال- فلولاجمالكِ- وغير هذا كثير وكثير جدًا) قلت: وقد آثر التأنيث ربّما لحمل اللّفظ على المعنى فهو إنّما يقصد (الأرض) بالدرجة الأولى، فهي التي جُنّ جنون فرنسا عليها فلم تنجذب لشيء آخر أكثر من انجذابها وافتتانها واغترارها بخيرات هذه الأرض وثرواتها.

رابعًا: بين الإفراد والجمع

الضابط النّحوي في كلّ فعل هو التوحيدهما[2] كان الفاعل مثنّى أو جمعا إلاّ ما شذّ، والشاذّ لا يقاس عليه، وعليه فلا مجال للبحث عن الأوجه الدّلالية لنحو هذا الاستعمال، أما إن وقع الفعل بعد (الفاعل أو نائبه) فيتبعه في الصيغة العددية، والواقع أنه (أي الفاعل أو نائبه) لا يُعتبر

1-ينظر: المرجع نفسه، ص : 52 (تعليق مولود قاسم).

2- ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،أبو محمد عبد الله جمال بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج:02، ص:98.

هنا كذلك، بل: مبتدأ، والجملة الفعلية خبره، أو معمولاً لمحذوف يفسره المذكور بعده [1]. وهذا كله عن إعراب اللفظ، بخلاف إعراب المعنى الذي يُعتبر فيه الفعل فعلا سواء قدم أو أخّر و(الفاعل أو نائبه) كذلك سواء قدم أو أخِر.

وبعد مراجعة لقرابة المائة وعشرين فعلا من الأفعال القرآنية الواردة في الإلياذة تبيّن لَنّ أغلبها قد ورد بصيغة الإفراد، في حين لم يرد بصيغة الجمع إلا قرابة العشرين فقط، أما عن التثنية فلم نكَد نقع على نحوٍ لذلك.

فأما المفردة فإمّا لأنّ فاعلها أيضا مفرد أو جمع أو ما يدل عليه، وأمثلة ذلك (على الترتيب):

فبارك باديس جمع الصفوف

أتوب إليك بإلياذتي فعل مفرد + فاعل مفرد

رجت حواجزهم

تمور به المهج فعل مفرد+ فاعل جمع

تبارك شعب

هام بك الناس فعل مفرد +فاعل دال على جمع

مهم: بالنسبة للأفعال المبنية للمجهول لم نكد نقع على أمثلة لها.

وأمّا التي جاءت مجموعة فلأنّ الفاعل فيها – بالطبع – جمعٌ، وهو في كل ما رصدنا من نماذج. إمّا مستتر عائد إلى ضمير الجماعة (نحن)، أو متصل (نا) عائد إلينا ،أو متّصل (الواو) عائد إلى ضمير الجماعة (هم)، أي: إلى مذكور (إما في البيت أو في المقطوعة) .

والذي نصبو إليه هو الكشف عن الأوجه الدّلالية في هذا الاستعمال أوذاك، خصوصًا وأنّ الشاعر لم يستعمل صيغة عددية – في أفعاله- ليريد بها غيرها [1]، وأنّه – كما ذكرنا- لم يُضمِّن إلياذته شيئا من المبني للمجهول[2]، وعليه فيمكن اختصار هذه الدّلالات في عنصر جوهري هو:

1- ينظر : المرجع نفسه، ص : 85.

ـ الدّلالة على تحرّي الدّقة في السّرد: ويطّرد ذلك سواء في الأفعال التي وردت بصيغة الإفراد[3] أو بصيغة الجمع، ويتجلّى في إلحاح الشاعر في ذكر الفاعل والتأكيد عليه دون غيره حتّى لا يبقى هناك عموم في الكلام أو مجال للتشكيك في صحته ففي تحديده دلالة على الدّقة في نقل الأحداث وعرضها على القارئين و السامعين ، وما يضفيه كلّ ذلك على المدّونة من طابع التّميّز.

ـ فإن قيل بأن هذا قد يصحّ قوله على الأفعال المفردة فقطدون التي وردت بصيغة الجمع، لأنّ الجمع يُعد أقرب إلى التعميم ، والتعميم بدوره أقرب إلى البناء للمجهول لافتقاره ـ في الغالب ـ إلى التعيين، وبالتلي تفقد الإلياذة ميزة الدّقة في تقصي الأحداث؟!

نقول إنّ الدّقة في الطّرح هي ميزة الإلياذة، وحسبك أن يُحدّد الفاعل – فيها- لأزيد من مائة فعل قرآني [4]، بل وكثيرٌ من تواريخ هذه الأحداث وأمكنتها. ثمّ إن كانت الأفعال المفردة قد حدّد فاعلها للدّلالة على التعيين والدّقة في جمع الأحداث وسردها فهذا لا يعني أنّ المجموع منها يخلو من الدّلالة على هذا الأمر (خصوصًا إذا كان الضّمير منها يعود على مذكور معيّن) كنحو قول الشّاعر:

وزاغوا بهم دون إسلامهم إلى مذهب ليس بالسّالم[5].

فضمير الجمع في (زاغوا) إنّما هو عائد إلى مذكور (المذهبيون)، وهو في البيت السّابق في قوله:

غزا المذهبيون عقل الشّب ب، بمستورد آفن آثـــــــم[6].

1- ولذلك تجنبنا ـ في هذا المبحث ـ التنظير بالحديث عن المواضع التي تُستعمل فيها صيغة عددية والمراد غيرها.

2- كفعل من الأفعال القرآنية المفردة.

3- سواء كان الفاعل – فيها –مفردًا أو جمعًا.

4- فماذا لو فتحنا المجال للحديث عن كل الأفعال الواردة في الإلياذة ؟

5- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 96.

6- المرجع نفسه.

وكذلك قوله:

وتدمغ بالعلم من جادلـــو ك، فكنت الضّليع، وكانوا الحميرا[1].

فالضمير في (جادلو...) إنّما هو عائد إلى ما هو مذكور في الهامش (الجنرالات).

و كذلك قوله :

وأغريتِ مستعمريك، فراحوا يهيمون في الشّرق بالصّولجان[2] .

فالضمير في (يهيمون) عائد إلى (المستعمرين).

والملاحظ على الأفعال التي وردت بصيغة الجمع أنّ الفاعل فيها – كما ذكرنا- إمّا مستترتقديره (نحن)، أو متصل (نا) عائد إلى جماعة المتكلمين ،أو متصل (واو الغائب).

وبقراءة دلاليّة عامة لشواهد هذه الأفعال يتجلى لنا بأنّها لغرضين أساسيين: أحدهما للفخر، والآخر للاستهجان:

1- فأمّا التي ذكرت في سياق الفخر فنختار منها كلمات(عرجنا- اغتصبنا- نرتل- باركنا- بَلونا- نزدري)، وهي في الشواهد الآتية:

- عرجنا ننافح باينام ضحا كأنّا اغتصبنا لهامان صرحا[3].

- بشعر نرتله كالصلاة[4].

- هو النيل، خلد عشر قرو ن وباركنا السّنة العاشـــرة[5].

1- المرجع نفسه، ص: 55.

2- المرجع نفسه، ص: 118.

3- إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 26.

4- المرجع نفسه، (اللازمة).

5-المرجع نفسه، ص: 46.

-بلونا السّنين الطّوال جهادا تباركنا معجزات السّمـــا[1].

- وقالوا: حدود... فدسنا الحدو د، ورحنا بأصنامها نزدري[2].

والملاحظ على هذه الشواهد أنّ الفاعل في كُلٍّ منها قد اقتصر على جماعة المتكلمين فقط، وفي ذلك إشارة إلى أنّ الشاعر، وإن كان – في عموم شعره- مَيّالاً إلى الاعتدابالنّفس، فإنّه لَمِنَ الإنصاف الإقرار بأنّه – في معظم الإلياذة- " ليس متكلّما وحده بل هو جماعة من المتكلمين، مجهولي الجنس، فقد يكونون متكلمين حقيقة (شعب مثلا)، وقد يكونون متكلّما مجازيا (تاريخ مَثَلاً)وهذا المتكلّم منثور في كلّ وحدات الإلياذة، ممّا يؤهلها لأن تكون نصًّا تعبويا شعبيا، وربّما هو مفهوم الإلياذة السّائد"[3].

فإن أضفنا إلى هذا بأنّ الدّراسة إنّما هي حول الألفاظ القرآنية، وعلمنا بأنّ من الثّقافة القرآنية وجوب التعاون، وأنّ يد الله مع الجماعة، بل إنّ لغة القرآن هي لغة الجماعة قبل أن تكون لغة الفرد[4]، تبين وجه الدّلالة من نزوع الشّاعر إلى إسناد ما ذكرنا من أفعال إلى جماعة المتكلّمين نابذًا -هنا- كلّ ما يمت بصلة إلى الأنانية والذات، فالجزائر إنّما أحبها الجميع، وكافح من أجلها الكلّ، وحَرَّرَهَا جميع الأحرار.

2- وأمّا التي وردت في سياق الاستهجان فنختار منها كلمات (جحدوها- كذّبوا- جادلوا- خسفوا- جحدوا- زاغوا- يجحدو- يهيمون).

وهي في الشواهد الآتية:

وكم بالجزائر من معجزات وإن جحدوها ولم تكتـــب[5].

1-المرجع نفسه، ص: 54.

2-المرجع نفسه، ص :86.

3-الثابت اللّساني... المرجع السّابق، ص: 40.

4- لقوله تعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} سورة المائدة ، الآية:02/ وقوله:{جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ} سورة الحجرات، الآية:13.

5- إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 45.

ولو أرسل الله مـن مغرب نبيّـــا...إذن-كذّبـــوا بالنّبـي[1].

وتَدمغ بالعلـم من جادلـــو ك، فكنت الضليع وكانوا الحميـرا[2].

وإن خسفوا نجم هذا الشمـــا ل، فللشعب حزب مضـى مستمـرا[3].

وكم جحدوا فضلنا والجميلا فكان الحساب عسيـرا طويـــلا[4].

وزاغوا بهم دون إسلامهم إلى مذهـب ليـــس بالسّالـــم[5].

وإن يجحدوني فحسبي أني وَ هبـــت الجزائر فكري وعمـري[6].

وأغريت مستعمريك فراحوا يهيمون في الشّـــــرق بالصّولجـان[7] .

ولعلّ أوّل ما يلاحظ على هذه الشّواهد – أيضا-هو أنّ الفاعل في كلّها قد اقتصر على جماعة الغائبين مُمَثَّلاً في الواو المتّصلة، وفي ذلك من الإيحاءات ما يمكن اختصارهُ في التالي:

أ-الدّلالة على الكثرة، والمراد:

- كثرة الحاسدين سواء:

-للجزائر، ويمثلها البيت الأوّل والبيت الثاني.

- أو للشعب، ويمثلها البيت الخامس.

1- المرجع نفسه، ص: 45

2-المرجع نفسه، ص : 55.

3-المرجع نفسه، ص : 63.

4-المرجع نفسه، ص : 79.

5- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص : 96.

6- المرجع نفسه، ص: 115.

7- المرجع نفسه، ص: 118.

- أو للشاعر، ويمثلها البيت السّابع.

- كثرة الكائدين والمضلّين للشّعب وللشباب على وجه الخصوص ويمثلها البيت السّادس.

- كثرة الأعداء سواء:

- للأمير عبد القادر، ويمثلها البيت الثالث.

- أو لبعض الحركات السياسية (حزب الشعب تحديدا)، ويمثلها البيت الرابع.

- أو للأمة العربية والإسلامية على العموم، ويمثلها البيت الثامن.

ب-الدّلالة على التنوّع: والمراد الاختلاف في طبيعة هؤلاء الأعداء، والتلوّن في مشاربهم، فهناك أعداء خارجيون أعلنوا الحرب على كلّ ما هو عربي إسلامي، وهناك أعداء من بني الجلدة حاسدون، وآخرون استحكمت بينهم العداوات والصّراعات الدّاخلية يؤجّج نارها تباين الأفكار والرؤى في جميع المناحي وخصوصًا السياسية منها.

وهناك من الأعداء (التّوافه) مَنْ ليس لهم همّ إلاّ ترصُّد كلّ من تبدو عليهم علامات النبوغ لقصد تتبع العورات بغية التشهير بها .

- هذا، ويمكن القول – أيضا- بأنّ في إسناد هذه المجموعة من الأفعال إلى ضمير الغائبين[1] دلالة أخرى، تكمن في ترفع الشاعر وتعفّف لسانه عن ذكر (الأسماء) و(الهيئات) التي تعمل على كلّ ما ذكرنا من كيد واستعداء استعلاءً منه واستصغارًا لشأنهم. حتّى لكأنّه –بهذه الصّيغة – يبني هذه الأفعال للمجهول تجاهلا منه لهم من قبيل الاستكبار المحمود.

-إذن، ما نخلص إليه في نهاية هذا الفصل أنّ الشاعر قد وظّف المجرد – من الأفعال- بقدر توظيفه للمزيد، وذلك لدلالات أغلبها يدورحول: (الظلم- الاضطراب- الهدوء- الصّوت- الاختفاء- المنح- بعض العلل الاجتماعية- بعض الحالات النفسية بعض الصّفات اللاّزمة) وهذه كلّها خاصة بالمجرد.

1- والمراد – بالتحديد-الأفعال التي أُسْنِدَتْ (إلى واو الجماعة فاعلا)دون ذكرٍ سابق لاسم صريح يعود إليه هذا الضمير.

أمّا المزيد فقد تمخضّ استعمال الشاعر لها عن دلالات أكثرها:(التعدية – المطاوعة- اللّزوم- التكثير- الموالاة).

-كما وظّف الشاعر – أيضاجملةً من هذه الأفعال بأبنية مَا ولكنْ لدلالات زمانية مختلفة عن الدّلالات الأصلية لتلك الأبنية لأغراض مختلفة وكثيرة نجملها في الآتي: (الدّلالة بالماضي على مطلقه أو على الوصف الثابت، أو على الشرط (وهو الذي حقّه المضارع)، أو على الدّعاء (وهو الذي حقه الأمر). كما أراد ببناء المضارع الدّلالة على كثرة وقوع الحدث في الماضي، أو على وقوع الحدث عند التكلّم واستمراره، أو على حدث من قبيل الحقائق الثابتة.

أما الأمر- كلفظ قرآني -فلم يرد منه شيءٌ .

بالإضافة إلى ما ذكرنا، فقد وظّف الشاعر بعض الأفعال بصيغة التأنيث لفاعل مذكر بغرض الاستصغار، ووظف أخرى بصيغة التذكير لفاعل مؤنث للدّلالة على غيره (لأهميته). كما آثر في مواضع أخرى تأنيث الفعل لفاعل يجوز فيه الوجهان بغرض الإكبار والإجلال .

كما أنّ ما تجدر الإشارة إليه - من حيث الصيّغ العددية - أنّها منحصرة فقط في الإفراد والجمع، وأنّ أغلبها مذكورُ الفاعل (ظاهره)، فأمّا مذكورة الفاعل فللدّلالة على تحري الدّقة في السرّد أو في التأريخ والإخبار، ويطّرد هذا في الأفعال الواردة بصيغة الإفراد أو التي بصيغة الجمع، والأولى على وجه التحديد، أما الثانية فقد وظّف الشاعر بعضها للدّلالة على الفخر، وبعضها الآخر للدّلالة على الاستهجان. وهي في معظمها للدّلالة على الكثرة والتنوع، والمراد – تحديدا- كثرة أشكال الظلم وتنوع مشاربه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الفصل الثاني-

البنى الصرفية للأسماء المفردة

دراسة دلالية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المراد بالاسم «ما يُعرف به الشيءُ و يستدل به عليه، و هو عند النحاة ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمن، نحو: "رجل" و " فرس" و "نبل" و " بيت" »[1].

و المراد بالمفرد خلاف الجملة ، أي " ما ليس بتركيب

و البنى الصرفية هي الصّيغ و الهيئات التي تتميّز بها هذه الأسماء، و هي – عند اللّسانيين – لا تدرس لذاتها، و إنما لأبعادها الدّلالية [2].

والواقع أن البنى الصّرفية للأسماء كثيرة و متباينة الدّلالات، ولعلة[3] ما ـ أيضا ـ سنكتفي بالآتي:

1 -المعجم المفصّل في علم الصّرف، المرجع السابق، ص: 80.

2 - ينظر: البنية اللغوية لبردة البوصيري، رابح بوحوش، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1993 م ، ص: 83.

3 - و هي قلة أو انعدام الشواهد التي يمكن التمثيل بها لبعض الأوجه الدلالية لبعض البنيات في الإلياذة .

أولا:

بين الجمود و الاشتقاق:

المراد بالجامد كلّ لفظ أخذ منه غيره، و المشتق كل لفظ أخذناه من غيره[1]، و الأسماء القرآنية في الإلياذة هي من حيث هذا كغيرها، منها الجامد بصورتيه، و منها المشتق ببعض صوره.

و بعد قراءة دلالية لهاته الأسماء تبين بأن الشاعر تارة يسوق بعضها لذات الدلالة القرآنية، و تارة يخرجها عن هاته الدلالة إلى دلالات أخرى مختلفة[2]، و لذلك ارتأينا عدم إدراج الأسماء التي لم يخرجها الشاعر عن مدلولها القرآني سواء كانت جامدة كنحو: (الرّب – ثمود – نوح) أو مشتقة كنحو: (الفاطر – مؤمنا – النّصير).

أما التي أخرجها عن ذلك فيتعين سوقها سواء كانت جامدة كنحو :

(آدم –الزّقوم – الطّهارة)، أو مشتقة كنحو: (راكعة – خاشعة – الخبير).

I- الجامد:

و نعني بالصورتين المذكورتين (الدّال على الذات، و الدّال على المعنى)، فمثال الأول: رجل، بقر، و مثال الثاني:كل ما دلّ على مصدر من مصادر الأفعال، أو أسماء الأجناس المعنوية[3].

1- **الدّال على الذات**: و الذات هي كل موجود له حيّز من الفراغ يقتضي تخصيصا و تمييزا خارجين، و هو إمّا إنسان أو حيوان أو شيء ، و لكلّ منه اسم هو أول ما يتخذ لأجل هذا

1 - ينظر: المعجم المفصل في علم الصرف، المرجع السّابق، ص: 200 ، و ص: 368.

2 - ينظر: شعر الثورة عند مفدي زكريا ..، المرجع السابق، من ص:365 إلى ص: 370 .

3 - ينظر: بهجة الطرف في فن الصرف، حسن رمضان فحله، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، ص : 63.

التخصيص أو ذاك التمييز[1]، و عليه فيمكن القول بأن للذات خصائص يمكن إجمالها في الآتي:

- الظهور و الإبصار[2] (أي: إمكانية أن تبصر)، و ذلك لشغلها حيّزا معينا، و يكون ذلك إمّا في صورة إنسان أو حيوان أو مكان[3]، أو جماد.

- الاسمية[4] ،و العلمية أحيانا، فالمدينة اسم، و تلمسان عَلَم.

-التخصّص و التميّز[5]فهناك أشخاص لهم خصائص عامَة، لكنْ لكلٍّ ما يتميز به عن الآخر.

ولقد ذكر الشاعر - في إلياذته - من الأسماء القرآنية المفردة كثيرا من نماذج (الذات) نقتصر على ما يلي (آدم – عيسى المسيح –محمّد – أحمد الأصنام – الأناجيل – اللّظى – السّلسبيل).

و بعد قراءة متأنّية للمواضع التي وردت فيها هذه الأسماء تبين بأن الشاعر لم يكن يريد - في أغلبها[6]- المعنى المعجمي و الصيغة الصرفية القرآنية الموضوعة لها، فتارة يطلق (الذات) و يريد ذاتا أخرى، و تارة يطلقها و يريد المعنى ، و تارة أخرى يريد بها (المشتق) ما يعني الخروج التام عن البنية الصرفية الأصلية (الجمود) إلى غيرها.

و كل ذلك إنما كان لأغراض تستنبط من السياق فإليك النماذج و بيانها مقسمة حسب الآتي من الدّلالات:

أ - الدّلالة بالذات على ذات مغايرة: و شواهدها كثيرة نختار منها الآتي:

---

1 - ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ، المرجع السابق، ص: 107.

2 - ينظر: الدلالة الإيحائية..... المرجع السابق، ص: 127.

3 - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 125 و 126.

4 - ينظر: المرجع نفسه ، ص 125 و 126

5 - ينظر: المرجع نفسه.

6 - إن قيل: ماعلّة ذكر (أغلبها) وقد استغنيت أصلاعن إدراج الألفاظ التي التزم فيها الشاعر بالمعنى المعجمي القرآني؟

نقول: إنما فعلنا ذلك للإشارة إلى أن حتى هذه الكلمات التي أدرجناها و التي لم يلتزم فيها الشاعر بالمعنى القرآني ففي بعض المواضع نجده لم يخرج عن ذلك المعنى الأصلي، من نحو ألفاظ: الجنة و عيسى وغيرهما، فاستغنينا عن هذه الأخيرة.

ـ آدم: هو ـ في لغة القرآن الكريم ـ أبو البشر، أمّا استعمال الشاعر لهذا اللفظ فلم يكن المقصود به شخص آدم (عليه السلام)، و إنما أراد به خلاف ذلك، ممّا يتجلى من خلال السياقات المختلفة له.

ـ ففي قوله: وعلمّتِ آدم حب أخيه عساه يسير على هدينا[1]

يتبين بأنه يريد إنسان هذا الزمان ، والإنسان الجزائري على وجه الخصوص لِيحبّ أخاه الفلسطيني)، عساه – أي: الفلسطيني – ينتهج نهج الجزائري[2]فيتحرّر من قيد المستعمر[3]

ـ أما في قوله : وحذر آدم ظلم أخيه وسوّى الحظوظ و أعلى الرؤوسا[4]

فهو يريد مطلق الإنسان، و ذلك لورود اللفظة في سياق الحديث عن دور الإسلام في تهذيب طبائع الناس عامة، لأن الإسلام إنما جاء لكافتهم ، ثم إن القرائن الدّالة على هذا لا يكاد يخلو منها بيت من أبيات المقطوعة الرابعة و العشرين و المتمثلة في فاعل كل فعل ممّا يلي: (لاح – أيقظ – أهوى حذر – أخرج – حارب – لم يغمط ـعرّبَ)[5].

ـ وأما في قوله: وفضلت لمّا سئمت الدنا و آدمها أن تكون الملاك[6]

فيريد به كل إنسان كانت له يد في الغدر الذي راح ضحيته الشهيد مصطفى الفروخي الذي لقي حتفه إثر تحطيم طائرة كانت تهم بالإقلاع من مطار القاهرة، و قد كان سفيرا آنذاك للجزائر ببيكين[7].

ـ الأصنام: هي ـ في المعجم القرآني ـ التماثيل و الأحجار التي تتخذ آلهة لتُعبَدَ من دون الله[1]. لكن من خلال سياق الأبيات التي وردت فيها هذه اللفظة تبين بأن الشاعر قد خرج عن هذا المعنى إلى معان أخرى، منها:

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص : 22.

2 - و يؤكد هذا قول الشاعر في ص: 50 من الإلياذة : فليت فلسطين تقفو خطانا و تطوي كما قد طوينا السنين.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 22 (تعليق مولود قاسم) .

4 - المرجع نفسه، ص : 42.

5 - ففاعل (لاح) هو (الصباح) و المراد به : الإسلام ، و فاعل (حارب) هو (الدين) ، و فاعل (لم يغمط) هو (الدين) و كذلك فاعل (عرّب)، و في كلها يقصد الدين الإسلامي، و ماعدا هذه الأفعال ففاعلها مستتر يعود إلى ما ذكرنا. ينظر: المرجع نفسه، ص: 42.

6 - المرجع نفسه، ص: 84.

7 - ينظر: المرجع نفسه (التعليق).

- العملاء الخونة في قوله:

ولاذت فرنسا بأصنامها تحاول بالدّسّ كسب الرّهان[2]

و ذلك في سياق الحديث عن استعانة فرنسا بهؤلاء الأنذال لأجل التفريق بين حزب البيان و حزب الشعب بعد اعتناق (البيان) لمبادئ حزب الشعب[3].

و لعلّ ما يعزّز ما ذهبنا إليه من أن المراد هم العملاء قول مفدي زكريا في موضع آخر:

وفي المجالس أصنام تحرّكها يد المعمر تحميها التقاليد[4]

فالمراد – إذن – كل خائن أو كل جذع من " الجذوع البشرية الخاوية التي تتحكم في زمام الأمور و مصائر الناس بما تصل إليه من مناصب و مراتب فتعرقل تقدم المجتمع، و تقف حجر عثرة في سبيل تطوّره و سعادته"[5].

- التماثيل الممسوخة: و كان ذلك لعنة من الله لأجل ما اقترف أصحابها من عظيم الذّنب على حدّ الأسطورة المتداولة عن قضيةنعت حمّام قالمة بحمّام المسخوطين[6] وهو في قول الشاعر:

ويمضي الزّمان و يأتي الزمان، فيضحك من ذقن أصنامها[7].

مع ما يستوحى من البيت من سخرية الاعتقاد بمثل هذه الأساطير.

- الأناجيل: هو جمع مفرده : إنجيل، و الإنجيل (بالألف و اللام) هو المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، لكن في قول الشاعر: ولا بالأناجيل تنشر فينا فتصبح بالوضع غير مفيده[8]

خروج باللفظ عن معناه القرآني، و القرينة الدّالة على ذلك أمران:

الأول: لأنه - في البيت الشعري - بصيغة الجمع، و ليس في القرآن الكريم إلا(الإنجيل) - بصيغة الإفراد - .

---

1 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 684.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 64.

3 - ينظر: إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص:64 (تعليق مولود قاسم)

4 - اللهب المقدس، المرجع السابق، ص : 266.

5 - شعر الثورة عند مفدي زكريا ...، المرجع السّابق، ص: 354.

6 - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 73 (التعليق).

7 - المرجع نفسه.

8 -المرجع نفسه، ص: 103.

الثاني: ذكر عبارة (بالوضع)، فأكّد ذلك أنّها ليست للدّلالة القرآنية المذكورة.

و مع ذلك، ورغم أنّ الشاعر لم يخرجها عن إطار (الذات)، فقد أخرجها عن نطاق التعيين إلى مطلق التعميم للدلالة على الكثرة الدّالة بدورها على التحريف، ذلك لأن المعمر إنَما كان ينشر أناجيل محرّفة في أرض الجزائر لأجل التبشير[1].

ـ السّلسبيل: هو شراب " غاية في السلاسة و سهولة مروره في الحلق لعذوبته، و تسمّى العين التي في الجنة سلسبيلا لأن ماءها على هذه الصّفة"[2]

أمّا المراد بها في قول الشاعر:

و ذوب العراجن في صدرها على لحن جدولها السلسبيل[3]

فيحتمل أمران:

1- إمّا (البيان) للجدول، و في هذه الحالة لا يكون الشاعر قد خرج باللفظ عن ذاتيته رغم خروجه عن حقيقته ،وذلك بغرض التأكيد على أن هذا الجدول هو السلسبيل ذاته.

2- و إمّا (الوصف) لهذا الجدول، و هنا لا يكون الشاعر قد خرج به عن حدود الذات فحسب، بل قد جرّدها حتّى من جمودها فجعلها من المشتقات ليصف بها (الجدول).

و مهما يكن من أمر هذه اللفظة (الصّرفي) ففي سوقها دلالة على نقاوة هذا الجدول، و صفاء مياهه، و عذوبتها و كل ذلك إنما أورده الشاعر في سياق الحديث عن مدينة بسكرة و جمالها و سحر طبيعتها الفاتنة.

ـ اللّظى: هو" اللّهب الشّديد، و سميت جهنّم « لظى» لشدة لهبها"[4] إذن فهي ذات، أمّا في قول الشاعر: وفجّر ثورته من لظاها و سار على هديها في الغلاب[5]

فقد استخدم اللّفظة للتعبير عن مشاعر الكره و الثورة بغية التصحيح للأوضاع المزرية بإزاحة كل ما يقف حاجزا دون التحرر أو التقدّم[6].

---

1 - ينظر: شعر الثورة عند مفدي زكريا ...، المرجع نفسه، ص: 226.

2 - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ج: 01 ، ص : 582.

3 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 75.

4 - القاموس القويم للقرآن الكريم، إبرهيم أحمد عبد الفتاح، 1404 هـ / 1983 م، ج : 02 ، ص: 291.

5 - إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص : 30.

6 - ينظر: أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص: 142.

وعليه، فقد أراد باللفظة ـ إذن ـ مطلق النار، نار المدافع الملتهبة و البنادق المشتعلة، و نار القلوب المتأجّجة، والعيون المتّقدة ،لأجل الثورة النارية العارمة، فإن " للنار و السّلاح في شعر مفدي مكانة مرموقة و دورا خطيرا لم تصل إليه أيّة وسيلة أخرى"[1].

و لأجل هذا، فيبقى لفظ اللّظى ـ عند الشاعر- متأرجحا بين الذات و المعنى، فإذا أردنا باللفظة نار المدافع و البنادق فهي ذات محسوسة ، وإذا أردنا بها نارالقلوب الراغبة في الثأر فهي معنى لا حيز يحده.

ثم إن في اختيار لفظ (اللّظى) دلالة أخرى تكمن في الإشارة إلى نوع هذه النار، و ذلك لأن (اللّظى) من التلظّي و التلهّب[2] مع ما تحمله صيغة (التفعّل) من معنى التدريج، و فيه – ما لا يخفى – من معنى الاستمرارية و الإ طالة التي هي من طول الثورة التي استمرت حتى النّصر.

ب ـ الدلالة بالذات على معنى: و نختار من الشواهد الآتي:

ـ (عيسى – المسيح): عليه السّلام هو ابن مريم ابنة عمران عليه السلام، فلم تذكر لفظة (عيسى) في القرآن الكريم إلا دالة على هذا، والمسيحيون ينطقون به يسوع[3]. كما أن المسيح هو اسم بالصفة له، وفي اختياره دلالة وظيفية " أبين وأفيد للمخاطب لأنه هو المشهور والسائد، ولذلك فالتواصل به يكون أضمن للمتكلم " [4] ، إلا أن الشاعر لم يلتزم – في بعض الشواهد – بهذا بهذا المعنى (الذات) ، وذلك في نحوقوله

وصب النفايات في أرضنا وخان المسيح وأغرى السواما[5] .

وكذا قوله : وتغضب عيسى المسيح وتبكي على جذع نخلتها مريمـــــــــــا[6].

---

1 - شعر الثورة عند مفدي زكريا ... المرجع السابق، ص: 91.

2 - ينظر : القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ / 2008 م ، مادة: لظأ، ص: 1474.

3 - ينظر: القاموس القويم للقرآن الكريم، المرجع السابق، ج: 2 ، ص : 44.

4 - الثابت اللساني في إلياذة الجزائر - بين المنظور الوظيفي والاتجاه الأسلوبي ـ ،المرجع السابق ، ص : 87.

5 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 53.

6 - المرجع نفسه، ص: 105.

لأنه إنما يريد بالإغضاب و الخيانة الخروج عن مغزى الرسالة التي جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام لما بينها و بين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من تكامل تدل عليه لفظة الصّهر[1]التي وظفها الشاعر في قوله : أولئك آباؤنا منذ عيسى و كان محمد صهرا لعيســـــــــــي[2]

فلمّا كان بين المسيح (المسيحية) و محمد صلى الله عليه وسلم (الإسلام) مصاهرة، كان فيما اقترفه أتباع المسيح – (و حاشاه) – في حق أتباع محمد (صلى الله عليه و سلم)من جرائم هو بمثابة الخيانة لهذه الأخيرة لما في ذلك من خروج عن مبادئ المسيحية الأصيلة.

ـ **(محمَد – أحمد)** و هما – أيضا – لفظتان لشخص و احد هو رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم، و لكنّ الشاعر لا يريد بهما – في البيتين – ذات الرسول و إنما الرسالة التي جاء بها، و التي كانت، و ما تزال، و ستبقىمكمّلة لمَا جاء به عيسى عليه السلام ـ كما ذكرنا ـ، و هذا ما يعززه قوله: أولئك آباؤنا منذ عيسى و كان محمد صهرا لعيسى[3]

إذا عرب الدين أصلابنا فما زال أحمد صهرا لعيسى[4]

ذلك لأنه لم تكن هناك مصاهرة حقيقية بين هذين النبيين (الذاتين) عليهما الصلاة و السلام، و في ذلك مقطوع الدليل على أن المراد بـ (أحمد و محمد) ليس ذات الرسول صلى الله عليه و سلم و إنما رسالته، و عليه فقد أخرج الشاعر اللفظتين من (الذاتية) إلى (المعنوية) أي من (الشخصية) إلى (الرسالية).

ت ـ الدّلالة بالذات على المشتق: و لنا هذا الشاهد الذي يقول فيه مفدي :

و ذوب العراجن في صدرها على لحن جدولها السلسبيل[5]

حيث قد يكون المراد بلفظ (السّلسبيل) الوصف – غير مقيس – للجدول للدلالة على منتهى النقاوة و الطهارة، و قد سبق الحديث عن هذا [6].

---

1 - ينظر: تأملات في إلياذة الجزائر: المرجع السابق، ص: 77.

2 - إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص 42.

3 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 42.

4 - المرجع نفسه.

5 - المرجع نفسه، ص: 75.

6 - تراجع الصفحة:81من هذه الدّراسة.

2 ـ الدّال على المعنى: و المراد بالمعنى كل حدث مجرد من الزمان يجوز أن يكون ركنا إسناديا أساسيا في الجملة كنحو: الأكل و الضرب وغيرهما[1] .... و لذلك، فسنقتصر ـ في حديثنا- على الأسماء المتضمنة (المعنى) مجردا عن الزمان، و هي المصادر و أسماؤها، فأما المصادر فلأنها أصل جميع المشتقات[2] على رأي البصريين[3] ، و أما أسماء المصادر فلأنها أيضا دالة على معاني المصادر، و لكن بحذف بعض الحروف كنحو: العطاء و النبات و العون في حال نظرنا إلى (أعطى و أنبت و أعان)، أما إذا قدرت الأفعال (عطا و نبت و عان) فهي لها مصادر لا أسماء مصادر[4]، و بناء عليه يمكن القول بأن للأسماء الدالة على المعنى خصائص نُجملها في الآتي:

ـ مطلق الحدث، أو المصدرية و ما كان من بابها[5] (كاسم المصدر،والمصدرالميمي،وغيرهما)[6].

المصدر،والمصدرالميمي،وغيرهما)[6].

ـ التجرد من التعين الزمني[7].

ـ التجرد من التعيين الاشتقاقي[8].

ـ التجرد من الدلالة على الذات، و هو أخص الخصائص لاعتبار التقسيم الذي ذكرناه للجامد (ذات – معنى).

وقد ذكر ابن هشام جملة من الدلالات الإيحائية لصيغ المصادر المختلفة كالدلالة على الامتناع بـ (فعال)، و على السير بـ (فعيل)[9]، و غيرهما ، كما ذكر أمورا أخرى كالدلالة على

---

1 - ينظر:الدّلالة الإيحائية في الصّيغة الإفرادية، المرجع السابق، ص: 110.

2 - ينظر: القواعد الأساسية للغة العربية: سيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ص: 302.

3 - ينظر: الدلالة الإيحائية ...المرجع نفسه، ص: 149.

4 - ينظر : القواعد الأساسية للغة العربية، المرجع السابق، ص: 306.

5 - ينظر: المعجم المفصل في علم الصرف، المرجع السابق، ص:372 .

6 - بصرف النظر عن الفروق التي ذكرها ابن هشام بين هذه الأنواع / ينظر: أوضح المسالك، المرجع السابق، ج: 03،ص: 200 و ما بعدها.

7 - ينظر: الدلالة الإيحائية .. المرجع السابق، ص: 150. ينظر كذلك: بدائع الفوائد، المرجع السابق، المجلد:01 ،ج:01 ص: 92.

8- ينظر: القواعد الأساسية للغة العربية، المرجع نفسه، ص: 302.

9- ينظر: أوضح المسالك، المرجع نفسه، ص236 و 237.

على المرض ب (فَعَال). و على الصوت بـ (فعيل)، و على الحرفة بـ (فِعالة)، و على التقلّب بـ (فَعَلاّن)[1].

ومن جميل ما ذكرته صفية مطهري من دلالات مستوحاة من صيغ المصادر[2] أيضا: الدلالة على الأمر، و الدلالة على الماضي، و الدلالة على اسم المفعول، وعلى اسم الفاعل، وعلى الظرف الزماني[3].

و لقد ذكر الشاعر – في إلياذته – من نماذج (المعنى) كثيرا من الشواهد نقتصر على الآتي: (الجلال – الوحي – الطهارة – الخشوع – الجهاد – السلام البركات - المسخ – النميمة – الحرام).

وبعد قراءة للمواضع التي ذكرت فيها هذه الألفاظ تبين بأن الشاعر لم يكن يريد في أغلبها المعنى المعجمي القرآني و لا البنية الصرفية الموضوعة لها، فتارة يستعمل مصادر و يريد بها معاني أخرى غير التي وضعت في المعجم القرآني لتلك المصادر، و قد يخرج تماما عن المألوف المختزن في الضمير الجمعي للأمة الإسلامية، و تارة يوظف مصادر ليدل بها على (الذات) من قبيل التجسيد، أو على أحد المشتقات من قبيل الوصف كاسم المفعول، وصيغة المبالغة منه، وتارة أخرى يطلق المصدر ويريد به الدلالة على الفعل سواء المضارع منه أو الأمر، وربما أراد به الدعاء.

وكل ذلك إنما كان يقوم به الشاعر لدلالات يتكفل السياق بإجلائها، فإليك النماذج مقسمة حسب الآتي :

أ ـ الدلالة بالمعنى على معنى مغاير : ولكثرة الشواهد نكتفي بما يلي :

ـ الوحي: وتعد هذه اللفظة من أثقل ما يستند عليه الشاعر من ألفاظ في معجمه الشعري، كما أنها من الشواهد التي تساق للدلالة على النطق بالأصول التراثية التي يعتمد عليها في لغته الشعرية، وعلى رأسها القرآن الكريم[4].

والوحي في المعجم القرآني له دلالات مختلفة منها: الإشارة، كنحو قوله تعالى:

---

1 - ينظر: المعجم المفصل في علم الصرف، المرجع نفسه، ص: 577 و 578 .

2 - هي ـ في الواقع ـ تنظر إليه على أنه مشتق، بخلاف ما ذهبنا إليه تبنّيا لرأي المدرسة البصرية.

3 - ينظر: الدلالة الإيحائية..، المرجع نفسه، ص:151و 152و 153. ينظر كذلك: فقه اللغة ..،المرجع السابق، ص: 303.

4 - ينظر: مفدي زكريا شاعر النضال والثورة ، المرجع السابق ، ص: 109.

فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[1]، ومنها الإلهام، كنحو قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[2]، ومنها الذي بمعنى الغريزة كقوله ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[3]، أو أن يعلم شخص غيره بأمر في خفاء عن غيره كما في قوله تعالى ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾"[4]، أما الأشهر فهو وحي الله تعالى إلى الأنبياء عليهم السلام، والذي يعرف بأنه " عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة "[5]

والشاعر في توظيفه لهذا اللفظ يسجل عليه أمران:

- التزامه بالبنية الصرفية له (جامد – معنى).
- خروجه به عن معناه الأصلي الأشهر إلى معان أخرى لدلالات مختلفة تستنبط من السياقات (كلّ على حدة).

ففي قوله مثلا : ويا ومضة الحب في خاطري وإشراقة الوحي للشاعـــر[6]

إنما يريد بالوحي الإلهام الإلهي الذي بفيضه تجود قريحته فيبدع شعرا، فشبه هذا الإلهام بالوحي للدلالة على أصالة شعره المستمد من الروافد التراثية الإسلامية والعربية، والتي يعد القرآن الكريم من أغزرها صبًّا في شعره[7].

-كما أن في ذلك تعريضًا بمهاجمة الشاعر للشّعر الحر وأنصاره، واعتباره مقطوع الصلة بذاك التّراث[8]، وهو ما يعزّزه قوله :

---

1 - سورة مريم، الآية: 11.

2 - سورة القصص، الآية: 07.

3 - سورة النحل، الآية: 68.

4 - سورة الأنعام، الآية: 112.

5 - تفسير المراغي، المرجع السابق ، ج : 06 ، ص : 20.

6 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 20.

7 - ينظر: مفدي زكريا، شاعر النضال والثورة ، المرجع السابق ، ص: 108.

8 - ينظر: المرجع نفسه، حيث يصور لنا بأن لا رحم لهذا الشعر بكعب وحسان، وفي ذلك إشارة صريحة إلى مدى اطلاع الشاعر على أشعار الأولين، وأوزان الخليل ... وهذا بعض ما نعنيه بقولنا: (الرّوافد التراثية)

يجيبك ابن حمديس في الخالد ين ، ويصنع قوافيه من وحينا[1]

وذلك في معرض الإشادة بمكانة الشاعر البجاوي عبد الجبّار بن حمديس[2] الذي ما انفك – بدوره – يستقي من ذات المنبع الذي يستقي منه أبناء الأمة الإسلامية إلهامهم وأفكارهم و أشعارهم وخواطرهم التي هي مستقاة أصلا من قرآنهم الكريم ، ومن تراثهم الأدبي العريق.

- وأما قوله :

كذا عبّد العلماء الثنايـــــــــا بوحي السماء ووحي الدمـــاء[3]

ففي معرض الاعتزاز بجهود جمعية العلماء وربط ذلك بجهاد الشعب الجزائري ، والتأكيد على عنصر (الأصالة) في هذا الجهاد، بإضافة (الوحي) للدماء التي ترمز للشهادة في سبيل الله .

- وأما في قوله :

وكانت شريعة حرب الخلا ص ، بوحي نظامك لمّا اندفعنا [4]

فدلالة صريحة على أن مؤتمر الصّومام إنّما كان يستمد مبادئه من وحي الشريعة الإسلامية السمحاء، فأعطى " لجيش التحرير دما جديدا ، ونفسا طويلا، واستراتيجية محكمة "[5].

- الجهاد: هو استفراغ الوسع لمجاهدة العدو بأنواعه الثلاثة : الكافر ، والشيطان ، والنفس الأمارة بالسوء[6]، إلا أن الأشهر هو مجاهدة الكفار لقوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ... ﴾[7].

وقد أورد الشاعر هذه اللفظة في مواضع عدّة نذكر منها قوله:

جهاد الوزارة نور وحق سما بالبناء وأرسى جداره[8]

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 49.

2 - المرجع نفسه، ص: 49 (تعليق مولود قاسم).

3 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 62.

4 - المرجع نفسه، ص: 71.

5 -المرجع نفسه، (تعليق مولود قاسم).

6 - ينظر : تفسير المراغي، المرجع السابق، ج: 17، ص: 147.

7 - سورة التحريم ، الآية:9.

8 - إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص: 113.

ورغم التزامه ـ هنا ـ بالبنية الصرفية اللفظية ودلالاتها كمصدر (على مطلق الحدث) إلا أنه لم يُرد بها معناها القرآني المشهور (القتال في سبيل الله)، وإنما أراد بها ما تعقده وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية من ملتقيات الفكر ذات الطابع الديني الإسلامي الأصيل كل عام. وكل ذلك إنما دلت عليه (الألف واللام) التي في لفظ (الوزارة) والتي هي للعهد الحضوري[1].

ب ـ الدلالة بالمعنى على الذات : ومن النماذج التي وظفها الشاعر لهذا الغرض :

ـ الجلال : وهو ـ في المعجم القرآني ـ دال على مطلق العظمة[2] ، أما في قول الشاعر:

ويا تربة تاه فيها الجلال فتاهت بها القمم الشامخات[3]

فقد دل على (الذات)، من خلال الصورة البيانية التي شبه فيها الجلال بالشخص، فحذف المشبه به، وأبقى على شيء من لوازمه (وهو التيه) .

وفي استعمال المصدر هنا دلالة على تعميم صفة التيه بجعله (أي : المصدر) فاعلا لها دون أحد مشتقاته (كاسم الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة) العائد – بالضرورة – على ذات، فلكأنّ الشاعر يصور لنا هذا الجلال بأنه شخص بذاته أصابه التيه لهول ما رأى من معجزات تدل دلالة قاطعة على " التصاق صفة الجلال بالتراب الجزائري وارتباطه بالتيه، فتصير تربة الجزائر معجزة بالجلال ، أي : من مكوناتها الجلال " [4].

ـ البركات: هي جمع مفرده (البركة) وهي كثرة الخير والنماء[5] ، والبنية المذكورة هي اسم مصدر للفعل (بارك) لأن المصدر الأصلي هو المباركة، فالمفاعلة من فاعل[6]،والأصل في المصادر أنها لا تجمع، أما أسماء المصادر فيجوز معها ذلك كنحو:خرجة ـ خرجات، هذا، وفي الجمع ـ المستعمل ـ ما يدل على أن المراد باللفظ غير ما تدل عليه بنيته الأصلية ولا معناه

---

1 - ينظر: المرجع نفسه (التعليق) .

2 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ص : 237.

3 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص : 19.

4 - نبض التاريخ، نبض الإبداع إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 12.

5 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 129 و 130.

6 - ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، المرجع السابق، ج: 03، ص: 240.

المعجمي، فمن خلال سياق البيت الذي ذكرت فيه، والذي يقول فيه الشاعر:

وفي عمقها تكمن البركات إذا بارك السعي صدق النوايا[1]

يتجلى بأنه لم يخرج فقط عن معنى المصدر الأصلي أو اسمه إلى معنى آخر، بل قد خرج به كذلك عن إطار (المعنى) إلى حيّز (الذات) ، حيث عبّر به عن مكنونات الأرض الزراعية والنباتية والخشبية، وكذا الثروات المكنوزة فيها كالبترول والغاز وغيرهما من مختلف المعادن النفعية النفيسة، أو الصناعية .

ت ـ الدلالة بالمعنى على اسم الفاعل: ولنا في ذلك من الألفاظ ما يلي :

- **الخشوع:** وهو التذلل والخوف والسكون[2]، ولا يكون – مع الله – إلا باجتماع كل هذا مع التوحيد الخالص له .

وقد تردد هذا اللفظ في مواضع مختلفة نختار منها الآتي :

- وتجثو الثلوج على قدميه ، خشوعا فتسخر منــها الذّرى[3]
- ويجث الزمان على قدميه خشوعا ويركع له مذعنا[4]

ـ فأما الأول فيتحدث فيه الشاعر " عن جبال الجزائر الشامخة ....فسلسلة جبال "الأطلس " تتعالى في كبرياء وشموخ لتربط الأرض بالسماء..... حتى إن زرقة السماء استحالت اخضرارا نتيجة خضرة الذرى على صفحتها والثلوج تجثو عند قدميها خشوعا، بينما الذرى لا تقابل خشوعها إلا بالسخرية والاستهزاء"[5]، هذا الخشوع الذي كانت صفة الجلال التي تحدثنا عنها كفيلة بإثارته[6].

والملاحظ في لفظ الخشوع هنا أن الشاعر قد أراده مصدرا مع أنه – في الإعراب – حال، والأصل في الحال أن يكون مشتقا.وتعليل ذلك أنّ هذا المصدر هو نكرة مؤول من اسم فاعل،

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 88.

2 - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 203.

3 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 24.

4 - المرجع نفسه، ص: 78.

5 - شعر الثورة عند مفدي زكريا..، المرجع السابق ، ص : 154.

6 - ينظر: نبض التاريخ نبض الإبداع إلياذة الجزائر،المرجع السّابق ، ص: 14.

و المصادر تأتي أحوالا بكثرة في النّكرات[1]، و هذا من الجانب النحوي، و أمّا من الجانب الدّلالي فللتأكيد على استغراق كل الزمن الذي تلتزم فيه هذه الثلوج بصفة الخشوع في حضرة السلسلة الجبلية المذكورة في إشارة إلى عظمة هذه الجبال التي هي من عظمة هذا البلد .

ـ وأما الثاني فقد جعل الشاعرفيه الزمان يخشع أمام هذا الشعب، و يشعر بالتذلل في حضرته، والملاحظ هنا أيضا أن الشاعر قد آثر المصدر في ذات اللّفظ (الخشوع) ،و ذلك للتعليل النحوي نفسه، و كذا الدلالي، إلاّ أنّه هنا للتأكيد على شمول الزّمن الذي ينبغي أن تثبت فيه صفة خشوع الزمان لهذا الشعب بكل فئاته، و أجدريته بذلك لما قام به من تضحيات جسام.

ـ المسخ: هو تحويل صورة إلى أخرى قبيحة، قد تكون شبيهة بصورة حيوان قبيح المنظر[2]، قال الله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ ...﴾[3] .وقد أورد الشاعر اللفظة في قوله:

فكم شوّه المسخ فيهم عقولا وكم أمعن المسخ فيهم خرابا[4] حيث عَنَى بها العاملين على هذا المسخ (أي: الماسخين)المُضِلِين الذين لن يرضوا عن المسلمين حتّى يَرُدُوهم على أعقابهم فيتعبون مللهم الباطلة، و يقلبون أدمغتهم و يُرجعونهم إلى بلدانهم ممسوخين ليقوموا بدورهم بمسخ آخرين[5].

إذن فالتحوّل الذي يعنيه الشاعر ليس هو ذاك الخَلقي، بل هو التحول عن الدّين الحنيف و الفكر الإسلامي و الأخلاق النبيلة، و رفض كل ما يمت إلى الأصالة بصلة[6].

كما أن استعماله للمصدر لم يكن المراد به ذات بنيته، بل أراد اسم الفاعل (الماسخون)، و لكنه استعمله للدلالة على شمولية هذا المسخ للزمن كله، و عدم ارتباطه بحقبة معينة، فالحرب على الإسلام قائمة إلى يوم القيامة، و مما يعزّز هذا توظيف (كم) الخبرية في البيت نفسه مرّتين.

---

1 - ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، المرجع السابق، ج: 02، ص :305.

2- ينظر: تفسير المراغي، المرجع السابق، ج : 23، ص: 24 .

3 - سورة يس، الآية: 67.

4 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص : 99 .

5 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 101 (تعليق مولود قاسم).

6 - ينظر: شعر مفدي زكريا- دراسة و تقويم - ، المرجع السابق، ص: 212.

ـ الجهاد: و قد وردت في قول الشاعر:

بلونا السّنين الطّوال جهادا تباركنا معجزات السّماء[1]

و المراد هنا: بلونا السنين مجاهدين، لأن (جهادا) في هذا البيت حال لضمير الجمع في (بلونا)، و هو مؤوّل بالمشتق[2]إلا أنّ الشاعر قد آثر استعمال المصدر للدلالة على شمول هذا الجهاد للزمن كلّه على اعتبارما تدل عليه المصادر من هذا المعنى، و لعله بهذا يريد عموم المعاني المختلفة التي تدل عليها لفظة المجاهدة فهي دائمة بدوام الأعداء الأبديين للإسلام.

ث ـ الدلالة بالمعنى على اسم المفعول: و نختار لها لفظ:

ـ الحرام:وهو مصدر لـ (حَرُمَ) أو (حَرم)[3]و المحّرم هو الذي يُعاقب فاعله و يُثابُ تاركُهُ، وليس يراد به الحُكم، لأن الحُكم يُعّبر عنه بالحِرْمة، أمّا الحرام فللتّعبير عن المفعول، و من ذلك قول الله تعالى﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يفلحون ﴾[4] ،أي بمُحَرّم على أزواجنا[5].

و قد وردت اللفظة في قول الشاعر:

و مروحة الدّاي لم تك إلاّ كما يستبيح اللّصوص الحراما[6]

بذات البنية المذكورة لذات الدلالة التي تحدثنا عنها، حيث يستفاد من السّياق بأن المستعمر قد جعل من هذه المروحة ذريعة للاستيلاء على ما ليس من حَقِهِ، تَمَاما كما يفعل الذين يستبيحون كُلّ ما هو محرم.

ج ـ الدّلالة بالمعنى على الفعل: و لنا في ذلك لفظة:

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 54.

2 - و قد ذكرنا مثل هذا عند الحديث عن لفظ الخشوع .

3 - ينظر:القاموس المحيط، المرجع السّابق، مادة (حرم) ، ص: 353.

4 - سورة النحل، الآية : 116 .

5 - ينظر: تفسير المراغي، المرجع السابق، ج: 14، ص: 154.

6 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 53.

ـ سلام: و السّلام هو " الأمان أو التحية أو الصّلح"[1] و قد استعمل الشاعر هذه اللفظة بهذه المعاني متداخلة في بعض الأحيان، و خصوصا منها الأول و الثاني، حيث تكررت في أبيات مختلفة مرادا بها إما الماضي أو المضارع أو الأمر، و ذلك في الشواهد الآتية:

سلام على مهرجان الخلود سلام على عيدك العاشـــــر[2]

سلام لمقران يمضي شهيدا بسوفلات رمز الفدآ و الكفاح[3]

سلام على البغل، يعلو الجبـــال ثقيـــلا فيكبره الثقـــــــلان[4]

سلام على المغرب الأكبر على طبعه الناصع الأطهـــــــر[5]

لأن المراد من كّل ذلك هو : (سَلّمْنَا) أو (نُسَلّم) أو (سَلمُوا) على كلّ هؤلاء، وحيوهم تحية الإكبار لأجل ما قدموه –كُلّ في مجاله – في سبيل التحرر و الانعتاق السياسي والثقافي، وتحقيق الوحدة المغاربية على وجه العموم.

فإن قيل: و لم العدول عن استعمال (الفعل) هنا؟ نقول: لعل في إيثار اسم المصدر (سلام) دلالة على دوام التسليم، و عدم تقييده بزمن محدد.

هذا، و من وجهة نظر أخرى، فقد يكون المراد بالسلام هنا هو الدعاء لكل هؤلاء بالأمان والسلامةالأبدية التي لا تُحَد.

ح ـ الدلالة بالمعنى على الصفة المشبهة: و لنا في ذلك لفظ:

ـ الطهارة: و هي – في المعجم القرآني – " النظافة و الخلوص من الأدناس"[6] أي: الخبائث المادية، أو هي التبرّؤ و التنزه من كل العيوب و الآثام[7] أي: الخبائث المعنوية ، ولعل هذا الذي يريده الشاعر بقوله:

فأرض الجزائر أرض الوضوح، و تلك طهارة نياتنـــا[1]

---

1 - معجم الألفاظ القرآنية و معانيها، المرجع السّابق، ص: 135.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 20.

3 - المرجع نفسه، ص: 59.

4 - المرجع نفسه، ص: 81.

5 - المرجع نفسه، ص: 86.

6 - معجم الألفاظ القرآنية و معانيها، المرجع السابق، ص: 156.

7 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ج: 02، ص: 714.

فإذاكان الأمر كذلك فهو لم يخرج باللفظ عن معناه المعجمي القرآني، و لكن خرج به عن بنيته الصرفية (كمصدر) للدلالة على الوصف الثابت من قبل إضافة الصفة إلى الموصوف، و كان الأصل ـ في البيت ـ أن يقال: و تلك من نياتنا الطاهرة، أو وتلك نياتنا الطاهرة .

و الظاهر أن الشاعر قد اختار هذا اللفظ و على هذه البنية (المصدر) لغرضين:

الأول: و هو التجسيد، و ذلك بتقريب الصورة للسامع حتى لكأنه ينظر إلى هذه النّية رأي العين، و يلمح فيها دلائل التبرّؤ من كل درن، و هذا لأن الطهارة غالبا ما تُوصَف بها الذوات (البدن والثوب والمكان)، وفي ذلك دلالة على وضوح هذه النية و براءتها من كل الشوائب .

الثاني: و هو التعميم الزمني لما ذكرنا من دلالة المصادر على ذلك.

و في كل هذا الذي ذكرنا دلالات صريحة على صفاء المقصد في كل ما تقوم به الجزائرمن :

ـ الكتابة الموضوعية للتاريخ، و هو ما يؤكّده الشاعربقوله:

وخدمة تاريخــه من جــد يد، إذا ما صدقتم لأجيالنــا[2].

ـ تنظيم ملتقيات الفكر الإسلامي، و هو ما يؤكده في قوله:

و كم خلّد الملتقى مهرجانا يوجه صدق الضمير حواره[3]

وغير ذلك كثير كالنضال، و الجهاد ضد العدو لتحقيق النصر، والتقدم و الازدهار في كل المجالات، و السعي – خصوصا – لتحقيق وحدة المغرب العربي الكبير.

خ ـ الدّلالة بالمعنى على اسم الفاعل (بالمبالغة): و لنا في ذلك لفظة:

ـ النّميمة : وهي – في المعجم القرآني – السّعي للإفساد بين الناس و التفريق بين الأحبة[4]، وقد وردت في قول مفدي: وللكلب يهجر طبع النبــاح، و يهوى النميمة بالطيــران[5]

وبالرجوع إلى التعليق الذي في هامش المقطوعة التي ذكر فيها البيت يظهر وجه الدّلالة من استعمال المصدر هنا، حيث جاء في الهامش : " لقد توصل المجاهدون بعد ترويض طويل

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 111.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 111.

3 - المرجع نفسه، ص : 113.

4 - ينظر:تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السّابق، ص: 526.

5 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 81.

لتعويد الكلاب عدم النّباح، ثم إنّ الحاسة المرهفة في الكلاب تجعلها تشعر بخطر الطائرات المطاردة و النّمامة قبل وصولها برهة مديدة فيكثر هيجانها وارتباكها فيحتاط لها المجاهدون فإذا وصلت انبطحت الكلاب ...."[1].

إذن فمن خلال هذا يتبين بأن المراد بلفظ النميمة (كمصدر) هو هذه الطائرات (النّمامة) بهذه الصيغة التي تفيد المبالغة للدّلالة على كثرة القيام بالغارات الجوّية الموجهة لمواقع الجنود، و لقتل الأبرياء.

كما يتبين أنّه مهما كانت من عوامل اشتراك لغوية أو فروق اصطلاحية بين لفظ (النّميمة) قرآنيا، و إلياذيا فالغرض منها واحد هو الدلالة على معنى التفريق و الإفساد

كما أن في استعمال المصدر الدال على اسم الفاعل المحذوف مع موصوفه لدلالة واضحة على أن مهمة هاته الطائرات لا تقتصر فقط على فترة زمنية محددة، و إنما قد صارت ملازمة لها، و ذلك لما تدل عليه بنية (المصدر) من معنى الإطلاق الزمني.

II- المشتق:

المشتق من الاشتقاق، و هو أخذ شق الشيء، و الأخذ في الكلام، و أخذ الكلمة من الكلمة [2].

و هو في الاصطلاح ـ كما ذكرنا ـ ما أخذ من غيره، أي: من المصدر، و نعني بالمشتق ـ تحديدا ـ كلّ ما ينضوي تحت نوع الاشتقاق الصغير[3] الذي يتجلى في أفعال الماضي، والمضارع، والأمر، و اسم الفاعل، واسم المفعول ،و أسماء الزمان و المكان، و اسم الآلة[4]، و الصفة المشبهة باسم الفاعل ،واسم التفضيل[5]، و غيرها.

إلا أننا و نحن ندرس ألفاظا من القاموس القرآني في الإلياذة فسنكتفي بما ورد فيها من الشواهد الاشتقاقية، والتي خلصنا إلى أنها تكاد تنحصرفي اسم الفاعل ،و الصفة المشبهة، واسم التفضيل، و بهذا الترتيب حسب نسبة التواتر للشّواهد الواردة.

---

1 - المرجع نفسه (تعليق مولود قاسم).

2 - ينظر: القاموس المحيط، المرجع السابق، مادة: (شقق)، ص: 878 .

3 - للإشارة إلى وجود أنواع أخرى من الاشتقاق، كالكبير و الأكبر، و قد ذكرها السيوطي في كتابه: المزهر ..، المرجع السابق، ص: 269.

4 - ينظر: الاشتقاق و دوره في نمو اللغة، فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص: 74.

5 - ينظر:الدّلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، المرجع السابق، ص: 147.

أ- **اسم الفاعل:**وهو " اسم مشتق يدل على معنى متجدد بتجدد الأزمنة، غير دائم، ولا قديم، وعلى الذي قام بهذا المعنى، نحو : " كاتب " و " متعلم "[1] و قد ورد منه (كلفظ قرآني) كثير النماذج نقتصر منها على الآتي: (راكعة – الضّارعات – خاشعة – ساخطا) مع الأخذ بعين الاعتبار المتكرر منها إن وجد.

لكن و قبل ذلك يحسن الإشارة إلى بعض الإيحاءات الدلالية لاسم الفاعل –على العموم – والتي منها :

الدلالة على الآنية (عدم الثبوت) أي: على زمن محدد و ذلك حسب السياق، فإما أن يكون للحاضر، أو للمستقبل، أو للماضي وهو لا يكون إلا عند الإضافة[2].

الدلالة على الفاعل أي : القائم بالفعل[3].

الدلالة على الاسمية و الفعلية معا، فأما الاسمية فلأنه يوصف بصفات الأسماء، و أما الفعلية فلأنه يعمل كما الأفعال[4].

الدلالة على الوصفية، أي: غالبا ما يكون هناك موصوف مذكور أو محذوف مقدر[5].

الدلالة على مطلق الحدث (المصدر)، ومثاله قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لهُم مّن باقِيَةٍ ﴾[6] أي:من بقاء[7].

الدلالة على اسم المفعول، كنحو قوله تعلى: ﴿فَهُوَ في عِيشةٍ راضيةٍ﴾[1]أي مَرْضِية[2] و قولـه: ﴿لاَ عَاصِمَ الْيومَ من أمْرِ الله ... ﴾[3] و قوله: ﴿خُلِقَ من ماءٍ دافِقٍ﴾[4] و المعنى في الأول : (لا معصوم) و في الثاني: (مدفوق)[5].

---

1 - المعجم المفصل في علم الصرف، المرجع السابق، ص: 124.

2 - ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، المرجع نفسه، ص: 183.

3 - ينظر:الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ، المرجع السابق، ص: 181.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 182 .

5 - ينظر: المرجع نفسه.

6 - سورة الحاقة، الآية : 08.

7 - ينظر: الدلالة الإيحائية... ،المرجع نفسه، ص: 184 و 185 .

وقد ذكر خليفة بوجادي بعض دلالات أسلوبية لاسم الفاعل ، وهي " أن المتكلم يوقف خلالها سامعه على الحدث ، وهو يتشكل أمامه ، فحين يتكلم أحدهم مثلا: زيد قادم ، فلأنه يتكلم، وهو يرى بصرا، أو يعلم يقينا، حدث قدوم زيد، وهو يتشكل، فلا هو " قدم " وانتهى ولا هو سيقدم، بل هو قادم، وفي هذه الحال "[6].

و" الدّلالة الأسلوبية لاسم الفاعل في الإلياذة[7] تحمل أكثر من شكل لتعدد موضوعاتها، واختلاف انفعالات الشاعر ..... من وحدة إلى أخرى، لاختلاف ظروف كتابة القصيدة، فهي تعرض رسالة الشاعر وعناصرها حسب موضوعات القصائد، وهي تحدث وهي تتشكل، وهي تنمو أمام القارئ، بل تحمل انفعال الشاعر ذاته في كل مرة يتناول فيه نصه"[8].

- وبعد عرض الشواهد على ما ذكرنا من معايير تبين بأن الشاعر كان يوظف اسم الفاعل لدلالات متباينة، فتارة يريد به (المجاز) من باب إطلاق المحل و إرادة الحال، وتارة يريد به غير الفاعل الأصلي ، وتارة أخرى يخرج باللفظ عن دلالة بنيته الصرفية ليريد به المصدر .

1- الدلالة بالمحل على الحال: ولنا في ذلك ما يأتي:

- راكعة : وهي في قول الشاعر وبنت الجزائر تتلو نشيد العذارى، فتصغي الدنا راكعه[9]

حيث أسند (الركوع) إلى (الدنا) وليس ذلك من لوازمها ، بل من خصائص الإنسان، و كل من يستمع لهاته الأناشيد فينحني احتراما و إجلالا لمضامينها ، وأما عن استعمال اسم الفاعل فللدلالة على استمرارية هذا الركوع وما يوحي به من لفت الانتباه إلى هذه الأناشيد وإلى قيمتها التي لا تزول بمرور الأيام وتعاقب السنوات، وفي ذلك من الفخروالاعتداد بالنفس مالا يخفى .

---

1 - سورة الحاقة، الآية: 21. .

2 - ينظر: الدلالة الإيحائية...، المرجع نفسه .

3 - سورة هود، الآية: 43.

4 - سورة الطارق، الآية: 06.

5 - ينظر: كتاب فقه اللغة ... ،المرجع السابق، ص: 302.

6 - الثابت اللساني في إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص:27 .

7 - لكن، وللفائدة :خليفة بوجادي ـ هنا ـ يتحدث عن اسم الفاعل عموما ، وليس فقط عنه كلفظ قرآني.

8 - الثابت اللساني، المرجع السابق، ص : 27 و28.

9 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 83.

ـ الضارعات: وهي في قوله: وأزعج قوما أذان الصلاة يجلجل في القمم الضارعات[1]

حيث خرج مجددا باللفظ عن دلالة بنيته الصرفية بإسناد هذا التضرع إلى القمم(أي: المآذن) أو ربما (قمم الجبال) على اعتبار تردد صدى صوت الأذان منها.

ومهما يكن من أمرهذه القمم والمراد بها، فالشاعر قد أسند إليها ما ليس من خصائصها وهو التضرع الذي هو من لوازم المصلين الحالّين تحت هذه القمم، وبداخل تلك المساجد.

ـ ولعل في هذا الاستعمال دلالة على الشمول بإسناد الفعل إلى القمم (وهي غير عاقل) وإرادة (المصلين) (وهو عاقل) لأن غير العاقل أشمل للعاقل .

ـ كما لا يخفى ـ في هذا الاستعمال ـ تأثر الشاعر بمضمون قوله تعالى: ﴿إِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بحمده ﴾[2]، فيكون المعنى بذلك أشمل و أعم.

2ـ الدلالة باسم الفاعل على غير الفاعل: ولنا في ذلك لفظ:

ـ خاشعة : وهي في قول مفدي : وجلجل صوت نشيد اللواء ، فتعنو الرؤوس له خاشعة [3]

فهو لم يدل باسم الفاعل – هنا – على الفاعل الحقيقي للخشوع والذي هو: الأبدان والأصوات والأبصار[4] بل أسند الخشوع للرؤوس، وليس هو من لوازمها، بل إن طأطأتها هي مجرد علامة عليه فقط، بمعنى أنها ليس هي الفاعل لهذا الخشوع، وإنما فعل الشاعر ذلك لقصد الشمول، لأن الرأس يشمل كلا من الأبصار والأصوات، وربما لأنه في قمة البدن، وفي طأطأته و (خشوعه) خشوع لكل البدن .

3ـ الدّلالة باسم الفاعل على المصدر: ولنا في ذلك لفظ:

ـ ساخطا: وهو في قول الشاعر: ويرجف بركانها ساخطا فيمسخ صنّاع آثامها[5].

هذا اللفظ الذي بنيته (اسم الفاعل) ودلالته يرجح أنها على المصدر (سخطا)، وبيان ذلك أن

---

1 - المرجع نفسه ، ص : 112.

2 - سورة الإسراء، الآية: 44.

3 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 83.

4 - ينظر: لسان العرب، المرجع السابق، المجلد الثالث، مادة :(خشع)، ص: 644، والذي يستند عليه في ذلك هو قوله تعالى: " خاشعة أبصارهم " / سورة القلم ، الآية: 43. وقوله: " وخشعت الأصوات للرحمن " / سورة طه ، الآية : 108 .

5 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص : 73.

(البركان) إنما هو وسيلة يسخط بها ، وليس هو من يسخط[1].

وعليه ، فاسم الفاعل هنا ، وإن كان قد دل على الفعل ، فهو لم يدل على الفاعل (الله)، و إنما قد خرج عن هذه الدلالة (الأصلية) للدلالة على مجرد الحدث على أنه مفعول لأجله، لأن الرجف – هنا – إنما كان نتيجة للسخط[2]، ولعل هذا هو الأولى من أن نجعل من اسم الفاعل (في البيت) (حالا) ، والبركان (صاحبه) .

ب- الصفة المشبهة: " و هي صيغة مشتقة من الفعل اللازم تدل على وصف و على الموصوف به و على ثبوت ذلك الوصف ثبوتا يشمل الأزمنة المختلفة، نحو"كريم"و"حسن""[3]، و قد تصاغ من المتعدي سماعا إذا تنوسي المفعول به نحو قولنا فلان مسمع الصوت، و قد تصاغ حتى من الفعل المبني للمجهول إذا أريد معنى الثبوت كنحو: فلان محمود الأخلاق، و قد يتحول اسم الفاعل – أحيانا –إلى صفة مشبهة إذا دلّ بدوره على هذا المعنى (الدَوام) كنحو: فلان عَالِم[4].

والواقع أنه لم يرد في الإلياذة إلا القليل من نماذج الصفة المشبهة (كألفاظ قرآنية مفردة). والتي منها (الخبير – المسيح – الجليل – عجافا).

لكن، و قبل الحديث عن الجانب الدلالي لهذه الألفاظ يحسن الإشارة إلى بعض الإيحاءات الدلالية للصفة المشبهة على وجه العموم مختصر في الآتي:

- الاختصاص بوصف الذات[5]
- التشبه باسم الفاعل[6]
- الدلالة على الثبوت[7]

---

1 - لأن الذي يسخط هو الله، والذي يمسخ هو الله ، قال تعالى : " سخط الله عليهم " / سورة المائدة، الآية: 80. وقال: " ولو نشاء لمسخناهم " سورة يس ، الآية : 67.

2 - بصرف النظر عن شرط الاشتراك في الفاعل الذي ذهب إليه بعضهم ، كما جاء في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المرجع السابق ، ج: 02 ، ص: 226.

3 - المعجم المفصل في علم الصرف، المرجع السابق، ص: 289.

4 - ينظر:المعجم المفصل في علم الصرف، المرجع السابق، هوامش ص: 289 و 290 .

5 - ينظر: الدلالة الإيحائية ...، المرجع السابق، ص: 188.

6 - ينظر:المرجع نفسه.

7- ينظر: المرجع نفسه، ص : 189.

و قد تخرج الصفة المشبهة عن هذه الدّلالات إلى أخرى تستنبط من السياق كالدلالة على التجدد مثلا، - و هو من خصائص اسم الفاعل-، و من ذلك قول أشجع السّلمي في رثاء عمر بن سعيد الباهلي: و ما أنا من رزءٍ و إن جلّ جازع و لا بسرورٍ بعد موتك فارح[1]

وعليه، و من خلال قراءة للمواضع التي وردت فيها شواهد الصفة المشبهة تجلى لنا بأن الشاعر قد التزم في بعضها بأولى خصائصها الدلالية و المتمثلة في وصف الذات، و في بعضها الآخر وظفها لغير ذلك فوصف بها أشياء معنوية ،وإليك بيان ذلك من خلال هذا التقسيم.

1- الدّلالة على وصف الذات: و قد تجلى ذلك في جملة الاسماء الآتية:

- الخبير: و هي في قول الشاعر ونظمت جيشاوسست بلادا فكنتَ الأمير الخبير الخطيرا[2]

و الخبير – في المعجم القرآني – هي من أسماء الله الحسنى تدل " على أنه الذي يضع الأشياء مواضعها التي يقتضيها كمال علمه و حكمته و خبرته، فلا يضع الحرمان و المنع موضع العطاء له و لا الفضل و العطاء موضع الحرمان و المنع، و لا الثواب موضع العقاب، و لا العقاب موضع الثواب، و لا الخفض موضع الرفع، و لا الرفع موضع الخفض، و لا العز مكان الذل و لا الذل مكان العزّ، و لا يأمر بما ينبغي النهي عنه، و لا ينهى عمّا ينبغي"[3] فهو " الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء و خفاياها كما أحاطت بظواهرها"[4].

و يبدو أنّ الشاعر قد استوحى من اللفظة كلّ هذه المعاني ليصف بها الأمير عبد القادر وقصة مقاومته للاحتلال التي دامت ثماني عشرة سنة، و كذا تلك المجادلات التعجيزية بينه و بين جنرالات فرنسا العجوز التي حاولت مرارا شراء الضمائر حتّى مع الأمير لكنه أبى واستعصم.

فرنسا هاته التي حاولت مرارا خداع الأمير بعقد معاهدات للصلح لكنه – ولخبرته – كان على دراية بكل ما يضمرون، فكان يقبل ليس إلاّ للاستراحة استعدادا لتوجيه ضربات جديدة لها[5]

---

1 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 190.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص : 55.

3- أسماء الله الحسنى،شمس الدّين محمّد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد ، القاهرة 1429 هـ / 2008 م، ط: 01، ص: 354.

4 - المرجع نفسه.

5- ينظر : إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 55 (تعليق مولود قاسم) .

إلا أننا نعقب بأنه مهما كان من شأن الأمير عبد القادر ففي وصف الشاعرله بالخبير مغالاة لا تقل أهمية عنها في استعمال لفظ القدير في قوله:

أيا عبد قادر ... كنت القديرا و كان النّضال طويلا عسيرا[1]

المسيح: هو – من حيث بُنْيَتُه – وصف من اسم فاعل (الماسح)، لكن في قول الشاعر:

وَصَبّ النفايات في أرضنا و خان المسيح، و أغرى السواما[2].

و قوله : وتُغضب عيسى المسيح، و تُبكي على جذع نخلتها مريمـــــــا[3]

نَقْلٌ لهذا الوصف إلى العلمية لِيُسَمّى به سيّدنا عيسى عليه السّلام، و في ذلك دلالة وظيفية – كما ذكرنا – و هي أن التخاطب به أشهر، و التواصل به أضمن للمتكلم[4].

2 – الدّلالة على وصف المعنى: و قد تجلى في الآتي:

- الجليل: و هو العظيم، فهو – في الأصل – وصف للذات ثابت، إلا أن الشاعر في قوله:

و يحدو الزعاطشة الثائرو ن جحافلها للمصير الجليل[5]

قد وظف اللفظة لوصف شيء معنوي (المصير)فخرج بذلك عن إحدى أهم خاصّيات الصّفة المشبهة ،إلا إن أوّل (المصير) بالمكان العظيم، و لا أعظم مما أعدّه الله للمجاهدين و الشهداء في الجنة من نُزُلٍ كريم جليل، ذلك لأن المصير – لغة – هو الموضع [6] ، و عليه فإذا كان المراد بالمصير الجليل (الجنة) ففي هذه الحالة (وَنَحْوِهَا) يمكن اعتبار (الجليل) وصفا للذات ثابتا، أما إن كان يريد بالموصوف (المصير) الذي هو – اصطلاحا – (المرجع) ففي هذه الحالة يكون في التعبير مجازٌ بتجسيد ما هو معنوي لغرض التعظيم و إعلاء الشأن.

---

1 - المرجع نفسه، ص: 55.

2 - المرجع نفسه، ص : 53.

3 - المرجع نفسه، ص: 105.

4 - ينظر : الثابث اللساني ... ،المرجع السابق، ص : 87.

5 -إلياذة الجزائر، المرجع السّابق، ص: 75.

6 - ينظر: القاموس المحيط ....، المرجع السابق، مادة : مصر ، ص: 959 .

- **عجافا** : هو جمعٌ، مفرده (عجفاء)، و المذكر (أعجف) و هو من العجف، و معناه: ذهاب السمن [1] ، و الأصل في اللفظة أنها لوصف الذوات، أما في قول الشاعر:

يغمراسن الشهم ضاق اصطبارا و غالب خمسين عاما عجافا [2]

فقد عدل بها عن وصف (الذات) إلى وصف (المعنى) و المتمثل في تلك الأعوام الخمسين التي قضاها يغمراسن من ملكه يضع أسس الدولة الزّيانية بعد إعلان استقلالها سنة 733هـ، وانفصالها عن دولة الموحدين[3] .

- أما عن اللفتة الدّلالية فتكمن في إلحاح الشاعر على طبع كثير من (المعاني) بطابع الذاتية والتجسيد ، ووصفها بما هو من أولويات ذلك وخصائصه، وهو الأمر الذي يحمل كثيرا من معاني الهزال والفراغ الذي ميز تلك السنين ، وقد كان يقصد الفراغ السياسي ، والضعف الاقتصادي ، والوهن الاجتماعي الذي اعترى دولة كانت تستعد لاسترداد سياستها .

ت- اسم التفضيل : " وهو صيغة مشتقة تدل على اشتراك شيئين في معنى، وعلى زيادة أحدهما على الآخر فيه ، نحو : " سمير أكبر من سليم"[4].

- فمن خلال هذا يتبين أنه يؤتى به - في الغالب – للدلالة على المفاضلة بين شيئين، لكن قد يخرج بالاستعمال عن هذه الدلالة ليدل على الفاعل كنحو قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾[5]، أو على الصفة المشبّهة كقوله: ﴿الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[6] أي : هيّن[7].

- وبالعودة إلى الإلياذة فلا نكاد نقف إلا على شاهد واحد، وهو لفظ (الأطهر) الذي ذكره الشاعر في قوله:

---

1 - ينظر:المرجع نفسه، مادّة : عجف ، ص:1056 .

2 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 54.

3 - ينظر: المرجع نفسه (تعليق مولود قاسم) .

4 - المعجم المفصل في علم الصرف ، المرجع السابق ، ص : 148.

5 - الإسراء: الآية: 54.

6 - الروم: الآية: 27.

7 - ينظر: كتاب فقه اللغة وسر العربية، المرجع السابق، ص: 355. ينظر كذلك المعجم المفصل ... المرجع السابق، ص: 150.

سلام على المغرب الأكبـــر على طبعه الناصع الأطهـــــر [1].

فبقراءة دلالية صرفية للفظة وكذا السياق الذي وردت فيه تبين لنا بأن الشاعر أراد به:

الدلالة على الوصف بالثّبوت[2] ولم يرد به المفاضلة ، فربما أراد الإشارة إلى ثبوت صفة الطهارة لهذا القطر، وأهل المغرب قاطبة، هؤلاء الذين قد صفت سرائرهم، وخلصت من كل شائبة من شأنها أن تعصف بهذا الكيان العظيم فتذهب محاولات التوحيد هباء.

هذا، وفي استعمال اسم التفضيل – هنا – وإرادة الصفة المشبهة دلالة على نزوع الشاعر إلى فكرة التجسيد لكل ما هو معنى، فلا الصفة المشبهة مختصة– في الأصل – بالمعاني[3]، ولا الطهارة – على الأشهر الأكثر – وصف لغير الذوات[4].

ثانيا

بين التعريف والتنكير

الأصل في الأشياء التنكير، والتعريف فرع عنه، ذلك لأن النكرة " لا تحتاج في دلالتها على المعنى الذي وضعت له إلى قرينة، بخلاف المعرفة، فإنها تحتاج إلى قرينة، وما يحتاج إلى شيئ فرع عمّا لا يحتاج إليه "[5] فالفروع هي المحتاجة إلى العلامات و الأصول لا تحتاج إلى علامة .... بدليل أنك تقول في المذكر قائم لكن في التأنيث قائمة، وتقول الرجل للتعريف لأنه فرع عن التنكير "[6]، إذن فالنكرة تدل – في عمومها – على التعميم، والمعرفة على التخصيص[7]، كما أن

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 86.

2 - لأن لاسم التفضيل باعتبار المعنى حالات ، منها: الدلالة على ثبوت الوصف من غير تفضيل / ينظر : شذا العرف في فن الصرف ، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ، تحقيق وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد ، وسعد حسن محمد علي ، مكتبة الصفا، القاهرة ، مصر، 1420هـ / 1999 م ، ط: 01 ، ص : 79.

3 - تراجع الصفحة :99 من هذه الدراسة.

4 - تراجع الصفحة :93 من هذه الدراسة.

5 - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المرجع السابق ، ج : 01 ، ص : 82.

6 - الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي (849هـ - 911) / (1445-1505م)، تحقيق عبد الإله نبهان،ج:01، ص : 556.

7 - ينظر: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل ، محمود أحمد نحله ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مطبعة العمرانية للأونست ، 1999م، ص: 194.

بعض النكرات أوغل من بعض " فشيء أنكر من جسم، وجسم أنكر من حيوان، وحيوان أنكر من إنسان، وإنسان أنكر من رجل وامرأة "[1] .

وعليه، فقد استغنت النكرة عن وسائل تعيّنها، في الوقت الذي كانت المعرفة بحاجة إلى هذه الوسائل المتمثّلة في الضمير والعلم والإشارة والموصول والمعرّف (بالألف واللام) والمضاف لواحد منها، والمنادى[2].

إلا أن ما يعنينا من كل ذلك هو الكشف عن الجوانب الدلالية المستوحاة من نزوع الشاعر إلى تعريف بعض الكلمات وتنكير أخرى.

لكن ، وقبل الحديث عن الشواهد الإلياذية يحسن الإشارة إلى بعض ما ذكرمن الدلالات الممكن استيحاؤها من صيغتي التعريف والتنكير في الكلام على وجه العموم.

* فمن الدلالات المستوحات من التعريف :

ـ **الدّلالة على الجنس الشّامل**، ومن ذلك ما في نحو قوله تعالى : " ﴿لِيُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ "﴾[3] و المراد جميع أمور التشريع والعقائد والآداب[4].

ـ **الدّلالة على الحقيقة والماهية**، ومن ذلك قوله تعالى أيضا ﴿لاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾[5] ، إذ قد عرفت كلمات (الاسم – الفسوق – الإيمان) باللام الجنسية لتدل على الماهية والحقيقة التي لا يختلف اثنان فيها "[6] .

ـ **الدّلالة على العهد**، وذلك في نحو قوله تعالى﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾[1] فليس الكلام شاملا لجميع أعراب البوادي، بل لأعراب بني أسد فقط[2].

---

1 - إدريس حمادي ، مجلة كلية الآداب والعلوم، مطبعة المعارف الجديدة فاس ، المغرب ، 1989 ، العدد: 10 ، ص:93.

2 - ينظر أوضح المسالك..، المرجع نفسه، ص: 83.

3 - سورة الحجرات، الآية: 07.

4 - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية (بتونس) – المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، 1984م ج : 26 ، ص : 235.

5 - سورة الحجرات، الآية:11.

6 - التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت لبنان، 1400هـ/1980م، ط: 04، ص: 302.

ـ **الدّلالة على الحصر**، ومنه قول الله تعالى﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[3]، وكقولنا: " زيد هو الجواد، وعمرو هو الشجاع ، [لأنك] تريد أنه الكامل إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه "[4].

*** ومن الدّلالات المستوحاة من التنكير :**

ـ **الدّلالة على الإطلاق والتعميم** ، خصوصا إذا كانت النكرة في سياق النفي أو الاستفهام أو الشرط أو النهي أو الإثبات بعموم العامة[5] ، وأمثلة ذلك (على الترتيب) :

قوله تعالى﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[6]، ﴿وقوله:هلتَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[7]، وقوله ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[8] وقوله﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾[9] و قوله أيضا:﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾[10].

ـ **الدّلالة على التعظيم**: و منه قول الله تعالى:﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[11]، أي: تعظيم هذا الأجر و هذه المغفرة12.

---

1 - سورة الحجرات، الآية: 14.

2 - ينظر: التحرير والتنوير، المرجع نفسه، ص: 264.

3 - سورة الحجرات، الآية: 07.

4 - ينظر: دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص: 178.

5 - ينظر: بدائع الفوائد، المرجع السابق، مج: 02 ، ج: 04 ، ص: 02 . ينظر كذلك : إدريس حمادي، مجلة كلية الآداب والعلوم، المرجع السابق، ص: 93.

6 - سورة الكهف، الآية: 49.

7 - سورة مريم، الآية: 65.

8 - سورة التوبة، الآية: 06.

9 - سورة الحجر، الآية: 65، وكذلك سورةهود ، الآية : 81.

10 - سورة التكوير،الآية: 14.

11 - سورة الحجرات، الآية: 03.

12 - ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، الألوسي البغدادي، ج: 26 ، ص: 215.

ـ **الدّلالة على التكثير**: و منه قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[1]،وذلك في لفظة:خيرا، وكذافي لفظتي:غفوروررحيم في قوله:﴿اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] و ذلك ذلك لما تحمله مثل هذه الصيغ من معاني التكثير[3].

ـ **الدّلالة على البعضية:** و منه تنكير لفظة (كثيرا) في قول الله و تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[4]، و ذلك لأن " في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك و لا تعيين ...و لو عُرّف لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقلّ "[5].

ـ **الدّلالة على الجنس و الكثرة و التعميم المطلق في آن واحد**[6]: و من ذلك تنكير ألفاظ (ذكر – أنثى – شعوبا – قبائل) في قول الله تعلى: ﴿يَاأَيُّهَا إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[7].

وبعد قراءة لشواهد التعريف و التنكير على مستوى الإلياذة، تبين لنا انحصار وسائل التعريف في اثنتين فقط هما (المعرّف بالألف و اللام، و المعرّف بالإضافة)، بخلاف التنكير، فهو – كما ذكرنا –ليس بحاجة إلى وسائل تُعَيّنُه .

I- التعريف وله قسمان :

1-المعرّف بالألف و اللاّم: و هو – في عموم الكلام – لما يلي:

---

1 - سورة الحجرات، الآية: 05.

2 - سورة الحجرات، الآية: 05 .

3 - ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1981 م، ط: 04 المجلد:03، ص:237.

4 - سورة الحجرات، الآية : 12.

5 - الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق و تعليق: محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، مصر، ج: 06، ص: 20.

6 - ينظر: التعبير الفني في القرآن، المرجع السابق، ص: 302.

7 - سورة الحجرات، الآية: 13.

- الدّلالة على الجنس ،و هو إما لبيان الحقيقة[1] كنحو قوله تعالى﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...﴾[2] ،أولشمول أفراد الجنس[3] كنحو قوله: ﴿خُلِقَ الإنسان ضعِيفًا ﴾[4].

- الدّلالة على العهد، و هو " إمّا ذكري نحوفَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾[5] أو علمي نحو: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾[6]، أو حضوري نحو ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[7]"[8].

- و" قد ترد « الـ» زائدة أي غير معرّفة ...كالتي في علمٍ قارنت وضعه كالسموأل و اليسع و اللات و العزّى، أو في إشارة و هو « الآن» ... أو في موصول و هو « الذي» و « التي»، و فروعها، لأنه لا يجتمع تعريفان، وهذه معارف بالعَلَمِية و الإشارة، و الصلة"[9].

2- و أما المعرّف بالإضافة: و التي هي – لغويا – مطلق الإسناد، فغالبا ما يكون كذلك (أي: لتعريف المضاف)[10] بمعنى تعيينه[11]، لكن، قد يكون لدلالات تفصيلية أخرى، منها:

- **الدّلالة على الملك:** كنحو قولنا: مال زيد، و ثوب بكر، لأن المراد مالُ لزيد، و ثوب لبكر، لأن الإضافة هنا هي بمعنى (اللاّم)[12].

- **الدّلالة على الإختصاص:** كنحو لجام الفرس، و حصير المسجد (لأنها بمعنى اللاّم أيضا)[13].

---

1 - ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المرجع السابق، ج: 01، ص: 179.

2 - سورة الأنبياء، الآية: 30.

3- ينظر: أو ضح المسالك، المرجع نفسه.

4- سورة النساء، الآية: 28.

5 - سورة المزمل، الآية: 16.

6 - سورة التوبة، الآية 40.

7 - سورة المائدة، الآية: 03.

8 - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المرجع نفسه.

9 - أوضح المسالك..، المرجع السابق، ص: 180.

10 - ينظر :المرجع نفسه، ج : 03، ص: 81.

11 - ينظر :المرجع نفسه، ص: 87.

12 - ينظر :المرجع نفسه، ص: 86.

13 - ينظر :المرجع نفسه.

- **الدّلالة على التبعيض:** و ذلك إذا كانت الإضافة بمعنى (من)[1]، و منه قولنا، بعض الناس

- **الدّلالة على الظرفية المكانية:** و منه قوله تعالى﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ »[2]، و قول أحدنا: فلان فلان قتيل المعركة[3].

- **الدلالة على الظرفية الزمانية:** و منه قول الله تعالى:﴿يَتَرَبَّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾[4]، و هذا لأنها في المثالين الأخيرين – بمعنى (في)[5] كنحو قولنا: هذه معجزة القرن، إشارة إلى اختراع مَا في هذا القرن

و بعد معاينة لشواهد الإلياذة تبين بأنها لدلالات متباينة، منها ما ذكرنا، و منها مالم نذكر، فإليك بيانها.

1- المعارف بالألف و اللام: و قد وظّف الشّاعر أغلبها لمَا يلي:

أ- الدّلالة على الجنس الشامل: و يُلمس ذلك من خلال توظيفه لنحو كلمات: (الزيغ – الفتون– الوبال – النكال)[6] حيث يريد:

- **بالزيغ:** كلّ ما كان يصبو إليه المبشرون من محاولات إزاغة الشعب عن معتقداته و شرائعه و أخلاقه و مبادئه، وكل عاداته و تقاليده الإسلامية العربية الأصيلة، يقول مفدي:

و حسب المبشر قرن ونصف تجارب للزيغ كانت بليده[7].

- **و بالفتون:** عموم الفساد و المجون الذي لازم حمّام ملوان لسنوات، من لهو و فسوق و اتباع للشّهوات و الملذات المحرمة: و حمام ملوان ملّ المجونـــا وأنهى غوايته و الفتونـــا[8]

---

1 - ينظر :المرجع نفسه.

2 - سورة يوسف، الآية: 39.

3 - ينظر: أوضح المسالك..، المرجع نفسه.

4 - سورة البقرة، الآية: 226.

5 - ينظر: أوضح المسالك..،المرجع نفسه.

6 - للتنبيه: ليس شرطا أن تدل كل لفظة من نحو ما ذكرنا على ذات الدّلالة في كل مواضع استعمالها، بل قد تدل عليها في موضع، وعلى غيرها في موضع آخر .

7 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 103.

8 - المرجع نفسه، ص:29.

- **و بالوبال:** مجمل العقوبات التي أنزلها أبطال الثورة بأحلاس العدوّ في أرضهم، أو التي تنتظر هذا العدو في أرضه انتقاما لمقتل الشهداء و الأبرياء العزّل في ديارهم، يقول مفدي:

سليمان حمزة آلى يمينا فبرّ و أصلى المغير الوبالا[1]

بأرض فرنسا يدك فرنسا و ينذر ساستها بالوبـــــال[2]

- **و بالنكال:** مطلق الأساليب التي استخدمها العدوّ للتنكيل بالأبرياء الذين قابلوا كلّ ذلك بالصبر و شدة العزم: ولا استسلمت جرجرا للمغير، و لا أوهن العزم طول النكال[3].

ب - الدّلالة على الحقيقة و الماهية: و نمثل لها بنحو كلمات:(الهدى – الشريعة – الإمامة – الصّلاة)، وهي في الشواهد الآتية:

ومهد الرسالات للعالمين، و نور الهدى و مصبّ الكمال[4].

يوجه حكم البلاد الشرا ةُ ، بوحي الشريعة حقا و عدلا[5]

ويجعل أمر الجماعة شورى و حق انتخاب الإمامة فصلا[6]

شغلنا الورى وملأنا الدّنا

بشعر نرتله كالصـــــلاة[7]

فكلها ألفاظ دالة على حقائق دينية مختزنة في الضمير الجماعي لأمة الإسلام، حيث قد انطبق مراد الشاعر في توظيفها - في هذه الشواهد- مع المرادبها- في المعجم القرآني - إذ أراد **بالهدى**: كل" ما يدل على ما يوصل إلى المطلوب"[8] و هو ما عبّر عنه الشاعر بلفظ (الكمال)،

---

1 - المرجع نفسه، ص:58.

2 - المرجع نفسه، ص:61 .

3 - المرجع نفسه، ص:60.

4 - المرجع نفسه، ص:36.

5 - المرجع نفسه، ص:44 .

6 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص:44.

7 - المرجع نفسه، ص: 19، (و في كل صفحة من صفحات الإلياذة).

8 - معجم الألفاظ القرآنية..، المرجع السابق، ص: 242.

(الكمال)، و **بالشريعة**: الطريقة و المنهاج في أمر الدّين[1] "يرد منها الناس إلى رحمة الله والقرب منه"[2].

و**بالإمامة** الإمامة الكبرى و ما تحمله من معنى القدوة الحسنة في أمور الدين للأتْبَاع[3]، و **بالصلاة** – على الأرجح – الصلاة المشروعة المعروفة بركوعها و سجودها و ما فيها من تلاوة للقرآن بدونها تبطل الصلاة.

إذن فهي دالة دلالة صريحة على الماهية و الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان (مسلمان طبعا).

كما أن في هذا التوظيف ما لا يخفى من الدلالة على فكرة التأصيل، و إعطاء البعد الروحي الإسلامي لكل ما تحمله تلك الأفكارمن خلال السّياقات التي وردت فيها هذه الألفاظ .

ت ـ الدّلالة على العهد: و لعل كلمات : (الأناجيل – السلسبيل – الأذان – الحرم – البركات) كفيلة بأن تدل دلالة عهدية على ما هو متداول بين العارفين بشعر مفدي من أنّ المراد:

ـ **بالأناجيل:** تلك النُسخ المحرفة التي أراد بها المبشرون تنصير أبناء المسلمين[4].

ـ **و بالسلسبيل:** الجدول الذي ذكره الشاعر في سياق الحديث عن مفاتن مدينة بسكرة و جمالها[5].

ـ **و بالأذان[6]:** الخطاب التاريخي المعروف الذي ألقاه أحمد مصالي الحاج بالملعب البلدي بالعاصمة[7].

و بالحَرَم: منطقة سانتوجين (بولوغين) حاليا[8].

ـ **و بالبركات:** ما هو مختزن في أرض الجزائر من خيرات و ثروات باطنية[1] .

---

1 - ينظر:تفسير المراغي، المرجع السّابق، ج : 25 ، ص: 149.

2 - المرجع نفسه، ص:150.

3 - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 29.

4 - تراجع الصفحة :81 من هذه الدراسة.

5- تراجع الصفحتان : 81 و 82 من هذه الدراسة.

6 - و المراد: (الأذان) التي في قول الشاعر، و أحمد يعلن فيه الأذان / الإلياذة، المرجع السابق، ص: 64.

7 - ينظر: المرجع نفسه (تعليق مولود قاسم).

8 - ينظر: المرجع نفسه، ص : 110 (التعليق).

ث ـ الدّلالة على القصر: و نمثل لها بألفاظ (القادر – القدير – الملاك) حيث دلت:

ـ القادر:التي في قول الشاعر: جزائريا بدعة الفاطـــر و يا روعة الصانع القـــادر[2]

على حصر صفة القدرة المطلقة في جانب الله تبارك و تعالى للإيحاء بأن روعة الصّنع هذه لن تتأتى لغيره فلا يقدر على فعل نحو ذلك أحد لا من البشر و لا من الجن و لا حتّى من الملائكة.

وبالنظر إلى هذا اللفظ على أنه من الأوصاف،وبصرف النّظرعن كونه من أسماء الله تبارك و تعالى، فإن في هذا القصر من الرّوعة الفنية مالا يخفى لولا تنكير الشاعر لذات اللفظة في قوله: أيا عبد قادر ... كنت القديرا و كان النضال طويلا عسيرا[3]

و هو البيت نفسه الذي ينزع فيه الشاعر مرة أخرى إلى القصر، و لكن لغرض آخر، حيث يحصر (القدرة) هنا في شخص الأمير عبد القادر بتوظيف الصفة المشبهة ليجتمع (القصر و الثبوت)، و كان الأولى ـ لولا الضرورة الشعرية- أن يدّخرهما لوصف الله تبارك و تعالى، فهو أحق بذلك بدل أن يوظف في حقه مرة اسم الفاعل (القادر) ، ومرة التنكير (قادر)، و معروف الفرق بين دلالتي (اسم الفاعل و الصفة المشبهة) من جهة، و بين دلالتي (التعريف والتنكير من جهة أخرى).

ـ الملاك: و هي في قول الشاعر:

وفضّلت –لمّا سئمت الدّنا و آدمها – أن تكون الملاك[4]

و قد أراد بها حصر صفة الملائكية في شخص الشهيد مصطفى الفرّوخي الذي يُرَجّح – كما ذكرنا ـ أنّه قد اغتيل في حادث الطائرة، و لم يكن موته عفويا، و في هذا الحصر ـ كما هو ظاهر ـ من المغالاة في المدح ما لا يخفى.

ج- الدّلالة على الاختصاص: و نمثل لها بلفظة (الرب) التي في قول الشاعر:

و يا بسمة الرب في أرضه و يا وجهه الضاحك القسمات[5]

---

1 - تراجع الصفحة: 89 من هذه الدراسة.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 20.

3 -المرجع نفسه، ص: 55.

4 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 84 .

5 - المرجع نفسه، ص: 19.

حيث متى "أدخِلت الألف و اللام على (رب) اختص الله – تعالى –به لأنها للعهد، و إن حُذِفتَا منه صار مشتركا بين الله و بين عباده ..."[1].

و الظاهر أن الشاعر قد لجأ- هنا- إلى التعريف، و بهذه الوسيلة تحديدا لألاّ يدع مَجَالا للتردد والارتياب في أن الجزائر هي و حدها -بسمة الرّبّ ، وهي -بحق- وجهه الوضّاء، مع ما في الصورة من مجاز ينم عن تصوف متأصل إلى حدٍ بعيد.

2- المعارف بالإضافة: و قد وظف الشاعر أغلبها لما يلي:

أ- الدّلالة على التّخصيص: و ما أكثر شواهده - كألفاظ قرآنية - في الإلياذة ، و لذلك سنختار منها كلمات (إيمانهم – إيماننا – ديني – إسلامهم – إسلامنا – أذان الصلاة – جهاد الأباه – جهاد الأسود – جهاد الوزارة – جلابيبهن).

- فأمّا عن التلون في نوع ما أضيفت إليه ألفاظ (الإيمان و الدّين و الإسلام)وانتقاء هذا (المضاف إليه)فحسب طبيعة الموقف ، فحينما يتحدّث عن الشباب الضّائع - مثلا- أو عن أولئك الذين ينعقون بما لا يسمعون نجده يوظف ضمير الغائب (إسلامهم) (إيمانهم) إبعادا لهم و لإسلامهم عن الإسلام الحَقّ، و ذلك بتخصيص هذا الإسلام أو ذلك الإيمان بهم، و لعلها فكرة مستوحاة من المعنى القرآني الذي في قوله تعالى: "قُل لاّ تَمُنّوا عَلَيّ إسْلَمَكُم "[2].

- أما حينما يتحدث عن المحافظين و الملتزمين من أبناء الأمة الإسلامية فنجده يوظف ضمير المتكلمين (إسلامنا) (إيماننا) أو المتكلم (ديني) مع ما في هذه الأخيرة – تحديدا – من دلالة الاعتداد بالنفس، يقول مفدي:

و حرّف من زاغ إسلامهم و أفقدهم و عيهم و الصّوابا[3]

و أصبح تفكيرهم قرمزيا دخيلا و إيمانهم مستترابا[4]

تسامت مصادر إشعاعنا تدعم خالص إيماننا[5]

---

1 - تفسير القرطبي- الجامع لأحكام القرآن –، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي - متوفى سنة:671 هـ - ، مكتبة رحاب ، الجزائر 1410 هـ / 1990 م، ط: 04، المجلد الأول، ص: 185.

2 - سورة الحجرات، الآية: 17.

3 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 99.

4 - المرجع نفسه.

5 - المرجع نفسه، ص: 91.

و يا ملتقى فكر إسلامنـا و مجلـى قداســة إيماننـــا[1]

فلولا جمالكِ ما صحّ ديني وما أن عرفت الطريق لربي[2]

- و أما عن إضافة (الأذان) إلى (الصّلاة) في قوله:

و أزعج قوما أذان الصلاة يجلجل في القمم الضارعات[3]

أيُطربكم في الحَي ناعـق و تستنكرون أذان الصَـلاة[4]

فللتّأكيد على أن هذا الذي يستنكره هؤلاء (القوم) هو – بالتحديد – أذان الصلاة المشروعة التي يتعبّد بها المسلم ربه، بخلا ف ما في قول الشاعر:

و يوليوز و الملعب البلد ي، وأحمد يعلن فيه الأذان[5]

لما في الإضافة المذكورة من التنبيه و لفت الأنظار و الاستنكار لشنيع ما يقوم به هؤلاء الذين ينزعجون عند سماع الأذان في وقتٍ تنشرح صدورهم لكل ناعق و مطرب يلوك بالباطل و القبيح من الكلام لسانه، و في ذلك دلالة صارخة على ما آلت إليه أحوال كثير من الناس من إعراض عن طريق الهدى، و إقبال على الفساد بشكل مريب

هذا، و تطالعنا دلالة التخصيص مجددا من خلال إضافة لفظة (الجهاد) مرة إلى (الأباة) و مرة إلى (الأسود) و مرَة أخرى إلى (الوزارة)، و إن كانت في الأولى و الثانية متقاربة الدّلالة، إذ كلاهما يصب في غرض واحد، و هو جهاد العدّو، يقول مفدي:

و ياصفحة خط فيها البقآ بنار و نـور جهـاد الأبـــاه[6]

وتحكي لهذا الورى قصة مضرّجة عن جهاد الأسود[7]

أما الثالثة، و التي يقول فيها:

جهاد الوزارة نور وحق سَمَا بالبناء و أرسى جـداره[1]

---

1 - المرجع نفسه، ص: 111.

2 - المرجع نفسه، ص: 21.

3 - المرجع نفسه، ص 112.

4 - المرجع نفسه.

5 - المرجع نفسه، ص: 64، وقد تحدثنا عن معنى الأذان ـ في هذا البيت ـ في ص :110 من هذه الدراسة.

6 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق ، ص: 19.

7 - المرجع نفسه، ص: 72.

فالمراد بها الإشارة إلى ما كانت تقوم به وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية من نشاط فكري و دعوي لم يكن يقل أهمية عن النشاط الجهادي الذي كان المجاهدون يقومون به آنذاك في ميادين الوغى ضدّ العدو، فسماه الشاعر – لأجل ذلك –جهادا.

ـ أما عن آخر ما نختم به كلامنا عن دلالة التخصيص هذه فتمثله بتلك اللفتة التي في قول الشاعر: جلابيبهن القصار الطوا ل، كأحلامهن القصار الطويلة[2]

حيث أضاف (جلابيب)[3] إلى ضمير الغائبات العائد ـ حسب السياق- إلى فتيات هذا العصر اللائي خلعن رداء الحياء، و تخلين عن جل القيم الإسلامية و المبادئ الرشيدة ليلتحقن بركب الأسافل متسترات بـ (جلابيب) قصار كاشفات للعورات ليس الغرض منها إلا الإغواء و الإيقاع في المحرمات.

2- **الدّلالة على الظرفية الزمانية**: ويتجلى ذلك من خلال الإضافة التي في كلمتي (زقوم) و(شرع) في قول الشاعر : ولائم يخجل إبليس منها ويرشح زقومها بالهنـــات[4]

وقوله: وقالوا التقدّم شرع الحيا ة ، وكم ركض الحلم بالنّائم[5]

حيث أضاف الأولى إلى هاء الغائب العائد إلى (الولائم) ،وأضاف الثانية إلى (الحياة) ، فدلت الأولى – كما الثانية – على الظرفية الزمانية ، لأن (الولائم) لا تقام إلا في زمن معين ، كما أن (الحياة) هي لفظة أصرح دلالة على الزمان منها على غيره .

وفي كل من هاتين الإضافتين حصر للمعنى ، حيث أراد الشاعر بالزّقوم (زقّوم هذه الولائم) تخصيصا، و بالشّرع (شرع هذه الحياة وطريقتها) كما يراها دعاة التقدمية المزيّفة .

3- الدّلالة على الظرفية المكانية: وتتجلى في كثير من مواضع الإضافة كتلك التي في نحو كلمات (جناتها – جناتنا – فردوسك – رفرف الخلد – رفرف العالية – رسالاته – رسالات أرض الجزائر – غوايته – آثامها) وهي في الشواهد التالية :

---

1 - المرجع نفسه، ص: 113.

2 - المرجع نفسه، ص: 106.

3 - هو " مفرد جلباب، و هو الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل، أو كل ما يستتربه من كساء أو غيره" / معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المرجع السابق، ص : 236.

4 - إلياذة الجزائر ، المرجع نفسه ، ص : 112.

5 - المرجع نفسه ، ص : 96.

وتـــاه الرّبيـــع بجنّاتهـــا يهـــادي تلمســـان وردا وفـــلا[1]

وفي قدس جنّاتنا النّاضرة وجـــوه ، إلى ربهـــا ناظـــرة[2]

ونافح فردوسك ابن خميس ويحي ابن خلدون فيك التهـب[3]

أفي رفرف الخلد قد وجدوا تلمسان .. فاختطفوها اختطافا [4]

وجلّ الفدآ بالملايين شرفت الخلد ، في رفرف العاليـــــــة [5]

هو المغرب الأكبر المستمدّ رسالاته من رسول الهـــــــدى[6]

و يا حجّة لرســـــالات أر ض الجزائر تسمو بأمجادنـــا[7]

وحمّام ملوان ملّ المجونـــا وأنهـــى غوايتـــه والفتونـــــا[8]

ويرجف بركانها ساخطـــا فيمسخ صنّاع آثامـــــــــها[9]

فظاهر من خلال هذه الأبيات (وسياقاتها) بأن كل لفظة ممّا ذكرنا إنما أريد – بإضافتها إلى ما أضيفت إليه – الدّلالة على المكان.

- فالهاء في (جناتها)تعودعلى(تاهرت) أي: الجنات المتواجدة في هذه المدينة،أي:(المكان) .

- والنون في (جناتنا) تعود على مدينة (القدس) وهي مكان ، لأن الظاهر أن المقصود : جنات قدسنا ، و سنأتي إلى ذلك لاحقا.

- والكاف في (فردوسك) تعود على مدينة (تلمسان) .

- و (الخلد) إنما يراد به الجنة التي عند الله .

---

1 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق ، ص: 44.

2 - المرجع نفسه ، ص: 46.

3 - المرجع نفسه ، ص: 33.

4 - المرجع نفسه ، ص: 51.

5 - المرجع نفسه ، ص: 85.

6 - المرجع نفسه ، ص: 92.

7 - المرجع نفسه ، ص: 111.

8 - المرجع نفسه ، ص: 29.

9 - المرجع نفسه ، ص: 73.

- و العالية، سواء أريد بها الظاهر أو التورية، أي : سواء أريد بها (الجنة العالية) أو (المقبرة العالية)، فهي مكان .

- و الهاء في (رسالاته) إنما تعود على المغرب العربي الأكبر في حين تعود في (غوايته) على الحمّام، وفي (آثامها) على مدينة قالمة، و كلها أمكنة.

كما ينضاف إلى هذه الشواهد أيضا – قول مفدي:

ولائم يخجل إبليس منها و يرشح زقومها بالهنـــات[1]

ذلك لأننا إن كنا قد ذكرنا بأن إضافة (الزّقوم) هنا هي للدّلالة على الظرفية الزمانية، فإننا نقول بأنها أيضا للظرفية المكانية لأن الولائم لا تقام كذلك إلا في ظرف مكاني محدّد.

4- الدلالة على الوصف : و ذلك بإضافة بعض الكلمات (الصفات) إلى موصوفاتها، كما في نحو قول الشاعر: فأرض الجزائرأرض الوضوح، و تلك طهارة نيّاتنـــــا[2]

و قوله:

تسامت مصادر إشعاعنا تدعّم خالص إيماننـــــــا[3]

و قوله:

وتعس شباب عديم النّهى على رجس عاداته لا يثـــور[4]

حيث أضيفت كل من (طهارة) و(خالص) و (رجس) إلى (النيات) و (الإيمان) و (العادات) ، وهي صفات لها، من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، فأضيفت (طهارة) إلى (النيات) للدّلالة على الوصف بالنقاء ، و أضيفت (خالص) إلى (الإيمان) للدّلالة على الوصف بالتّجرّد، وأضيفت (رجس) إلى (العادات) للدّلالة على الوصف بالاستهجان.

و عليه، فلم تكن الإضافة هنا – حقيقيّة بحال من الأحوال ، بل كان الغرض منها هو الوصف بالدّرجة الأولى.

5- الدّلالة على العهد: و تمثلها كلمات (جنة عدن – و حي السماء – و حي الشريعة) و هي في قول الشاعر: وباهى بشرشال جنة عدن وزان حدائقهـا السندسيـــــة[1]

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 112.

2 - المرجع نفسه، ص: 111 .

3 - المرجع نفسه، ص: 91.

4 - المرجع نفسه، ص: 108.

و قوله: و في الدار جمعية العلمـاء تغذي العقول بوحي السمـــــاء[2]

وقوله: يوجــه حكم البلاد الشــرا ة ، بوحي الشريعة حقا و عدلا[3]

و هي كلها للعهد العلمي الذي عليه أبناء أمّة الإسلام، ممن يعتقدون بهذه الأمور اعتقادا لا يعتريه الرّيب.

II- التّنكير :

سبق و ذكرنا بأن ليس للتنكير ضوابط معينة لأنه الأعم، و عليه فسنتحدث مباشرة عن الدّلالات المستوحاة من مختلف الألفاظ التي أوردها الشاعر – في إلياذته على هذه الصيغة، لكن، و قبل ذلك فإنه ليحسن بنا الإشارة إلى أنّ ما ذكرنا – عند التنظير – من دلالات قد يصح انطباقه كليا على شواهد الإلياذة، و قد تنضاف إليه أشياء، أو تحذف أخرى.

فبعد معاينة لهذه الشواهد تبين بأنها في عمومها للدّلالات التّالية:

1- الدّلالة على التّعميم: و يطلق عليه الشيوع و يقابله التعيين[4]، وقد استعمل الشاعر ممّا يدل عليه ألفاظا كثيرة ، نختار منها ما يلي:

- **شواظ**: و هي في المعجم القرآني " لهب خالص لا دخان فيه"[5] ،و قد ذكرها الشاعر في قوله:

و تأبى المدافع صوغ الكلا م، إذا لم يكن من شواظ وجمر[6]

فأراد به مطلق اللهب بمعنييه (الحقيقي و المجازي)فلا جدوى للكلام ما لم يُرْدَفْ بلهيب المدافع، أو يصدرْ عن صدور متأججة بنار الرغبة في القضاء على كلّ أثر للعدو.

و ممّا يؤكد فكرة العموم هذه أن اللفظة قد وقعت في سياق الشرط، و قد تحدثنا عن ذلك.

- **عهدا و ذمة** : و هما في قول الشّاعر:

و دان له الحرف بالخالدا ت ، فأخلص للحرف عهدا و ذمة[7]

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 41.

2 - المرجع نفسه، ص: 62.

3 - المرجع نفسه، ص: 4.

4 - ينظر: التعريف و التنكير بين الدلالة و الشكل، المرجع السابق، ص: 21.

5 - تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 463.

6 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 69.

7 - المرجع نفسه، ص: 95.

و المراد مطلق العهود التي قطعها الشيخ طفيش سواء مع ربّه، أو مع النّاس، أو مع النّفس، فكلها في ذمتهليخلِصنّ في الوفاء بها، و قد فعل ، و حسبك أن يلقّب بـ (قطب الأئمة) لكونه عالما متفتحا على القضايا العربية و الإسلامية و أحد أهم روادها الخالدين[1].

2- الدلالة على التعظيم: و قد وظف لها الشاعر كثيرا من الألفاظ نختار منها ما يلي:

- جلال: و هي في قوله:

وخمس وخمسون في الذكريات جلال يهدهد صدر الوجود[2]

حيث دلت – هنا – على أهمية تاريخ الخامس و الخمسين، و أنّه من العظمة بمكان بحيث لن ينسى العالم كلّه ما قامت به قوات العدو من مجازر في مدينة سكيكدة لمّا " تظاهرت بلدان الجزائر تضامنا مع المغرب الشقيق في ذكرى اختطاف الملك الرّاحل المنعم جلالة محمد الخامس"[3].

- صلاة: و هي في قوله:

على العربيّ الشّهيد صـــلاة مضرّجة بدماء ونـــــور[4]

و في هذا التنكير ما لا يخفى من تعظيم شأن هذه الصلاة التي سواء أراد بها الشاعر (الدّعاء) أو (صلاة الجنازة)، فهي ليست كأية صلاة، لأنها صلاة يخشع فيها صاحبها أمام جلالين: جلال الشهادة و جلال العلم ، هذا الأخير الذي كرّس الشّيخ العربي التبسي حياته في خدمته، فهو أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[5].

3- الدّلالة على التّكثير: و من الكلمات التي اخترناها للاستشهاد على ذلك ما يلي:

- لفحا : وهي في قول الشاعر:

و كم من صريع الغواني تداوى بأنسام باينام فازداد لفحا[6]

---

1 - ينظر : المرجع نفسه،(تعليق مولود قاسم).

2 - المرجع نفسه، ص: 72.

3 - المرجع نفسه،(التعليق)

4 - المرجع نفسه، ص: 74.

5 - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 74 (تعليق مولود قاسم).

6 - المرجع نفسه، ص: 26.

إذ نُرجِّح أن يُراد بهذا التنكير الدّلالة على كثرة هذا اللفح الذي يريد به الشاعر تلك الرغبة الجامحة في المكوث بهذه المنطقة التي كلما أقدم إليها أحد من الزوار إلا وافتتن بجمالها،وازداد تعلقا بها، ورغبة في الإقامة بها نظرا لجمالها ، و نقاوة أنسامها وممّا يؤيّد فكرة التّكثير هذه أمران:

الأول: وجود كم الخبرية في صدر البيت.

و الثاني: توظيف لفظ (ازداد) في العجز.

- مساجد : و هي في قوله :

مساجد للهدى في كلّ فـــج تنير السّبيل لأجيالنـــا[1]

و المراد التأكيد على معنى الكثرة اللاّ متناهية، و هو ما تُعززه عبارة (في كلّ فجّ) التي تفيد، أيضا التعميم إشارة إلى عراقة الشعب و البلد، و ما المستعمر إلا دخيل، و ما تحويله لبعض المساجد إلى كنائس إلاّ فترة عابرة، كما الذي فعله بجامع كتشاوة المستعاد من بعد ما حوّله إلى كنيسة في أوّل يوم احتل فيه الجزائر[2].

4- الدّلالة على التّخصيص: و الملاحظ أن شواهد التخصيص هنا لم تكن تنفك عن دلالات أخرى تُستوحى من السّياق، و التي نوجزها في عنصري:(التّوكيد و التّعظيم)

أ- التوكيد: (طبعا مع التّخصيص)، ومنه هاتان اللّفظتان:

- سحقا: و هي في قوله:

فسحقا لبنت تزيّف جيلا و تلعن فيها الدّماء الدما[3]

فأما التخصيص فمستفاد من الجار و المجرور المتعلقين (لِبِنْتٍ)، فهو دعاء موجّه خصيصًا على هذه المرأة التي خلعت ثوب الحياء، و تجردت من كل معاني الطهارة و العفاف.

وأما التوكيد فلكون اللفظة مفعولا مطلقا لعامل محذوف، وفي كل ذلك دلالة على إلحاح الشاعر على الدعاء عليها بكل أنواع اللّعنة و الخسران.

- تبّا : و هي في قوله:

وتبّا لمجتمع خائـــر تعيش الرّجال به كالدُّمى[1]!!!

---

1 - المرجع نفسه، ص:91 .

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 91 (التعليق) .

3 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق ، ص: 105.

فأما التخصيص فهو من الجار و المجرور المتعلقين (لمجتمع)، و أما التوكيد فلأن اللفظة بدورها مفعول مطلق لعامل محذوف، وفي كل ذلك – أيضا – ما لا يخفى من الدلالة على سخط الشاعر و دعائه على مثل هذا النوع من المجتمعات بالفناء.

ب- التعظيم : (طبعا مع التخصيص)، ومنه لفظ (سلام) الوارد في الشّواهد التّالية:

- سلام لمقران يمضي شهيدا بسوفلات رمز الفدآ و الكفاح[2]

حيث خصّص الشّاعر هذا السلام بأن علّق به الجار و المجرور (لمقران) فهو له دون سواه، كما أنّ في ذلك من التعظيم ما لا يخفى، فحسبه شرفا أن يلقى حتفه يوم الخامس مايو 1871 م بسوفلات، وهي منطقة قرب عين بسام[3] قد تكون مشهورة بالبطولات، أو أنّ لها تاريخا مجيدا فازدادت به شرفا، وازداد هو بكل ذلك عزّا و شرفا.

- سلام على البغل يعلو الجبال ثقيلا، فيكبره الثقـــــــــــــــلان[4]

و قد خصّص الشاعر سلامه – هنا – للبغل الذي لولاه و لولا الحمير" لما كانت الجبال معاقل حرّة للمجاهدين و لا كان في الإمكان تزويد الثّوار بالذّخيرة و الميرة و السّلاح "[5] فكانت هذه الحيوانات محل إكبار الجنّ و الإنس على السواء.

- سلام على المغرب الأكبر على طبعه النّاصع الأطـــهر[6]

وقد خصّص سلامه - في هذا البيت - للمغرب العربي (لفظا) و لشعوب هذا القطر (حقيقة و معنى) و في ذلك من التّعظيم ما لا يخفى ،وقد صرّح به الشاعر في كلّ أبيات المقطوعة التي ذكر فيها هذا البيت، و التي خصّصها للإشادة بجماهير المغرب العربي الأشقاء،وعليه، و لخشية الإطالة فسنكتفي ببعض عبارات شاهدة على صحة ما نقول، والّتي منها : (المغرب الأكبر- أحيّي الألى آزروا حربنا - و ما بخلوا بالدّم - الهدف الأكبر - و حدة العنصر - مغربنا الأكبر) .

---

1 - المرجع نفسه، ص: 105.

2 - المرجع نفسه، ص: 59.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 59 (تعليق مولود قاسم).

4 - المرجع نفسه، ص: 81.

5 - المرجع نفسه، (التعليق).

6 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 86.

5- الدّلالة على الجنس المعمّم: و قد استعمل الشاعر من ذلك هاتين اللّفظتين (نصارى – مجوسا)، وهما في قوله:

و لم نك ننكر آباءنـــــــــا أكانوا نصارى !!! أكانوا مجوسا[1]

فقد دّلت كلّ منهما على الجنس أولا (أي: جنس النصارى و جنس المجوس) و على التّعميم ثانيا (أي:كلّ النّصارى و كلّ المجوس من غير استثناء).

و لعل مراد الشاعر من ذلك هو الدعوة إلى الاعتراف بالأصول و عدم التنكّر لهم مهما كانوا.

- **فائدة**: وقد وردت ألفاظ بصيغة التنكير، و كان الأصل أن ترد بالتعريف ، لأنه الأنسب فيها،

- ومن ذلك، لفظة (ربّ) التي في قول الشاعر:

شرعت الجهاد فلبّاك شعـــــب و ناجاك رَبّ فكان النّصيـــــرا[2]

لأنها و بالنظر إلى السياق لا يمكن أن تكون عائدة إلا على الله عزّ وجل بدليل لفظة (النّصير) التي وردت بالقصر، و لا يصح أن ترد كذلك إلا عائدة - بدورها - عليه جلّ وعلا.

- وكذلك لفظة (دين) التي في قول مفدي:

ويمضي ابن تومرت يغزو الضلا ل فيخلص لله عقل و ديـــــن[3]

فهي بالضرورة تعود على الدّين الإسلامي الحنيف و هل كان ابن تومرت إلا مسلما مخلصا لله العقل و الدين؟!.

- إذن فالذي نخلص إليه أن هاتين اللّفظتين هما في الظاهر نكرتان، و في الواقع معرفتان، للدّلالة على العهد في الأولى ، وعلى الحقيقة و الماهية في الثانية.

ثالثا

بين التذكير و التأنيث :

التّذكير هو الأصل في جميع الأشياء، و لذلك احتيج عند التأنيث إلى علامة تميّزه عن المذكر، و عليه فالتّأنيث فرع[1].

---

1 - المرجع نفسه، ص: 42.

2 - المرجع نفسه، ص: 55 .

3 - المرجع نفسه، ص: 50.

" و ممّا يدل على تأصيل التذكير أنّه يُغلّب عند اجتماعه مع التأنيث فيُقال: الأبوان في الأب و الأم عند تثنيتهما و الابنان في تثنية ابن و ابنة، و الأخوان في تثنية أخ و أخت، و لا يقال: الأمّان و البنتان و الأختان" [2]

- و ممّا يدل على ذلك أيضا قول الله تعالى :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾[3]، و قوله: ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[4] فلعمّ بهذا الخطاب الرّجالَ و النساءَ و غَلّب الرجال، و تغليبهم من سنن العرب"[5].

وعليه فسيكون حديثنا منصبا (أكثر) على هذا الفرع أي:(التأنيث)، و الواقع أن له علامات كثيرة كالتاء، و الهاء، و النون و غير ذلك مما لا يعدُّ من صميم بحثنا بقدر سعينا للكشف عن بعض الدّلالات التي تنطوي تحت تأنيث الشاعر لكلمات كان المنتظر أن تذكر، أو تأنيثه لكلمات معينة في موضع، و تذكيرها في آخر، أو تذكيره لبعضها و كان المنتظر أن تؤنث .

-لكن و قبل أن نتناول شواهد الإلياذة في ذلك فإنه ليحسن ـ كالعادةـ أن نورد بعض ما ذُكِرَ في هذا الشأن من لفتات دلالية لظاهرة التأنيث على وجه الخصوص باعتبارها فرعا كما ذكرنا.

فمنهم من قال بأنه[6] يؤتى به للدّلالة على تأنيث اللفظ، والتفريق بين مذكره و مؤنثه كفاطمة و أسماء، و هذا إن كان التأنيث حقيقيا، أما إن كان مجازيا فيُؤتَى به للدّلالة على مجرد تأنيث اللفظ كالحجرة و الظلمة[7]، و قد قيل أيضا بأنه هنا لتوكيد الوحدة[8].

- كما قد يذكر المؤنث و يؤنث المذكر إذا أريد حمل اللفظ على المعنى كقولهم ثلاثة أنفس، فالنفس مؤنث، و لكن المراد هو الإنسان أو الشخص[1] ، و من ذلك قول أحدهم :

---

1 - ينظر: تد ميث التذكير في التأنيث و التذكير، منظومة الشيخ إبراهيم عمر الجعبري، شرح و تحقيق: محمد عامر أحمد حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1411هـ / 1991 م ، ط:01 ، ص: 41 .

2 - المرجع نفسه. ينظر كذلك : المزهر في علوم اللغة و آدابها، المرجع السابق، ص: 612.

3 - آل عمران، الآية : 102.

4 - الحج، الآية: 78.

5 - كتاب فقه اللغة و سر العربية، المرجع السابق ، ص: 309.

6 - أي : التأنيث.

7 - ينظر: تد ميث التأنيث في التذكير و التأنيث، المرجع السابق، ص: 41.

8 - ينظر : المرجع نفسه، ص: 42.

ما عندنا إلا ثلاثة أنفـــــــــس مثل النجوم تلألأت في الحندس[2]

وقول آخر:

يا أيها الراكب المُزجي مطيتهُ سائل بني أسد ما هذه الصوت[3]

لأنه إنما أراد بـ (الصوت) الجلبة و الضوضاء التي هي بمعنى الصيحة[4]

- إذن، و على ضوء هذه المقدمات، و بعد قراءة للمواضع التي استعمل فيها الشاعر بعض الألفاظ متأرجحة بين التذكير و التأنيث تجلى لنا بأن توظيفه لهما كان لما يأتي:

أ- الدلالة على الجنسين (بتغليب التذكير) : و يمكن التّمثيل لذلك بالآتي:

- **الخالدين**: و هي في قول الشاعر:

يجيبك ابن حمديس في الخالد ين، و يصنع قوافيه من وحينا[5]

فالظاهر أنه أراد به كلاً من الرجال و النساء الذين صنعتهم الأحداث نفسها التي صنعت مثل ابن حمديس شاعر بجاية العظيم،هذا من جهة، و من جهة أخرى فربما أراد تلك الأشعار التي خلدت بتخليدها لأمجاد هؤلاء الرجال و النساء.

و عليه فا(الخالدون) هنا هو وصف مشترك بين طرفين مختلفين على مستوى العاقل و هما (الرجال) و (النساء)، وبين طرفين متباينين – من جهة أخرى – إذ أحدهما للعاقل و هو (الرّجال و النّساء مجتمعين)، و الآخر لغير العاقل و هو (الأشعار) و هي تأنيث مجازي لاعتبار الجمع[6].

وعليه فيكون الشاعر قد غلب التذكير إمّا لكونه حقيقة، و التأنيث مجازيا، أو لأجل لفت النظر إلى الموصوف الأول بذاته أكثر من الثاني، باعتباره الأولى بذلك، لأن الحقيقي أحقّ بهذا الوصف من المجازي.

أمّا استعمال ذات اللفظ في قوله:

---

1 - ينظر: كتاب فقه اللغة و سر العربية، المرجع السابق، ص: 303.

2 - المرجع نفسه، و البيت غير منسوب.

3 - البيت لرويشد بن كثير الطائي، وهو موجود في لسان العرب، المرجع السابق، المجلد، 1: مادة: (صوت) ، ص: 619.

4 - ينظر: المرجع نفسه.

5 -إلياذة الجزائر، المرجع السّابق، ص: 49.

6 - ينظر: أوضح المسالك ..، المرجع السابق، ج: 02 ص: 116.

رعى اللهُ عيمش في الخالد ين، و كحال في السابقين الكرام[1]

فالأمر يختلف بعض الشيء ، لأن المراد بالوصف هنا هو العاقل بطرفيه حيث ينطبق على الرجال كما النساء ،لأن المشاركة في (الجهاد) أو في (النضال) لم تكن مقصورة على طرف دون آخر ، وتاريخ الثورة خير سجل يشهد بذلك ، بل وهذه الإلياذة وما احتوت عليه من أعلام النساء الخالدات، أو من إشارات عامة إلى ذلك كفيلة بالإجابة عن ذلك ، ومنها هذه الشواهد :

وتنبئك عائشة كيف كانت ترق و تقسو علـــى بعضنـــا[2]

وفي القصر تختـال بلارة تشيع الضياء ، وتفشي السنا [3]

وتذكر ثورتنـــا العارمـــة بطـــولات سيدتـــي فاطمـــة [4]

وناداك شعبك يـوم التنـــا دي فشرفت ثورته ونضالـه[5]

وكنت لحوّاء في الخـــالدا ت ، مثالا فريدا عدمنا مثاله[6]

ـ كافرين : وهي في قول مفدي :

متى سيتوب الألى لم يزالو بوحدة مغربنا كافريـــــــن[7]

حيث وظف التذكير وأراد كلا الجنسين من قبيل التغليب فلم يكن الكفر يوما قصرا على الرجال، كما لم ينحصر دعاة التفريق بين أقطار المغرب العربي الكبير في جنس الرجال دون النساء .

ب- الدّلالة على الجنسين (بتغليب التأنيث) : ويتجلّى ذلك في لفظ :

الضّارعات: التي في قوله :

وأزعج قوما أذان الصلاة يجلجل في القمم الضارعات[1]

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 68.

2 - المرجع نفسه، ص : 49

3 ـ المرجع نفسه ، وعائشة العمارية من شاعرات دولة بني حماد / ينظر (تعليق مولود قاسم). وبلارة هي بنت الشاعر تميم بن المعز بن باديس، وقد كانت سببا لمصاهرة سياسية بين الصنهاجيين بالمهدية وبين بني حماد ببجاية / ينظر (التعليق).

4 ـ المرجع نفسه، ص : 57.

5 - المرجع نفسه، ص: 107.

6 - المرجع نفسه.

7 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 50.

إذ يحتمل أن يريد بها كلاً من القمم – التي هي مؤنّث مجازي – وكذا المصلّين (على اختلاف جنسهم ما بين المذكّر والمؤنّث) .

فإن قيل: وكيف يكون للقمم تضرّع ؟ وهي غير عاقل ؟ نقول: الإجابة عن هذا ربما تكمن في فهم الشاعر الجيد للمعنى الذي في قول الله تعالى: " ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[2].

ومهما كان من أمر هذا الشاهد، فالظاهر أن الشاعر قد أراد العاقل قبل غيره، لأنه أولى بالتضرع من غيره، وأنه ـ في الوقت ذاته ـ قد جمع بينهما في لفظ واحد غلب فيه التأنيث بوصف غير العاقل للدلالة على الشمول كما ذكرنا. و في كل ذلك إشارة صريحة إلى مدى تأثر الشاعر بمعتقده، وتفكيره الإسلامي الأصيل الذي لا ينفك يطبع به كل لوحة من لوحات الإلياذة، بل وكلّ بيت من أبياتها.

ت ـ الدّلالة على الوحدة (بالتأنيث) : ويتجلّى ذلك في الآتي :

ـ الشّريعة : والمقصود اللّفظة الثانية التي في قول الشاعر :

شريعتنا كجلال الشريعة كمالاتها راسخات ضليعة [3]

وذلك لأن الشريعة من الشرع ، والشرع من الفعل شَرَعَ ، قال الله تعالى : " شرع لكم من الدّين ما وصّى به، نوحا والذّي أوحَينَا إليك "[4] أي: "بيّن وسنّ لكم طريقا واضحا "[5] ، ومعنى الشريعة هو " الطريقة والمنهاج من أمر الدين "[1].

---

1 - المرجع نفسه، ص: 112.

2 - سورة الإسراء، الآية: 44.

3 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 31.

4 - سورة الشورى، الآية: 13.

5 - تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 378.

إذن فالأصل هو (الشرع)، ولكنّ الشّاعر ألحق بها التاء إضافة إلى التّعريف للدّلالة على العهد من جهة ، وعلى الواحدية من جهة أخرى، فهي واحدة لا ثاني لها ومن حاد عنها فقد ضلّ ضلالا بعيدا.

- **الهداية**: وهي في قول الشاعر:

وعرق الأصالة طهّر طبعي ونور الهداية أذهب رجسي[2]

فالهداية هي الهدى وكلاهما " يدل على ما يوصل إلى المطلوب "[3]

ولا مطلوب أعز من الخلاص الدنيوي، والفلاح الأخروي .

إذن فكلاهما بمعنى واحد ، ولكن الشاعر آثر أن يختم اللفظ بالتاء للدلالة على أن طريق الحق واحد لا ثاني له[4]، وطريق الحق هو طريق الهدى، وهو طريق الهداية، وهو طريق الشريعة ، وكلّها ألفاظ تدلّ على شيء واحد يشهد بواحدية السبيل المستقيم قال الله تعالى : "وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتبعوا السّبل ..."[5].

فإن قيل: وماذا عن اللفظ (الضلالة) وقد ختم بالتاء دلالة على الوحدة في قول الشاعر :

ويصنع إيماننا أمـــــة قواما... فترجف منها الضلالة[6] ؟

مع العلم بأن الضلال – وحسب ما أورده ابن القيم في المرجع المذكور – له طرائق وسبل متعددة؟ نقول :ربما الإجابة عن ذلك تكمن في تتبع السياق الذي وردت فيه هذه اللفظة وقدذكرنا بأن المراد بها - في هذا البيت - هو ضلال محدد يتجلى في سعي العدو لمسخ العقول من خلال الغزو الفكري.

رابعا

بين الإفراد والجمع

---

1 - المرجع نفسه، ص: 404.

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 35.

3 - معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، المرجع السابق، ص: 242.

4 -وقد فصّل ابن القيم الكلام في هذا المعنى في كتابه: بدائع الفوائد، المرجع السابق، المجلد الأول،ج 01 ، ص : 119 و 120.

5 - سورة الأنعام، الآية: 153.

6 - إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص : 89.

الأصل في الأشياء الإفراد، وأما التثنية والجمع ففرعان عنه، ولذلك احتاج كل منهما إلى علامة تميزه عن غيره[1]، فاحتاج المثنى إلى الألف والنون، أو الياء والنون، واحتاج جمع السلامة إلى الواو والنون أو الياء والنون ، أو الألف والتاء، وأما جمع التكسير فليس له قاعدة قياسية تضبطه ، فإما أن يكون بزيادة حرف أو حذف آخر، أو تغيير حركة ، وغير ذلك[2] .

والواقع أن الحديث عن هذه الأشياء إنما هو تمهيد للولوج في صلب الموضوع المتجلي في الكشف عن اللفتات الدلالية من وراء استعمال الشاعر لهذه الصيغ (العددية) خصوصا، فالملاحظ أنه يعمدأحيانا إلى إحدى تلك الصيغ وأخصّ بالذكر(الإفراد والجمع) فيأتي بها (على مستوى الإلياذة) بصيغة في موضع، وبآخر في غيره، مما سنأتي إلى تفصيل الحديث فيه لاحقا.

لكن، وقبل ذلك فإنه ليحسن الإشارة إلى بعض ما ذكر – من قبيل التنظير – عن الدلالات التي تنطوي تحت استعمال بعض تلك الصيغ، وإيثار بعضها على بعض، والتي منها:

أن يذكر اللفظ بصيغة الجمع ويكون المراد التثنية كنحو قولهم: " رجل عظيم المناكب " وليس للرجل إلا منكبان وربما ذلك للتعظيم، أو أن يقال: رجل غليظ الحواجب، وليس له إلا حاجبان[3] ، وكقوله تعالى﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهَّ ِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا .. ﴾[4] .

أو أن يذكر اللفظ بالجمع للدلالة على الواحد، كنحو قول أحدهم في وصف ناقة:

تمدّ للمشي أوصالا وأصلابا[4]، وليس للناقة إلا صلب واحد فقط[5]، وقول آخر:

حمي الحديد عليهم فكأنه ومضان برق أو شعاع شموس[6] ،وليست هناك إلا شمس واحدة[7].

---

1 - ينظر : بدائع الفوائد ..، المرجع السابق، المجلد الأول ، ج : 1، ص : 109.

2- ينظر أوضح المسالك ..، المرجع السابق ،ج: 4، ص: 307 .

3- ينظر : المزهر في علوم اللغة.. ، المرجع السابق، ص: 616.

4- سورة التحريم، الآية: 04.

4 - البيت غير منسوب ،وهو من شواهد السيوطي في المزهر، ص: 616.

5 - ينظر : المرجع نفسه.

6 - البيت غير منسوب أيضا .

7 - ينظر: المزهر في علوم اللغة ، المرجع نفسه ، ص : 618.

وقد يطلق الجمع ولا يراد به ذات الجمع، بل جنسه إذا كان من أسماء الأجناس التي ليس لها مفرد، كالنساء والقوم والرّهط[1] ، أو أن يطلق المثنّى ولا يراد به ذاته إذا كان مما ليس له مفرد كنحو : الأنثيان، الأذنان وغيرهما[2].

كما قد يذكر المفرد ويراد المثنى كقوله تعالى﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ..﴾[3]، وقوله أيضا﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا.. ﴾[4]، والتقدير في الأول (ولا ينفقونهما) ، وفي الثاني (إليهما)[5].

وقد يقام الواحد مقام الجمع، كنحو قوله تعالى: "﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾[6] .وقوله أيضا: ﴿هَؤُلاء ضَيْفِي ﴾[7]، والتقديرفي الأول:(أطفالا) وفي الثاني: (ضيوفي)[8]ـ بصيغة الجمع ـ، كما كما قد يقام الجمع مقام الواحد في نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللّهِ﴾[9]، والمراد (المسجد الحرام)[10] .

وهذا كله من سنن العرب في الكلام، وأنّ كلا مما ذكرنا لا يخلو من دلالات غالبا ما يتكفل السياق بالكشف عنها.

وعليه، وبعد معاينة لشواهد الإلياذة تبين بأن أغلب ألفاظها (القرآنية) جاء إما بصيغة الإفراد أو بصيغة الجمع فقط، ولدلالات كثيرة ومتباينة ومتداخلة أحيانا ممّا جعلنا ننتهج في هذا المطلب

---

1 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 621.

2 - ينظر :المرجع نفسه، ص: 618.

3 - سورة التوبة، الآية: 34.

4 - سورة الجمعة، الآية: 11.

5 - ينظر: كتاب فقه اللغة وسر العربية، المرجع السابق، ص: 298.

6 - سورة الحج، الآية: 05.

7 - سورة الحجر، الآية: 68.

8 - ينظر: كتاب فقه اللغة وسر العربية، المرجع نفسه، ص: 299.

9 - سورة التوبة، الآية: 17.

10 - ينظر: فقه اللغة و سر العربية،المرجع السابق، ص: 300.

منهجا بحيث ننطلق من الشاهد- أولا - ثم الدلالات ، ذلك لأن الإفراد – مثلا – أو الجمع لم يورد أحدهما إلا لذاته، وهذه النماذج :

أ- **مواضع الإفراد ودلالاتها** : في الواقع هي كثيرة نختار منها الآتي :

- **الدين :** وقد وردت في الشواهد الآتية :

فلولا جمالـــك ما صحّ دينـــــي وما أن عرفت الطريق لربـــي[1]

ويمضي ابن تومرت يغزو الضلا ل فيخلص لله عقل وديـــــن[2]

هو الديـــن يغمـــــر أرواحنـــا بنور اليقين ويرســـي عدالـــه[3]

وقالوا الرجوع إلى الدين رجعـي وإن الحيـــاة مع القائـــــــم[4]

فالشاعر لم يوظف هذه اللفظة إلا بصيغة الإفراد لإيرادها في كل هذه الشواهد، في سياق الحديث عن الدين الإسلامي خصيصا ، والقرائن الدالة على ذلك مستقاة من سياقاتها .

- فبالنسبة للشاهد الأول نجد الشاعر ينظر إلى الدين الإسلامي على أن اعتناقه نتيجة طبيعية للتأمل في طبيعة الخلق (الجزائر تحديدا)، و الفكرة و إن كانت دينية في الأصل، و دعا إليها القرآن في أكثر من آية، محرّضا على تأمّل الطبيعة و إعمال الفكر فيها، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[5] و قوله: «وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[6]، قلت :و إن كانت الفكرة مبثوثة في القرآن الكريم إلا أنّ الطريف أن مفدي زكريا يقصر إعجاز الطبيعة و بعثها على الإيمان على طبيعة الجزائر دون غيرها [7]، والمراد بالإيمان هنا هو الإيمان بالله خالق كل شيء و توحيده [8]، و هو ما جاء الإسلام لتأكيده، ثم

---

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 21.

2 - المرجع نفسه، ص: 50.

3 - المرجع نفسه، ص: 89.

4 - المرجع نفسه، ص: 96.

5 - سورة آل عمران، الآية: 190.

6 - سورة الذاريات، الآية: 20.

7 - شعر الثورة عند مفدي زكريا..، المرجع السابق، ص: 157.

8 - المرجع نفسه.

ثم إن المعنى الذي مفاده التدبر في خلق الله للإيمان به إنما هو مستنبط من القرآن أي (الدين الإسلامي).

- أما الشاهد الثاني، فمن السياق يتجلى أيضا أنه إنما يتحدث عن الدّين الإسلامي الذي ما جاء إلا ليقضي على كل أشكال الضلال لأجل الهداية إلى سبيل الحق و النور المبين، و هو أمر لن يتأتى إلا بإخلاص الدّين لله، قال الله تعالى:﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾[1]، و قال:﴿اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾[2]، و هل كان ابن تومرت إلا مسلما متدينا مخلصا لله؟!.

- وكذلك الأمر في الشاهد الثالث، فما يغمر الأرواح و ينير السبيل غير الدين الإسلامي وحده، " وما سواه دخيل، و هيهات أن يقوى الدّخيل قوة الأصيل الذي شربته النفوس و طالبت بشريعته العقول التي آمنت بحتمية الحلّ الإسلامي في جميع مناحي الحياة" [3]، و هذا الذي لا يريده أعداؤه من الشيوعيّين و " غيرهم من أصحاب الفكر العاطل [فراحوا] ينفثون سمومهم في الشباب بشعارات براقة و آمال فسيحة و يهتفون في آذانهم أن الرجوع إلى القيم الأصيلة من دين و لغة و عادات و تقاليد أقرّها الإسلام يُعدّ رجعية" [4]،وهو ما يؤكده مضمون الشاهد الرّابع و الأخير.

- **الجنّة:** و قد وردت في الشاهدين الآتيين:

و يا جنة غار منها الجنـان و أشغله الغيب بالحاضر[5]

و باهي بشرشال جنـــــــة عدن وزان حدائقها السندسيـــــــــة[6]

حيث آثر الشاعر فيها الإفراد، لأن الحديث في الأول إنما كان عن الجزائر (أي: عن بلد معين)، و في الثاني عن الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين، فاللفظة – في هذين النموذجين – هي إذن كأسماء الأجناس، مثل الأرض و الماء و الحجر، وغيرها فلم يكن هناك بُدٌّ من إفرادها.

---

1 - سورة الزمر، الآية: 11.

2 - سورة الزمر، الآية: 14.

3 - شعر مفدي زكريا – دراسة و تقويم – ،المرجع السابق، ص: 207.

4 - المرجع نفسه، ص: 210.

5 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 20.

6 - إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 41. و الظاهر أن في لفظة (باهي) خطأ مطبعيا (وذلك لوضع النقطتين تحت الياء) لأن السياق – هنا – يدل على الإخبار مما يلزم أن توضع الألف المقصورة بدلها للدلالة على الماضي.

ـ الضلال: و قد ذكرت في الشواهد الآتية :

ويمضي ابن تومرت يغزو الضـلا ل، فيخلص لله عقـل وديـن[1]

ويصنـع إيماننـا أمـة قواما فترجف منها الضلالـة[2]

ومستشرقون أحبـوا الجـلالا و مستشرقون، أشاعوا الضلالا[3]

ففي الأول، و الذي هو من المقطوعة الثانية و الثلاثين، و التي دار موضوعها من أولها إلى آخرها حول ضلال معين تجلى في سعي الكائدين من أعداء الإسلام للحؤول دون تحقيق وحدة المغرب العربي الكبير، نلمس كيف أن توظيف الإفراد في هذا اللفظ كان هو الأنسب .

أمّا في الثاني، و الذي هو من المقطوعة الحادية و السبعين و التي دار موضوعها – أيضا – حول ضلال محدّد، تجلى في سعي الأعداء لمسخ عقول الشباب البريء من خلال الغزو الفكري الذي زرع بذوره الاستعمار فور شعوره بدنو أجل رحيله، فأخذ الشاعر يدعو إلى ما سماه بحرب الأصالة تارة، و تارة بمعركة المستوى، و أخرى بحرب الضمير، و كلها تفسيرات مُؤداها واحد، وهو الدعوة إلى الثورة الثقافية [4]، " بتحقيق الأصالة و تربية النفوس و غزو الجهالة" [5]تَصَدّيا لمحاولة المسخ لمقومات الأمة الخالدة، قلت : فمن خلال هذا يتبين – أيضا – بأن الشاعر قد تحرى الدقة في استعمال الإفراد في اللفظ مدار الحديث.

وأما في الثالث، و الذي هو من المقطوعة الرابعة و الثمانين، والتي دار موضوعها – كذلك – حول ضلال معيّن، حيث تحدث الشاعر فيها عن ذلكم النقاش الحاد و الجاد الذي دار ـ أثناء انعقاد الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي ـ حول دور المستشرقين[6] و موقفهم من القضايا العربية و الإسلامية . و لعل المقابلة التي وظفها الشاعر في البيت (الشاهد نفسه) كفيلة بالوقوف على حقيقة هذا الضلال، حيث قابل (الجلال) بـ (الضّلال)، و معروف – ممّا سبق – مراد الشاعر بـ (الجلال) فليزم بدلالة التقابل أن يُراد ب(الضلال) – هنا – لزوم حياة الذل

1 - المرجع نفسه، ص: 50.

2 - المرجع نفسه، ص: 89.

3 - المرجع نفسه، ص: 102.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 89 (تعليق مولود قاسم).

5 - شعر الثورة عند مفدي زكرياء – دراسة و تقويم –، المرجع السّابق، ص: 225.

6 - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 102 (تعليق مولود قاسم).

و الاستعباد، قلت: فلأجل كلّ هذا يتجلى – أيضا – و جه الصواب في استعمال لفظ (الضَلال) – هنا – بصيغة الإفراد للدّلالة على الجنس المعمم.

ـ اللعنة: و قد أوردها الشاعر مفردة – فيما يلي:

وقال الألى ناصروا حزبنا سنقضي على لعنة الاحتلال[1]

وعلاّل عاد إلـــى وكــره بماري و لعنتــه تيـــودور[2]

لأنه – في الأول منهما – إنما يتحدث عن الوجود الفرنسي الذي عدّه (لعنة) أي: عن فكرة محدّدة ،هي هذا الكيان اللعين الذي جثم على صدر البلد الطيب.

أما الثاني فيتحدث فيه عن لعنة أخرى محددة أيضا، و هي تفشي ظاهرة تزوج الشباب الجزائري من الأجنبيات ، و ما ينجم عنه من أخطار، معلّلا ذلك بكونها نتيجة حتمية لظاهرة غلاء المهور،هذا المرض الاجتماعي الخطير الذي يُعد الأشد فتكا بالأمة، و الذي لن يقضى عليه إلا بتكافل اجتماعي جاد[3].

ب- مواضع الجمع و دلالاتها: و هي بدورها كثيرة نختار منها ما يلي:

ـ الرّسالات: و هي في شواهد كثيرة، منها:

ومهد الرسالات للعالميــن و نور الهدى ، و مصبّ الكمال[4]

وقالوا الرسالات من مشرق الشمس، لكن يخالفهم مذهبـــــــي[5]

هو المغرب الأكبر المستمد رسالاته من رســــــــــول الهدى[6]

ويا حجـــة لرســـالات أر ض الجزائر تسمو بأمجادنا[7]

---

1 - المرجع نفسه، ص: 61.

2 - المرجع نفسه، ص: 108.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 108 (التعليق).

4 - المرجع نفسه، ص: 36.

5 - المرجع نفسه، ص: 45.

6 - المرجع نفسه، ص: 92.

7 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 111 .

و سواء أراد بها الشاعر المعنى المعجمي القرآني أو المعنى الإلياذي، فهو لم يوردها إلاجمعا للدلالة على التكامل التام بين هذه الرسالات ، لأن الكتب السماوية إنما يصدق بعضها بعضا ولو كان بعضها ينسخ بعضا كما أن الإيمان بها كلها واجب على الكل، و أن أي إنكار لأي منها فهو كفر[1].

فإن قيل بأن اللفظة قد وردت مفردة – أيضا – في القرآن الكريم ، في نحو قوله تعالى ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾[2] .

نقول: إن المقام في الآية كان يقتضي الإفراد لأن الحديث فيها هو عن رسالة النّبي صالح (عليه السلام) .

أما في الإلياذة فقد ذكرت بصيغة الجمع لأن الشاعر في كلّ الشواهد إنما كان يتحدث عن الرسالات عموما سواء بمعناها الاصطلاحي الشرعي، أو بمعناها العام، و دور كل ذلك في هداية الناس من جهة، و في التقريب بين هؤلاء الأنام مهما اختلفت عقائدهم و مذاهبهم من جهة أخرى، و لعل ما يعزّز هذا هو إلحاح الشاعر- في موضع آخر – على فكرة التقارب هذه، في نحو قوله:

أولئك آباؤنا منذ عيسى و كان محمد صهـرا لعيســى[3]

و قوله: و لم نك ننكــر آباءنــا أكانوا نصارى أكانوا مجوسا[4]

- الجنات: و هي في الشواهد الآتية:

وتــاه الربيــع بجناتهــا يهادي تلمسان و ردا وفــلا[5]

وفي قدس جناتنا الناضرة و جوه إلى ربّهــا ناظــرة[6]

1 - ينظر الرسل والرسالات ، عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس/ دار السلام ، الأردن 1429هـ/ 2008 م، ص: 227.

2 - سورة الأعراف ، الآية 79.

3 - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 42

4 - المرجع نفسه.

5- المرجع نفسه، ص: 44.

6 - المرجع نفسه، ص: 46.

لقد آثر الشاعر الجمع في هذين البيتين للدلالة على (الأجزاء) لأن المراد هنا هو الإشارة إلى أجزاء محسوسة من هذه الجنة، كما يقال في الأرض ـ وهي اسم جنس الأصل فيه أن لا يُجمع-: أرضان و أراضون [1]،إذن فهو يريد بالجنات المناطق و الحدائق و البساتين و جميع المناظر الجميلة المتواجدة سواء: بمدينة (تيارت) أو بمدينة (القدس) كُلّ حسب دلالة السياق الذي ورد فيه، كماأنّنا نرى في الشاهد الأخير – تقديما للمضاف إليه، و إنزاله منزلة المضاف المجرور، فربما كان الأصل: و في جنات قدسنا الناضره، بدل: و في قدس جناتنا الناضرة!

ـ مساجد: و هي في قول الشاعر:

مساجد للهدى في كل فج تنير السبيل لأجيالنـــا[2]

فمن خلال موضوع المقطوعة الثالثة و التسعين، و السياق الذي وردت فيه اللفظة يتجلى وجه الحكمة (الدلالية) التي جعلت الشاعر يؤثر صيغة الجمع بدل غيره، إذ لا يمكن أن يتصدى لحملات التبشير التي قام بها المعمّرون، والتي بلغت أوجها في عهد نابوليون الثالث ، الذي كان يشرف بنفسه على ذلك حيث استغل مجاعة 1866م لتنصير أطفال الجزائر[3] ، قلت: لا يعقل أن يتصدى لذلك إلا بتوعية جادّة، وتعبئة شعبية عامة، وذلك بتفعيل دور المساجد في مختلف أرجاء البلاد حتى تكون المواجهة شاملة وعامة وفعّالة.

ـ الأناجيل : وهي في قول مفدي:

ولا بالأناجيل تنشر فينا فتصبح بالوضع غير مفيدة[4]

ورغم أن اللفظة لم ترد – في القرآن الكريم – إلا بصيغة الإفراد ، فقد أوردها الشاعر – هنا – بصيغة الجمع للدّلالة على التحريف والابتداع اللاّ شرعي ، ومما يعزز فكرة التحريف هذه هو جملة من الألفاظ (القرائن) المذكورة في المقطوعة نفسها ، والتي منها (السّم ـ الشّرور ـ تهتك ـ العقيدة ـ الوضع ـ الزّيغ ـ بليدة) و غيرها ممّا يدل دلالة صريحة على القصد الخبيث من وضع هذه (الأناجيل)، فكان في جمعها صواب ، ولو أفردت لكان في المعنى فساد كبير .

ـالضّلالات: وهي في قول الشاعر:

1 - ينظر: بدائع الفوائد، المرجع لسّابق، مج: 01، ج:01، ص: 113 و 114.

2 - إلياذة الجزائر ، المرجع السابق، ص: 91.

3 - ينظر: المرجع نفسه، (تعليق مولود قاسم).

4 - المرجع نفسه، ص: 103.

وتغزو الضلالات في التائهين ، مع الوهم ، في موكب الأغبياء[1].

وفي هذا الاستعمال (للصيغة العددية) من الدّقة مالا يخفى ، حيث تجلى بعد قراءة للسياق الذي وردت فيه اللفظة بأن الشاعر إنما يتحدث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مشيدا بمآثرها، ودورها في القضاء على كل أشكال الجهل والتخلف والفساد، فكان الأليق – إذن – توظيف الجمع نظرا لتعدد هذه الضلالات في المجتمع الجزائري آنذاك – واختلاف أشكالها: من تمرّدعلى القيم والمبادئ، وفساد في الأخلاق باسم التقدم ونبذ الرجعية، و وقوع الأغلبية الساحقة ضحايا الغزو الفكري والمسخ الجذري للمقوّمات.

ـ بهذا نأتي إلى نهاية الفصل الثاني من بحثنا ،والذي خصصنا الحديث فيه عن الأسماء المفردة حيث تناولناها من جوانب أربعة: منها الجمود و الاشتقاق، وقلنا بأن الجامد منه ما يدل على الذات ،أوعلى المعنى، إلا أن الشاعر –في مدوّنته – قد أراد بالذات الدلالة على غير ما وضعت له في القاموس القرآني (أي: على ذات أخرى، أو على معنى ، أو على مشتق) كما أراد بالمعنى الدلالة على معنى آخر أو على الذات أو على المشتق، بل وأراد به كذلك الدلالة على مشتق آخر أو على معنى أو على غيرهما .

كما تناولنا الأسماء- أيضا – من جانب التعريف والتنكير و دلالاتهما ، كالدلالة بالألف واللام على الجنس الشامل أو على الحقيقة والماهية، أو على العهد، أو على القصر، أو على الاختصاص، والدلالة بالإضافة على التخصيص، أو على الظرفية الزمانية أو على الظرفية المكانية، أو على الوصف، أو على العهد ، أما التنكير فقد كادت دلالاته تنحصر في التعميم، أو التعظيم، أو التنكير، أو التخصيص، أو الجنس المعمم ،كما قد وردت ألفاظ بصيغة التنكير ولكن للدّلالة على التعريف.

أمّا التذكير والتأنيث فقد استعمل كل منهما للدلالة على الجنسين (في كل استعمال على حدة) وذلك من قبيل التغليب، كما وظف التأنيث – في بعض الشواهد للدلالة على الوحدة.

وأما عن الصيغة العددية – فهي بدورها كما الأفعال في الفصل الأول – منحصرة في (الإفراد والجمع) وأن الشاعر لم يوظف أحدهما للدلالة على الآخر بل لذاته، ولكن اللفتة الدلالية تجلت في استعمال اللفظة الواحدة مفردة في موضع، ومجموعة في غيرها ،أو العكس،

1 - الياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 62.

و بالنسبة للتثنية فلم يرد منها إلا ما دل على شيء لا يكون منه – كلفظ قرآني – إفراد و لا جمع، وهي لفظة (الثقلان) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الفصل الثالث-

المركبات الإسنادية الفعلية

دراسة دلالية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المراد بالمركبات الإسنادية الفعلية " الهيئة التركيبية المبدوءة في الأصل بفعل تام سواء أكان مبنيا للمجهول أم مبنيا للمعلوم، وسواء أكان متعديا أم لازمًا، وهذه الهيئة التركيبية هي

المعروفة بالجملة الفعلية" [1] والجملة ـ في اللّغة- هي مفرد جمعه:جُمَل ومعناه: جماعة الشيء، وهي من الفعل:جَمَلَ الشيءَجَمَعَهُ[2]، واصطلاحا: هي اجتماع كلمات وتأليف بعضها إلى بعض فتحصل الفائدة[3].

"وتعدّ الجملة من الناحية النحوية الوحدة المحورية لبنية النّص"[4] إذن فهي" قطيعة من نّص، توصف من خلال نقطة أو علامة استفهام أو علامة نداء وكتابة بحرف كبير لاحقة بذلك بأنّها وحدة مستقلة نسبيًّا"[5].

والجملة لا تتحقّق للغوالاّ بتوافر عُنْصُرَي الإسناد والفائدة، فقد يتحقق إسناد دون فائدة كما في جملة الشرط أو جملة الجواب أو فعل القسم، كما قد يتحقق في بعضها عنصر الفائدة ولا يتحقق في الظاهر عنصر الإسناد كما في النداء [6].

وإذا كانت الفائدة ممّا لا جدال فيه، فإنّ الإسناديُضا ممّا لا خلاف في أنّ كلّجملة لا تقوم إلاّ عليه، وطرفاه مسند ومسند إليه[7] ، "وهما ممّا لايغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّم منه بدّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه [أي الخبر]، وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك... ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء"[8].

---

[1]- الجملة العربية، محمّد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1428ه/2008م، ط: 04، ص: 44 و45.

[2]- ينظر: لسان العرب، المرجع السابق، ج: 04، مادّة:(جمل)، ص: 447 و 448.

[3]- ينظر:مصطلحات الدّلالة العربية، المرجع السّابق، ص: 113.

[4]- التحليل اللّغوي للنّص، كلاوس برينكر، ترجمة : سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر،1431ه/2010م، ط: 02، ص:40.

[5]- المرجع نفسه، ص: 41.

[6]- ينظر الجملة الاسمية، علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنّشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1428ه/ 2007م، ط:01، ص: 10.

[7]- ينظر الجملة العربية، المرجع نفسه، ص: 33.

[8]- الكتاب: كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1408ه/ 1988م، ط: 03، ج: 01، ص: 23.

وما دمنا سنتحدث – في هذا الفصل- عن الجملة الفعلية فالمسند فيها هو الفعل والمسند إليه هو الفاعل[1].

والتحليل التركيبي لأيةجملة إنّما يختص بنَظم الكلمات داخل [هذه] الجمل من حيث ترتيب الكلمات، مثل التّقديم والتّأخير والذّكر والحذف، والزّيادة، وكذلك المعنى النحوي، والمعنى الوظيفي"[2].

وعلى ضوء هذا فسنتناول الجمل الفعلية القرآنية – في الإلياذة –بالدّراسة والتحليل الدّلالي، لكن، وللتّنبيه، فهناك من المركبات التي ارتأينا الاستغناء عن إدراجها في هذا الفصل، - وحتّى في الذي يليه - لعلّة عدم وجود تغيرات على مستوى البنية التركيبية[3]، أو لكون بعضها يقوُ ظّف لذات الدّلالة القرآنية[4].

كما أنّ من الأمانة الإقرار بإفادتنا - في هذا الفصل وفي الذي يليه – بعض الإفادة من مدرسة النحو التوليدي التحويلي، وهو اتجاه ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين على يد العالم اللغوي الأمريكي " نوعم تشومسكي"[5].

و" التوليدي:هو علمٌ يرى أنّ في وسع أية لغة أن تنتج ذلك العدد اللانهائي من الجمل التي ترد بالفعل في اللغة.[و] التحويلي:هو العلم الذي يدرس العلاقات القائمة بين مختلف عناصر الجملة [حيث] يرى التّحويليون أنّ العمليات التحويلية تتدرج تحت الأنواع الثلاثة الرئيسية: الحذف- الزيادة- إعادة الترتيب- التقديم".[6]

- ولعلّ هذا ما قام به شاعرنا في إلياذته حيث عمد إلى كثير من الآيات القرآنية(الجمل الفعلية وحتّى الاسمية) ثم راح يقدم بعض ألفاظها ويؤخر أخرى، ويحذف بعضها ويضيف غيرها، بل

---

[1]- ينظر: الجملة العربية، المرجع السابق، ص: 33.

[2]- في اللسانيات العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص: 66.

[3]- كنحو قوله: وأخرجت الأرض أثقالها/ إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 36، وقوله:وجاسوا خلال الدّيار، المرجع نفسه، ص: 80.

[4]- كنحو قوله: سبّح لله ما في السماوات و الأرض /المرجع نفسه، ص: 34.

[5]- ينظر: في اللسانيات العربية المعاصرة، المرجع نفسه، ص: 69.

[6]- في اللسانيات العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص :69.

الأكثر من ذلك أنّه راح يغير حتى في الحالات الإعرابية لبعض الوحدات اللغوية ضمن تراكيبها.

ممّا أوجب علينا –بدءًا – الإشارة إلى النص الأصلي (أو المرجعي) ودلالته كما هو (والمراد الآية القرآنية الكريمة، وليس المرجع اللغوي)، لاعتبار أن منطلق الدّراسة من الدلالات القرآنية لا اللغوية إلا ما اتُّفِقَ ، ثم بعد ذلك النظر إلى الإنجاز الشعري، والمراد: الشاهد الذي أجرى عليه الشاعر بعض التغييرات، وهذا الذي تقوم عليه نظرية تشومسكي، أو ما يسمى بالعلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية[1]. لاعتبار أنّ البنية العميقة تمثل الأصل اللغوي[2]الأوّل والمرجع الذي يُنطلق منه في تقويم الكلام، أمّا السطحية فهي الصورة النهائية التي يكون عليها الكلام [3] ،ومرادنابذلك هو الجديد الدّلالي، وليس الاكتفاء بمجرد التوليد اللفظي.

أمّا عن سبب بدئنا بالمركبات الإسنادية الفعلية قبل الاسمية فمردّه إلى جملة من الأسباب قد سبق الحديث عنها في المدخل.

هذا، وإنّ الملاحظ على هذه الثوابت الفعلية المركبة أنّ الشاعر يعمد أحيانا إلى الشاهد فيحذف أشياء أو يزيد أخرى، وأحيانا يقدّم فيه ألفاظا و يؤخر أخرى، وأحيانا يغيّر في إعراب بعض الكلمات، ممّا دفع بنا إلى تقسيم هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

-أولا-

بين الحذف والزيادة

الحذف لغة: قطع شيء من طرفه[4].

والذي نريده باللفظة - هنا- هو ترك الذكر و إسقاط الكلمة من الكلام أي: من الجملة الأصلية[5] في الجملة الفرعية.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 70.

[2]- إلا أنّنا – في هذا البحث- لا نعتمد الأصل اللغوي بنية عميقة، وإنّما الذي نعتمده كذلك هو المعجم القرآني، وقد ذكرنا هذا.

[3]- ينظر : اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، رابح بوحوش، دار العلوم، عنابة، الجزائر، ص: 260.

[4]- ينظر: لسان العرب، المرجع السابق، المجلد الثالث، مادة:(حذف)، ص: 936.

[5]- ينظرأسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، دار ابن الجَوْزي، القاهرة، مصر 1431ه/ 2010م، ط:01، ص :221.

والزيادة لغة:هي النّموّ وخلافها النّقصان [1] والمراد - في دراستنا- زيادة كلمة أو أكثر في الجملة الفرعية (البنية السطحية).

- وقد تحدّث الجرجاني عن أهمية الحذف فذكربأنه " باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"[2]

كما قد ورد في بعض المؤلفات حديث عن الحذف وشروطه وضوابطه وأقسامه، ولكن معظمه كان منصبّاً أكثر على الجانب البلاغي كما الذي أشار إليه ابن قيم الجوزية، وهو يتحدث عن الإيجاز[3]، وكذلك الجرجاني[4]. أوعلى الجانب النّحوي وأحكامه وأنواع المحذوف كما الذي أشار إليه ابن هشام[5].ولذلك فقلّما وجدنا من يتحدث عن الحذف من جوانبه الدّلالية مخصَّصا له فصلا فصلا يجمع ما يمكن جمعه من الحديث عن الأغراض والمعاني والدّلالات التي تفيدُها هذه الظاهرة،إلاّ ما جاء في ثنايا الكلام عند بعض المفسّرين ،أو في بعض كتب البلاغة وكتب النّحو، كنحو ما ذكر من أنّ حذف مفعول التّقديم في قوله تعالى﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُقَدِّمُوا بيْنَ يَدَيِ الله وَ رَسُولِهِ، وَ اتَّقُوا الله إنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[6]هو للاقتصار أو للاختصار[7]، ومعناه أن هناك وجهين:

---

[1]- ينظر: لسان العرب، المرجع نفسه، المجلد الثاني، مادة:(زيد)، ص: 149.

[2]- دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص: 149.

[3]- ينظر:الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، من ص:71إلى ص: 81.

[4]- وقد أشرنا إلى كلامه في هذا(من دلائل الإعجاز)، ينظر كذلك: أسرار البلاغة، المرجع نفسه، ص: 221.

[5]- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام م: سنة761ه، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السّيّد، دار السّلام: القاهرة، مصر، 1424ه/200م، ط:01، المجلد: 02، من ص:781 إلى ص: 815.

[6]- سورة الحجرات، الآية: 01.

[7]- ينظر:الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمّد بن إبراهيم، ط: 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414ه/ 1994، المجلد: 06، ص: 168.

أ- " أحدهما: ترك مفعوله برأسه كما في قوله تعالى﴿يُحيِي وَ يُمِيتُ﴾[1] وقول القائل فلان يعطي ويمنع ولا يريد بهما إعطاء شيء معين ولا منع شيء معين، وإنّما يريد بهما أنّ له منعًا وإعطاءً، كذلك ها هنا، كأنّه تعالى يقول لا ينبغي منكم تقديم أصلاً [2].

ويؤكد ابن القيم هذا المعنى حينما يذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[3]: مبينا أن المراد هو: هل يستوي ذو العلم ومن لا علم له، ففي مثل هذا لا ينبغي تعدية تعدية الفعل ،وإلاّ تخصّص بما يُعدّى إليه فينقص الغرض[4].

ب- ثانيهما أن يُقدر المحذوف بـ: مالا يصلح من القول أو الفعل وغيرهما[5]، أو التعميم الشامل " "ليذهب ذهن السّامع إلى كلّ ما يمكن تقديمه من قول أو فعل، كما إذا عُرِضت مسألة في مجلسه صلى الله عليه وسلم لا يسبقونه بالجواب، وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل، وإذا ذهبوا معه إلى مكان لا يمشون أمامه ونحو ذلك"[6].

هذا، وللزيادة أيضا دلالات مختلفة باختلاف السياق الذي يرد فيه اللفظ المزيد، كتخصيص مرحلة الشباب بالذكر - مثلا- في نحو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النّبي صلّى الله عليه و سلّم قال: لا يزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتّى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وما عمل فيم عَلِمَ، رواه الترمذي و البيهقي"[7] في إشارة إلى أهمية هذه المرحلة التي هي قوة بين ضعفين، وعليه فالمحاسبة تكون أشد منها في غيرها.

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: 156.

[2]-التفسير الكبير محمد الرازي فخر الدّين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1405ه/ 1985م، ط: 03، ج: 26، ص: 110.

[3]- سورة الزمر، الآية: 09.

[4]- ينظر:الفوائد المشوّق، المرجع السابق، ص: 74، وكذلك: دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص: 155.

[5]- ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1407ه/ 1987م، ط: 02، المجلد: 02، ص: 1170.

[6]- صفوة التفاسير، المرجع السابق، المجلّد: 03، ص: 232.

1-الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الحافظ زكي الدّين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري،(متوفى 656ه)، ضبط وتعليق: مصطفى محمد عمارة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1373ه/ 1954، ط: 02، ج: 1، ص: 125.

كما أنّ في ذكر (أكثرهم) بين اسم إنّ وخبرها في قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ من وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[1] إشارة إلى احتمال " أن يكون فيهم من قُصد استثناؤه..."[2]، و غير ذلك من الأسرار التي لا يمكن تحديدها لاختلاف المقامات والأحوال، مقامات الكلام متفاوتة تفاوتا يفوق الحصر، والأغراض تتعدّدُ بتعدُّدِ ما يَعْتَورُ النّفس من أفكار وأحوال"[3]. وعليه فسيكون منهجنا - هنا- هو أن نأتي بالشاهد (البيت الشعري)، ثم الإشارة إلى موضوع التّناص وتحديد الموضع الذي حدثت فيه الظاهرة (الحذف أو الزيادة)مَعَ الإشارة إلى النّص الأصلي (الآية القرآنية الكريمة ودلالتها) للوصول إلى الدّلالة التي يريدها الشّاعر من خلال حذفه لكلمات أو زيادته لأخرى. و في هذا مخالفة لما قمنا به في الفصلين السابقين ، حيث لمّا تناولنا الألفاظ المفردة قمنا بتصنيفها حسب الدّلالة.

وبعد مراجعة للشواهد التي استعملها الشاعر تبيّن بأنه قد عمد إلى بعضها فحذف منها أشياء، وعمد إلى غيرها فزاد فيها أخرى، كما عَمَد إلى غيرهما فحذف منها أشياء وزاد أشياء في آن واحد، وهي مبينة من خلال هذا التقسيم:

أ-مواضع الحذف المجرّد: ولنا في ذلك هذان الشّاهدان:

تلقّف رايتك ابن الجزائر وعند ابن زيّان تُبلى السرائر[4].

وزلزلت الأرض زلزالها وضجّ لغاصبك النّيـــــران[5]

- فأما الأول: فهو من قول الله تعالى﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[6] ومعناه أنه في يوم القيامة تكشف مكنونات القلب[1]، والكشف- هنا- متعلق بظرف معين، وهو يوم القيامة، وعليه فالمركب الفعلي

---

[1]- سورة الحجرات، الآية: 04.

[2]- تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النّسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1402ه/ 1982م، ج: 03، ص: 167.

[3]- خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني- ، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، القاهرة، مصر، ط: 03، ص: 213.

[4]-إلياذة الجزائر، المرجع السّابق، ص: 56.

[5] المرجع نفسه، ص: 118.

[6]- سورة الطارق، الآية: 09

- هنا- قد وقع مضافا إليه، بخلاف ما يريده الشاعر في شاهده حينما حذف المضاف (يوم) ليجعل من هذا المركب الفعلي مستقلا بذاته ابتداء وانتهاءً للدّلالة على إثبات الشمول والاستمرارية من غير تقيد بالزّمن للإشارة إلى ما تميز به عبد الرحمن بن زيان من ذكاء وحدّة بصيرة جعلاه يعقد المعاهدات مع قيادة الجيش الفرنسي على ألاّ يكون هناك هجوم على الزعاطشة (قرب بسكرة) احتيالا منه لربح الوقت و الاستعداد للهجوم[2].

- وأمّا الثاني: فهو من قوله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [3] ومعناه أنّه في يوم القيامة وعند النفخة الأولى تُحرّك الأرض تحريكا عنيفا ومتكرّرًا[4].

وعليه، فالمركب الفعلي هو –أيضا- متعلق بظرف زمني معين، هو يوم القيامة، حيث وقع مضافا إليه[5]، إلا أن الشاعر – في البيت- قد حذف المضاف (إذا) والذي يتضمن بدوره معنى الشرط لتجريد المعنى الذي يريده من الأمرين معا (الظرف والشرط) فيجعل من بنيته السطحية هذه فكرة مستقلة قائمة أساسا على إثبات أمر مجرد من كلّ السوابق أو اللواحق التي تسهم في الإنقاص من الغرض، وهو التعبير " عن نقمة تتفجر ضد الاستعمار، وزلزال تقوم به الأرض احتجاجا على طغيان المستعمر فوقها، وفي الأخير هو غضب الجزائر وانتفاضة أحرارها الذين آلوا على أنفسهم أن يثأروا للجراح"[6].

ب- مواضع الزيادة المجردة: ولنا في ذلك هذان الشاهدان:

وجاءت فرنسا فكنا كراما وكنا الألى يطعمون الطّعاما؟[7].

وألقيت في السّاحرين عصا ي، تلقّف ما يافكون بسحري[8].

---

[1]- ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السّابق، ص: 582.

[2]- ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 56 (تعليق مولود قاسم).

[3]- سورة الزلزلة، الآية : 01.

[4]- ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص: 597.

[5]- لأن (إذا) هنا من الظروف الملازمة الإضافة للجملة الفعلية/ ينظر: المستقصى في معاني الأدوات النحوية، المرجع السابق، ص: 34.

[6]- شعر الثورة عند مفدي زكريا... المرجع السابق، ص: 107.

[7]- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 53.

[8]- المرجع نفسه، ص: 115.

- فأما الأول: فهو من قول الله تعالى: ﴿يُطْعِمُونَ الطَّعامَ على حُبِه مِسكينا ويتيما وأسيرا﴾[1]، هكذا من غير أية قرينة تخرج المضارع عن دلالته الأصلية إلى الماضي أو غيره وإنّما للدّلالة على وجوب العمل بالإطعام في كل زمن والاستمرارية فيه والإكثار منه، ومن غير أي مقابل.

أما في قول الشاعر: وكنّا الألى يطعمون الطعام ففيه أمران أساسيان:

- زيادة عبارة (كنّا الألى) قد أعطى معنى جديدا، وهو أن فعل الإطعام هذا قد أخذ شكلا مستمرا ولكن فيما مضى من الزمن، وذلك ما أفادته صيغة (كان + المضارع)، وقد تحدثنا عن مثل هذا سابقا. وفي ذلك إشارة إلى ما كانت تقدّمه دولة الجزائر لفرنسا من معروف سرعان ما قوبل بالنّكران فقال فيه مفدي:

وكيف يطيب الأكل من كفّ جائع يقابل معروف (القموح) بالنّكران؟[2]. - إن هذا الإطعام إنما كان دينا من الديون المترتبة على فرنسا من أجل تسديد ثمن القمح[3]، ولكن، لا هي سدّدت ديونها، ولا هي كفّت عن إيذاء المحسنين إليها؟

- وأما الثاني فهو من قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[4] والتلقف هو الابتلاع[5]، والمراد: تبتلع بسرعة هذا الذي يقلبونه عن وجهه بالتمويه[6] إلا أن الشاعر عمد إلى إلى هذا النص، أو بالأحرى إلى المرّكب الفعلي تحديدا فنقله كما هو- طبعا لغير دلالته المذكورة- ثم زاد فيه لفظة (سحري) لتكتمل الصورةالجديدة والتي تدل على مَدَى اعتزاز

[1]- سورة الإنسان، الآية : 08.

[2]- اللهب المقدس، المرجع السابق، ص : 326.

[3]- ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 53 (تعليق مولود قاسم).

[4]- سورة الشعراء، الآية: 45.

[5]- ينظر: معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، المرجع السابق، ص: 73.

[6]- ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 215.

الشاعر بشعره الذي كان له كبير الدّور في خدمة الجزائر وتخليد ثورتها فهو شعر يفنّد أشعار هؤلاء الجاحدين له، ولشعره بل ويفنّدهم به وبسحره[1].

ت- مواضع الجمع بين الحذف والزيادة: ولنا في ذلك هذان الشاهدان:

أتى أمرنا صارخا فانطلقنــا ولذنا بوحدتنا فانعتقنا[2]

وتمّت بها كلمات الإله، الّتي وقعت باسمها الواقعة[3]

- فأما الأول: فهو من قول الله تعالى﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ... ﴾[4] ومعناه أمر السّاعة عمومًا[5] أو أمر الله بعذاب الكافرين[6] إلاّ أن الشاعر قد حذف المضاف إليه (لفظ الجلالة: الله) وأحل محله نون الجماعة، للإشارة إلى أن الذي أتى إنّما هو أمرنا بالثورة والجهاد ضد العدو حتى الاستقلال، ولعل الشاعر قد استأنس عمدًا بالمعنى المستوحى من الآية الكريمة المشار إليها للدّلالة على قرب حلول العذاب بهؤلاء (الفرنسيين) واقتراب نهايتهم ورحيلهم باستقلال الجزائر، ذلك لأن " ثورة التحرير تحمل في اندلاعها الأهوال الشديدة من المحن والإفناء للمستعمرين، هذه الأهوال التي لا يشبهها إلا أهوال يوم القيامة التي يصورها الشاعر من خلال ما ترسّب في ذاكرته من صور يوم القيامة كما صورها القرآن الكريم مبثوثة هنا وهناك مفصلة حينا موجزة حينا آخر، وهو لكي يوحي بكل ذلك الحشد من الصور اختصر الدلالة في كلمة واحدة تدل عليها (أتى أمرنا) "[7] .

ففي العبارة إيحاء " إلى المتلقي بمجموعة من الصور تتداعى أمامه بقدر ما يستحضر من مشاهد يوم القيامة، كما تؤكد أن القضاء على الظالمين أمر محقق كالتأكد من نهاية العالم وقدوم

---

[1]- ينظر: شعر الثورة عند مفدي زكريا – دراسة فنية...- المرجع السابق، ص: 229/ ينظر كذلك: شعر مفدي زكريا – دراسة وتقويم- المرجع السابق، ص: 328.

[2]- إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 82.

[3]- المرجع نفسه، ص: 83.

[4]- سورة النحل، الآية: 01.

[5]- ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص166

[6]- ينظر: تفسير المراغي، المرجع السابق، ج: 04، ص: 51.

[7]- مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، المرجع السابق، ص: 114.

الساعة، وفي هذا تثبيت للمجاهدين في ميدان النضال، وإلقاء للرعب في قلوب المستعمرين، وهو يدخل في نطاق الحرب النفسية التي يخوضها الشعراء من المستعمرين"[1].

ـ وأما الثاني، فهو من قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾[2] ، و﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾[3] والمراد بالكلمة – في الآية الآية الأولى- هو القرآن الكريم[4]، إذ نزلت ردًا على المشركين الذين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حَكَما يحكم بينه وبينهم من أحبار اليهود والنصارى، ليخبروهم عمّا في كتبهم، من أمر محمد عليه السلام، فجاءت الآيات الكريمة تلقنُه الحجة الدامغة، وتقول له: إن طلبوا منك التحاكم، فقل لهم: أفغير الله أطلب حكما و قاضيا بيني و بينكم؟ أما تكفي شهادة الله عزوجل لي بأني رسوله وقد جئتكم بهذا الكتاب المعجز، بأوضح بيان، وأكبر برهان، يدل على صدقي"[5]

أما في الآية الثانية فالمراد بالكلمة هو وعد الله الصادق[6] لبني إسرائيل "حيث نجّاهم من بطش فرعون، وأنقذهم من طغيان الأقباط...وملكهم دورهم وقصورهم، وجعلهم أعزّة بعد أن كانوا في الذّلّ والهوان"[7].

والظاهر أن الشاعر لم يخرج عن هذين المعنيين مجتمعين في الشاهد المذكور إذ يُرجَح أنه أراد بالكلمات ذات المعنى القرآني المذكور من أنها القرآن الكريم – من جهة- لورود قرينة (الرأي والحجة الدامغة) الواردة في البيت الثاني من المقطوعة ذاتها[8] ، وقد ذكرنا من كلام لصّابوني ما يدل على هذه المعاني، و من جهة أخرى فقد أراد بها معنى صدق الوعد – كما ذكرنا-

[1]- أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص: 256.

[2]- سورة الأنعام، الآية : 115.

[3]- سورة الأعراف، الآية: 137.

[4]- ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 112

[5]- قبس من نور القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، مكتبة رحاب ، الجزائر، 1407ه/ 1987م، ط: 02، ج: 02، ص: 161.

[6]- ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 122.

[7]- قبس من نور القرآن الكريم، المرجع نفسه، 1409هـ/ 1989م، ج: 03، ص: 74.

[8]- وكلها قرائن واردة في أبيات المقطوعة الخامسة والستين، أي: في ص: 83 من الإلياذة.

وذلك لقرينة وقوع الواقعة، والتي يراد بها الحرب الفاصلة، و سنأتي إليها بعد هذا، وكذلك قرائن أخرى كنحو: (لاح الخلاص-دوّى نشيد الجزائر)[1] تدل على ما ذكرنا من معنى تحقّق الوعد بالنّصر.

إلا أنّ في زيادة (بها) و (الإله) بدل (ربك) في البيت الشاهد أسفر عن دلالات فرعية أخرى تجلت في الآتي:

- المراد بكلمات الله هو الجهاد الذي ما تمّ إلا بالبيّان والرّصاص، والرأي القاطع السّديد[2] وكلها وكلها قرائن مذكورة في البيت السّابق في قوله:

وصغنا مصائرنا بالرّصا ص، وبالرّأي، والحجّة القاطعه[3].

وعليه فالضمير في (بها) عائد إلى مذكور معيّن للدلالة على التخصيص، فالكلام إنّما يدور حول فكرة جهاد الشعب الجزائري ضد العدو الفرنسي أولا و أخيرا.

- الإشارة إلى عموم الخطاب بدل تخصيصه، فالذي أمر بالثورة ضد هذا العدو هو (الإله)، بهذا اللفظ الذي يُعد هو الأصل في كلمة (الله) والتي تعدّ بدورها الاسم الجامع لجميع الأسماء والصّفات العُلى[4].

إذن فالكلام فيه تخصيص وتعميم، فأما التخصيص فلأن الحديث عن الثورة الجزائرية لا غير، وأما التعميم فللإشارة إلى أصالة هذه الثورة لأن الذي أمر بها هو الله العظيم ربّ النّاس أجمعين، بل وإله الكون كلّه.

ثانيا

المواقع النّحوية ومعانيها.

النحو لغة هو الطريق، والجهة، وجمعه أنحاء ونُحُوٌ[5] والواقع أن له في اللغة عدّة معانٍ منها:" القصد والجهة: كقولك: (نحوت نحوَ البيت)- والمثل والشبه: كقولك: (زيد نحوُ عمرو)،

---

[1]- وكلها قرائن واردة ــ أيضا ــ في أبيات المقطوعة المذكورة.

[2]- ينظر: شعر الثورة عند مفدي زكريا...، المرجع السابق، ص: 370.

[3]- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص : 83.

[4]- ينظر: أسماء الله الحسنى، ابن القيم، المرجع السابق، ص: 286.

[5]- ينظر: القاموس المحيط، المرجع السابق، مادة: (نحو)، ص: 1590.

أي: مثله والنوع: كقولك: (هذا النبات على خمسة أنحاء)، أي: أنواع، - والبعض كقولك: (أكلت نحو السمكة) أي: بعضها"[1].

واصطلاحا: " هو انتحاء سمت كلام العرب"[2] بمعنى أنه " علم يعرف به أحوال أواخر الكلمات إعرابًا وبناءً"[3]، أما الإعراب " فهو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه"[4] ولأجل هذا فقد عُدَّ (الإعراب) من العلوم التي اختصّ بها العرب[5]، والمراد بالمعاني – التي ذكرنا-هي تلك التي تلحق المُعْرب وهي لا تكون كذلك إلا بعد حصول العلم بحقيقته[6].

إلا أننا لن نتحدث في هذا البحث عن النحو من حيث هذه التعريفات والموضوعات التي يتناولها، ولا من حيث أصوله وأسسه وقضاياه التي فصّل فيها الحديث محمد إبراهيم عبادة في كتابه: النحو العربي[7] ولا حتى عن الإعراب من حيث أحكامه وضوابطهُ، وإنما الذي يعنينا هنا بالدرجة الأولى هو الإشارة إلى الجوانب الدّلالية المُنبثقة عن الاستعمالات النحوية والإعرابية الجديدة ـ في الإلياذة ـ لهذه المركبات الفعلية مقارنة بها في نصّها الأصلي (القرآن الكريم)، فالدلالة إنما تتغير – من بين ما تتغير لأجله- بتغير الحركات في الكلمات، ولذلك اصطُلح عليه إعرابا.[8]

- فكثيرا ما عهدنا الشاعر يعمد – في اقتباساته – إلى لفظة معينة كانت في نصها الأصلي في حالة إعرابية ما فيغيرها ،أو إلى صيغة صرفية للفظة معينة – طبعا في إطار هذا التركيب- فيغيرها إلى صيغة أخرى، بغية الوصول إلى معنى أو دلالة جديدة هي موضوع بحثنا.

---

[1]- شرح الآجرومية، أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي (ابن آجروم) ، دار البصيرة، الإسكندرية ، مصر، ص: 23.

[2]- الخصائص، المرجع السابق، ج:1، ص: 35.

[3]- شرح الآجرومية، المرجع نفسه.

[4]- الخصائص، المرجع نفسه.

[5] - ينظر: جدل اللفظ والمعنى، المرجع السابق، ص: 50.

[6]- ينظر: بدائع الفوائد، المرجع السابق، المجلد الأول، ج: 01، ص: 34.

[7]- النحوالعربي: أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، محمدإبراهيم عبادة، مكتبة الآداب،القاهرة، مصر،1403ه/ 2009م، ط:01 .

[8]- ينظر: مقدمة ابن خلدون، المرجع السابق، ص: 484.

لكن وقبل أن نتناول الشواهد، فإنه ليحسن التنبيه إلى ما يلي:

-إنّ حديثنا عن التغيرات الصرفية للألفاظ في هذا الفصل إنما ندرسه من زاوية التغير الخاص للمعنى (التغير الجزئي) في إطار المعنى العام للتركيب المَعْنيّ، بخلاف ما رأينا في الفصلين الأول والثاني فالمعنى يتغيّركليا.

- إن التغير الصرفي شديد الصلة بتغير المعنى النحوي من خلال الاختلاف في إعراب اللّفظ، ومثال ذلك : إذا كان الفعل مبنيا للمعلوم فهو يطلب فاعلا و إذا كان للمجهول فنائبا عنه، وهكذا.

كذلك إذا كان الفعل ماضيا أو أمرافهو مبني، بخلاف المضارع فهو معرب باستثناء ما هو معروف، وغير ذلك كثير، ولعلّ هذا ما جعل بعضهم يجمع في تعريفه للنحو كذلك بعض القضايا الصّرفية [1]

وبعد قراءة دلالية للمركبات الفعلية (القرآنية) في الإلياذة، وبالنظر إلى التغييرات التي أطرأها الشاعر عليها خلصنا إلى أنها موظّفة لجملة من الدلالات لا تنفك تنضوي – عموما- تحت دلالات على مستوى الصيغة النحوية ،وأخرى على مستوى الصيغة الصرفية.

والمراد مما ذكرنا، أن الشاعر قد عمد إلى صيغ ألفاظ معينة كانت لمعانٍ نحوية معينة (في نصها الأصلي)، فغير في تلك الصيغ للدلالة على معان جديدة انطلاقا من أن اللفظة إنما " تكتسب تحديدا وتبرزُ جزءا من الحياة الاجتماعية والفكرية عندما تحلّ في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية: الفاعلية- المفعولية"[2].

وإليك مجمل الدلالات التي أمكننا استنباطها مصنفة حسب ما ذكرنا من مستويات:

أ-دلالات على مستوى الصّيغة النّحوية: ولنا منها الآتي:

1- من الرفع على الفاعلية إلى الدلالة على المكان (بالجرّ) : ومنه قول الشاعر:

وفار بتنّورها كارنبال فأصبح كاربون حمّامها[3].

وهو من قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءوأَفَارَ نَالتَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾[1].

---

[1]- ينظر: النحو العربي .. ، المرجع السابق، ص: 7و8.

[2]- علم الدلالة العربي ــ النظرية والتطبيق ــ ، المرجع السابق، ص : 21.

[3]- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 73.

ومعناه – في المعجم القرآني- حتى إذا جاء وقت إهلاك قوم نوح بالطوفان، و َ نَبَعَ الماء من وجه الأرض قلنا لنوح احمل معك من كل نوع من الحيوانات زوجين (ذكر وأنثى)[2]

مع ما في الصورة من مجاز لاعتبار أن الأصل في (فار التّنّور): جاش بشدة أي: المكان الذي يخْبَزُ فيه الخبز[3] ما يعني أنه قد ذكر المحل (التّنّور) وأريد الحال (الماء).

إلا أن الشاعر قد غير في الصيغة النحوية لهذا اللفظ الذي هو فاعل إلى صيغة أخرى وحالة إعرابية مختلفة[4] تماما، وهي الجرّ للدلالة على معنى جديد، وهو أن هذا التنور الذي كان فاعلا للفور في الآية القرآنية الكريمة[5] قد انقلب مكانا لحدوث فور قد صار كارنبال فاعلا له[6]، وفي ذلك إشارة صريحة إلى مدى العقاب الذي أنزله الفدائيون بهذا الجلاد، والقصاص الذي شمله مع من شملهم انتقاما للمجازر الوحشية التي كان يقوم بها هو والجلاد انتياري ضد سكان قالمة وضواحيها[7] .

2- من الرفع على الابتداء إلى الرفع على الفاعلية: ومنه قول الشاعر :

فيلقي له السّمع قلبُ شهيد تموج به القيم الصالحات[8] و هو من قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[9] و معناه: لمن كان له عقلٌ أو استمع لهذا القرآن و هو شاهد ليس بغائب[10] أي حاضر الذهن، و عليه فالقلب ـ في الآية الكريمة ـ هو مبتدأ منسوخ بالفعل الناقص، إلا أن الشاعر قد غير حالته هذه ليجعل منه فاعلا لإلقاء

---

[1]- سورة هود، الآية: 40.

[2]- ينظر: تفسيرالمراغي، المرجع السابق، ص: 36

[3]- ينظر : تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 145.

[4]- إن قيل: وما الفرق؟ نقول: المراد بالصيغة – هنا- وظيفة الكلمة في الجملة، و المراد بالحالة : العلامة، فقد تكون الصيغة واحدة (الفاعل مثلا)، ولكن يكون مرفوعا في جملة ومجرورا في غيرها.

[5]- طبعا مع مراعاة المجاز المذكور.

[6]- ما يعني العودة بالتعبير إلى حقيقته دون مجازه.

[7]- ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص:73(تعليق مولود قاسم)

[8] - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 112.

[9] - سورة ق، الآية : 37.

[10] - ينظر:معاني القرآن ، أبو زكرياء يحي بن زياد الفرّاء، تحقيق :عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ج: 03، ص: 80

السمع للأذان الذي يجلجل في المآذن فيؤذي بعض الأقوام، للدلالة على أن هناك قلة من الناس لا نقول فقط بأن الأذان لا يؤذيهم، و إنما هم من الصلاح بحيث تبتهج به نفوسهم فلا يكتفون فقط بإلقاء السمع إليه ،بل قلوبهم هي التي تقوم بإلقاء هذا السمع، و هي صورة تشبيهية مستوحاة من الآية الكريمة التي يقول فيها الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1] فكذلك ها هنا – و لله المثل الأعلى – فإن الذي يسمع هو القلب لا الحاسة المعروفة (السّمع)، وفي كلّ ذلك إشارة صريحة إلى وجود أصناف من الناس قد تطهّر فيهم الضمير لمّا أشربوا من نبع إسلامهم فأفلتوا من قفص الاتّهام[2]،و في كلّ ذلك ردّ على من اتهموا الشاعر بأنه لم يكتب الإلياذة إلا لمدح الحاكمين ولوم الشباب ، وهو في قوله:

وقالوا انحرفت بإليـــاذة تلوم الشباب و مثلك يعلو[3].

3- من الرفع على الإخبار إلى الجر على الإضافة(للتخصيص): و هي في ذات البيت السابق.

فيلقى له السمع قلب شهيد تموج به القيم الصالحات[4]

واللّفظ المعنيّ هنا هو كلمة (شهيد) التي كانت في النص الأصلي (الآية الكريمة) خبرا لمبتدأ في جملة و قعت حالا صاحبه هو ذاته الذي له قلب (عقل) حي، أو هو الملقى للسمع كما ذكرنا .

إلا أن الشاعر قد جعل من هذا اللفظ (شهيد) مضافا إليه منسوبا إليه ذاك القلب (فاعل السمع) للدلالة على أن هذا القلب (الفاعل)ليس هو أي قلب إنما هو قلبٌ (أو عقلٌ) من نوع خاص،[5]حيٌ بالإيمان، حيٌ بالعلم،حيٌ بالمبادئ و الأخلاق الدالة على الصلاح.

4- من البناء على الضم للنداء نصبا على المفعولية إلى الجر بالحرف للتخصيص: و هو في قول الشاعر:

عرجنا ننافح بإينام ضُحًا كأنا اغتصبنا لهامان صرحا[6]

---

[1] - سورة الحج، الآية: 46.

[2] - يقول الشاعر (في الإلياذة، المرجع السابق، ص: 109) : وأفلت من قفص الاتهـــام شباب أصيل وفيّ الذمـــــــام

[3] - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 116.

[4] - المرجع نفسه، ص: 112.

[5] - لأن الإضافة هنا للتخصيص .

[6] - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 26.

و هو من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾[1] وهامان هو وزير فرعون، و معناه: يا هامان ابن لي قصرا أو بناءً عاليا ظاهرا لعلي أبلغ أبواب السماوات و طرقها[2] .

إذن، فقد ورد هذا العَلَمُ منادًى في نصّه الأصلي ليجعل منه الشاعر لفظا مجرورا بالحرف للدلالة على أنّ المراد بهذا الاغتصاب (المجازي) – في البيت – هو ذلك الصرح (الوهمي) الذي بناه هامان لفرعون ،دون احتمال لغيره، و ذلك ما أفادته (اللام)، فهي هنا لهذا المعنى خصّيصا .

وفي كل ذلك إشارة إلى ما تتميّز به " غابة باينام [التي تعد] أجمل مناخ جبلي في صدر عاصمة الجزائر يوحي بالعظمة و الشموخ"[3].

ب ـ دلالات على مستوى الصّيغة الصّرفية: و هي مقسّمة حسب الدّلالات الزّمنية، أو الجنسية، أوالدّلالة بالمصدر دون المشتق،أوالدّلالات العددية.

ـ الدّلالات الزّمنية: و لنا من ذلك ما يلي:

1ـ من الماضي و دلالته إلى المضارع و دلالته : و منه قول الشاعر :

ولا بالمذاهب تشرى ببخس عقيدته كالسوام[4]

و هو من قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ...﴾[5] أي : باعوه (سواء كان البائع إخوة يوسف أو السيارة المذكورة في السورة) ، فالأهم أنه بيع بثمن بخس أي: نقص، أي: ناقص عما يجب فيه الوفاء[6].

أمّا في البيت الشعري فقد نقل الشاعر الفعل (شرى) من الماضي إلى المضارع الدال على المستقبل للدلالة على أن كل محاولات بيع عقيدة هؤلاء الشباب مصيرها الفشل، و في إضمار

---

[1] - سورة غافر، الآية : 36.

[2] - ينظر : تفسير مفردات القرآن الكريم ، المرجع السابق، ص: 357.

[3] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 26 (تعليق مولود قاسم).

[4] - المرجع نفسه، ص: 109.

[5] - سورة يوسف، الآية: 20

[6] - ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر ، بيروت، لبنان ،1405هـ/ 1984 م، ج : 12 ، ص: 170، و ص: 171.

(أن) بعد (الفاء) ما يدل على معنى الاستقبال اعتمادا على ما يفيده هذا الحرف [1]، و منه الدلالة على استمرارية تلك المحاولات ، بلْهَ الحديث عن البناء للمجهول، و ما يحمل من دلالة انصباب الغرض على الشراء و مفعوله أكثر منه على الفاعل أو شيء آخر، مع ما في ذلك من الدلالة على تعدد هؤلاء الغاوين المغوين.

2 ـ من المضارع و دلالته إلى الماضي و دلالته: و لنا في ذلك هذا المثال :

وعرق الأصالة طهّرطبعي و نور الهداية أذهب رجسي[2]

و هو من قول اللهإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا[3]

ومعناه : إنما يريد الله بكل ما ذكرنا من الأوامر و النواهي أن يزيل عنكم كل ذنب أو إثم أو نقص فيطهركم من كل ذنب تطهيرا[4] ، كما يتطهر المسلم من الأقذار أو من الرجس، لأن الأصل في هذه اللفظة هو الشيء القذر[5] ، إذن فقد استعمل فعل إذهاب الرجس هنا في المضارع الدال على الاستقبال لوجود (أن) . إلا أن الشاعر قد استعمله في بيته ماضيا للدلالة على الإثبات و تأكيد وقوع الحدث، وفي ذلك من الفخر مالا يحتاج إلى تبيين، وحسبك أنه لم يكتف بذكر المفعول (الرجس) فحسب، بل أورده مضافا للدلالة على التخصيص، ثم لم يضفه إلى ضمير يدل على الجمع كما في معنى الآية الكريمة (عنكم) فهي بمعنى (رجسكم)، و إنما أضافه خصيصا إلى ياء المتكلم.

ثم إنه إن كان قد تحدث في كامل الملحمة عن الجزائر كلها فقد خصص هذه المقطوعة للحديث عن " ميزاب" مسقط رأسه حيث تحدث " عن نفسه، و عن دماء الأجداد الصارخة في عروقه... و عن الأصالة التي طهرت طبعه، و الهداية التي أذهبت رجسه ... (فصار) يبذل حياته، و يودع أنسه ... (ليحقق) أسمى معاني الجود و الوفاء"[6].

ـ الدّلالات الجنسيّة: و لنا من ذلك ما يلي:

---

[1] - فهو للاستقبال/ ينظر: المستقصى في معاني الأدوات النحوية، المرجع السابق، ص: 64.

[2] - إلياذة الجزائر، المرجع السّابق، ص: 35.

[3] - سورة الأحزاب، الآية : 33.

[4] - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 280.

[5] - ينظر: تفسير المراغي، المرجع السابق، ج : 22 ، ص: 05 .

[6] - شعر الثورة عند مفدي زكريا .. ، المرجع السابق، ص: 245.

1- من التذكير و دلالته إلى التأنيث و دلالته: ومثاله قول الشاعر:

وتختال بين يديه اخضرارا شواهق، تزجي ركاب السحاب[1]

و هو من قول اللّٰه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾[2] ، ومعناه أن الله هو الذي يسوق هذا السّحاب برفق إلى حيث يريد، ثم يضمه إلى بعضه البعض، ثم يجمع بعضه فوق بعض ليخرج من خلاله المطر[3] الذي ينتفع به الناس و أنعامهم.

والظاهر أن الشاعر قد خرج عن هذا المعنى حينما اختار التأنيث في فعل الزجو للدلالة على أن فاعله إنما هو تلك الأشجار الشاهقات التي عجّت بها جبال زكار بين المليانة و البليدة[4]، والتي لرغبة الشاعر في التعبير عن كثرتها أسند إليها هذا الفعل الذي لم يسند - في القرآن - لغير الله ، وعليه ، ففي تأنيث الفعل هنا ما يدل على انبهار الشاعر بجمال الطبيعة (بل بجلالها) أكثر مما ينبغي.

2- من التأنيث و دلالته إلى التذكير و دلالته : ومثاله قول الشاعر:

ويجري رخاء على هدينا يواكب أفضالنا الزاخرة[5]

و هو من الآية الكريمة: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[6] والريح الرخاء هي اللّينة[7]، و معنى الآية: أنّنا " ذللنا لطاعته إجابة لدعوته[8] الريح تجري ليّنة طيّعة له لا تمتنع تمتنع عليه إلى أيّ جهة قصد"[9]

---

[1] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 30.

[2] - سورة النور، الآية: 43.

[3] - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 209.

[4] - ينظر : إلياذة الجزائر، المرجع نفسه ، ص:30 (تعليق مولود قاسم).

[5] - المرجع نفسه، ص: 46.

[6] - سورة ص، الآية: 36.

[7] - ينظر: معجم الألفاظ القرآنية و معانيها ، المرجع السابق، ص: 114.

[8] - الضمير عائد إلى سليمان عليه السلام.

[9] - تفسير المراغي، المرجع السابق، ج: 23، ص: 120.

إذن فلما أسند فعل (الجري) إلى الريح أنّث، لكن الشاعر آثر تذكير الفعل لأنه أسنده إلى غير فاعله الأصلي (في القرآن) فهو – في بيته الشعري – قد جعل من نهر النيل فاعلا للجري، فلذلك ذكّره.

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه : ما الوجه الدلالي المستوحى من نزوع الشاعر إلى هذا النص القرآني (المركب الفعلي) تحديدا، ثم إلى التغيير في بعض أجزائه ؟

نقول: ربما كان ذلك لما في الصورة المستعملة (و هي جريان الريح لينة و حسب الحاجة،على الرغم ممّا هو معروف عن الريح من القوة و الإتيان في الغالب بالوبال و الإهلاك[1] بخلاف الرياح التي غالبا ما تكون للتبشير و الخير و النماء)[2] قلت: ربما كان في هذا هذا الاستعمال ما ذكرنا من المعاني استيحاء من الآية الكريمة، للدّلالة على عظمة هذا النهر (النيل) من جهة، و من جهة أخرى للدّلالة على أنه مهما كان من العظمة بمكان فهو لنا كما الريح الهائلة بالنسبة لسليمان (عليه السلام) ، يقفو خطانا ـ أي:النّيل ـ ، ويسترشد حين الشّدائد بإلهامنا، و المراد طبعا أهله ،وهم المصريون .

وقد يؤكّد هذا قوله (في المقطوعة ذاتها):

وتُفهم رمسيس معنى انعتا ق الشّعوب ، جزائرنا الثّائرة!![3]

وعليه فيمكن القول بأنّ في البيت تشبيها ضمنيا، حيث شبه الشاعر النيل بالريح القوية التي سخرها الله لسليمان (عليه السلام)، و شبّه جماعة المتكلمين بهذا النّبي عليه السلام ، و جعل من هذا التسخير و حسن التسيير وجها للشبه بين الطرفين في إشارة إلى " ألفية القاهرة التي يعود فضلها مباشرة للجزائر"[4] حيث يقول :

هو النّيل، خلّد عشرقرو نو باركنا السّنة العاشرة[5]

وكم شابة النيل نهر دما نا ، تمور به المهج الفائرة؟![1]

---

[1] - ينظر: بدائع الفوائد، المرجع السابق، المجلد الأول، ج :1، ص: 118، و مثاله قول الله تعالىفي"عَادٍ إذْ أرسَلنَا عَليهِمْ الرّيحَ العَقِيمَ "/ الذاريات، الآية: 41.

[2] - و مثاله قوله تعالىفي أرسَلنا الرّياحَ لوَاقِحَ "/ سورة الحجر، الآية: 22.

[3] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 46.

[4] -إلياذة الجزائر، المرجع السابق ، تعليق مولود قاسم.

[5] - المرجع نفسه ، ص:46

و لكن في غير ما استعلاء:

ونكبر مصروأحرارهـا و من آزروا حربنا الظّافره[2]

ـ الدّلالة بالمصدر دون المشتقّ : و لنا من ذلك هذان المثالان:

قراصنة البحر، عاثوا فسـادا فأدّب ليث البحـــار القرود[3]

وجنّت فرنسا لإضراب شعب فعاثت بعرض البلاد فسادا[4]

وكلتا الجملتين تناصّ من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[5] و معناه : لا تتمادوا في الفساد و الإفساد فتكونوا قدوة لغيركم في نشر هذا الفساد[6].

و الواضح أن (مفسدين) في الآية هي حال من (تعثوا) لتوفر شروط الحال، لكونه مشتقا (اسم فاعل) مبينا لهيئة صاحبه بوصفه وقت وقوع الفعل[7] إلاّ أن الشاعر قد عدل عن استعمال المشتق إلى توظيف المصدر نفسه (فسادا) فيخرج عن كونه حالا إلى المفعولية المطلقة بالنيابة، و ذلك للترادف بين (تعثوا) التي هي بمعنى (الإفساد) لأنها من (العثوّ) و هو الفساد[8]،و بين (فسادا)، فقد ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق أشياء منها مرادفه[9]، كما هو الحال هنا .

- أما عن اللفته الدّلالية في إيثار المصدر هنا وهو المفعول المطلق (أو بالأحرى نائبه)، فتكمن في إلحاح الشاعر على فكرة توكيد الفعل[10] توكيدا لا يعتريه الرّيب، فأي فساد أكبر مما فعله قراصنة البحر من مختلف الجنسيات كالإسبان و البرتغاليين الذين " أنشؤوامع غيرهم من

---

[1] - المرجع نفسه .

[2] - المرجع نفسه.

[3] - المرجع نفسه، ص: 52، و المراد بليث البحار (بابا عروج وأخوه خير الدين).

[4] - المرجع نفسه، ص: 77.

[5] - سورة البقرة، الآية:60 . و هي في سور أخرى منها: الأعراف : 74، و هود: 85 .

[6] - ينظر: تفسير المراغي، المرجع السابق، ج: 01، ص: 129.

[7] - ينظر: حاشية الخضري، المرجع السابق، ج : 01، ص: 429 و 430.

[8] - ينظر : معجم الألفاظ القرآنية و معانيها، المرجع السابق، ج : 02، ص: 163.

[9] - ينظر: أوضح المسالك.. ، المرجع السابق، ج: 02، ص: 213.

[10] - ذلك لأن المفعول المطلق إذا كان مصدرا نكرة غير مضاف ولا موصوف، يؤكد عامله سواء أكان هذا العامل (فعل أو غيره) مأخوذا من مادة هذا المصدر أو كان من مادة مرادفة لمادته . /ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،المرجع نفسه، ج: 02 ، ص: 205.

لصوص أوربا سفن القرصنة و انهالوا على مهاجري الأندلس و البلدان الجزائرية المتاخمة للبحر نهبا و سلبا"!؟[1] .

وأي ظلم أبشع من أن يكدّ شعب الجزائر و يتعب و يجوع و يظلم و يعرى و يهلك في سبيل أن ينعم من كدّه الدّخيل؟!و لك أن تتصور موقف هذا الدّخيل وردة فعله حينما يتحدّى الشعب العناد و يقرر إضراب السبع الشّداد حيث " أضربت البلاد الجزائر عن بكرة أبيها سبعة أيام سنة 1957"[2] كما أن " الإضراب عن العمل هذه المدة و في كامل القطر فيه من العنت والإرهاق مالا تطيقه إلا النّفس المؤمنة الصّابرة"[3].

-الدّلالات العددية: و لنا من ذلك ما يلي:

1 ـ من الإفراد و دلالته إلى الجمع و دلالته: و نمثّل له بقول الشاعر :

ولم يبرحوا الأرض لمّا استقلت شعوب، و لم تستكن للهوان[4]

و هو من قوله تعالى: ﴿أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾[5] و معناه:إنّ كبير كبير إخوة يوسف عليه السّلام –لمّا احتُجِزَ أخوهم في دين الملك – أخذ على نفسه موثقا أن لا يفارق الأرض التي هو بها، و هي مصر[6] حتى يأذن له أبوه أو يجعل الله مخرجا، و الملاحظ في فعل (أبرح) في الآية الكريمة ـ أنه بصيغة الإفراد، لكن اللاّفت للانتباه ـ في البيت الشعري ـ أنه بصيغة الجمع، و في ذلك دلالة على كثرة هؤلاء الأعداء و تعدد أجناسهم، فالظاهر أن الشاعرلا يتحدث هنا عن فرنسا فقط، بل يُرجّح أنه يتحدث عن كلّ مستعمر(أوربيا كان أو غير أوربي) دنّست أقدامه بلدا من البلدان العربية الإسلامية كتونس ومصر و ليبيا

[1] - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 52 ، (تعليق مولود قاسم).

[2] - المرجع نفسه، ص: 77.

[3] - أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص: 156 (الهامش) .

[4] -إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 118.

[5] - سورة يوسف، الآية : 80.

[6] ـــــ ينظر: جامع البيان.. ، المرجع السابق، ج: 13، ص:34 و 35.

والمغرب و سوريا و لبنان و العراق و فلسطين و الجزائر بطبيعة الحال[1] ، ومعروف ـ تاريخيا ـ كلّ بلد ومستعمره.

2 ـ من الجمع و دلالته إلى الإفراد و دلالته: و لنا من ذلك ما يلي:

عشقت لأجلك كل جميـــــــل و همت لأجلك، في كـــل وادي[2]

وقالوا : هجرت ربوع البــلاد و همت مع الشعر في كل وادي[3]

وجنت فرنسا لإضراب شعب فعاثت بعرض البـــــلاد فسادا[4]

فأما الأول و الثاني فهما من قول الله تعالى ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226)﴾[5] و معناه أنّ " الشعراء يهيمون في كل واد من أودية القول من مدح و هجو و تشبيب و مجون بحسب الهوى و المنفعة، فأقوالهم لا تترجم عن حقيقة، و ليس بينها و بين الصدق نسب"[6] لأنهم في كل فنّ من الكذب يتكلّمون، وفي وفي كلّ لغو يخوضون يمدحون و يذمّون بالباطل"[7] ثم " إن الشعراء (لا) يتبعهم (إلا) الضالون الحائدون عن السنن القويم المائلون إلى الفساد الذي يجرّ إلى الهلاك"[8].

إذن فقد استعمل الجمع في فعل (يهيمون) للدلالة على الكثرة بدليل الاستثناء في آخر السورة، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[9] و ما الاستثناء إلا ذكر الفرع بعد الأصل ،و المراد بالأصل هنا الأكثرية.

---

[1] - ينظر: إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 118 (تعليق مولود قاسم).

[2] - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 37.

[3] - المرجع نفسه، ص: 117 .

[4] - المرجع نفسه، ص: 77.

[5] - سورة الشعراء، الآيات: 224 و 225 و 226 .

[6] - تفسير المراغي، المرجع السابق، ج: 19 ، ص: 113.

[7] - مجمع البيان في تفسير القرآن،أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دارالمعرفة، بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1986 م، ط: 01 ، ج:07،ص:325.

[8] - تفسير المراغي ، المرجع السابق، ص: 114.

[9] - سورة الشعراء، الآية : 227.

أما في البيتين الشعريين فقد آثر الشاعر صيغة الإفراد للدلالة بالتاء(في الأول)على المتكلم، وبالتاء في الثاني علي المخاطب، وكلاهما يصب في مصب واحد وهو شخص الشاعر للإشارة، بل والتأكيد على أن فاعل هذا الهيام هو نفسه الشاعر، ولكن أي هيام هذا الذي يتحدث عنه؟ فهل يعقل أن يكون هو ذاته المراد في الآية القرآنية الكريمة ؟ بالطبع لا، وإنما الذي يريده هو ذلك التنوّ ع في الموضوعات الشعرية التي يكتب فيها مفدي حيث " قد طرق كل الأبواب، كما هو واضح في البيت "[1] أو في البيتين بل وفي كل أشعاره وحسبك هذه الإلياذة وما تضمنت من تنوع موضوعاتي أشرنا إليه سابقا. وإذا كان جمهور المثقفين في الجزائر قد رموا الشاعر بذلك[2] على أنه لم يكن من الأليق به فعله فقد رد عليهم الشاعر بأنه إنما يفعل ذلك لأجل بلاده، يقول:

ومن هام فيك، أحب الجمال ، و إن لامه الغشم، قال: بلادي[3].

وأمّا الثالث فهو من قوله تعالى:﴿تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4] و قد سبق الحديث عن معناه معناه في المعجم القرآني، إلا أن الجديد ـ هنا ـ أن فعل العثوّ قد ورد في الآية القرآنية الكريمة بصيغة الجمع لأن الخطاب موجه إلى جماعة (إلى بني إسرائيل) في آية البقرة، و(إلى قوم صالح عليه السلام) في آية الأعراف، و (إلى قوم شعيب عليه السلام ـ مدين ـ) في سورة هود، و(إلى أصحاب ليكة) في سورة الشعراء، و (إلى مدين، مرة أخرى) في سورة العنكبوت.

أمّا في البيت الشعري الشاهد فقد أسند الشاعر هذا الفعل إلى المفرد (فرنسا) للتأكيد على أن هذا الذي عثا في أرضنا فسادا، و بدرجة أكبر مما يتصوّ ر العقل هُوَ فرنسا تحديدا لا غيرها، بخلاف ما رأيناه – مثلا – في البيت الذي نسب فيه هذا الفعل إلى واو الجماعة للدلالة التي ذكرناها، وهي الإشارة إلى تعدد جنسيات أولئك القراصنة الذين عاثوا بعرض البحر فسادا. إلا أن محلّ العثوّ هنا هو عرض البلاد (الجزائر)و لعل التاريخ يشهد أنه لم يُسَجّل على احتلال إفساد و ظلم أكبر مما فعلته فرنسا في الجزائر.

---

[1] - شعر مفدي زكريا ــ دراسة وتقويم ــ ، المرجع السابق ، ص : 328.

[2] - ينظر: المرجع نفسه.

[3] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 37.

[4] - سورة البقرة، الآية: 60، وكذلك الأعراف، الآية: 74، وسورة هود ، الآية: 85، وسورة الشعراء، الآية :183، و سورة العنكبوت، الآية: 36.

كما أن في استعمال (فرنسا) هنا لطيفه، و هي أن هذا الإفساد إنما كان بموافقة الدولة الفرنسية نفسها و تزكية كبرائها، بخلاف ما لو قال الشاعر مثلا: (عاث الفرنسيون فسادا) فيحتمل هنا أن يقتصر التّبني لهذا الظلم على المواطنين و الشعب (الفرنسي) فقط، أو على الأقل بدرجة أكبر.

ثالثا

بين التّقديم و التّأخير

التقديم لغة جعل الشيء أسبق من غيره[1]، و ضدّه التأخير[2].

والذي نريده بذلك في هذا البحث هو تقديم بعض عناصر الجملة على بعض، مع محاولة الكشف عن الأسرار الدلالية المنضوية تحت نزوع الشاعر إلى تقديم أو تأخير هذا أو ذاك.

ولأهمية هاته الظاهرة في إثراء الجوانب الدلالية في أي كلام ـ على العموم ـ فإنه ليحسن أن نعرّج على بعض ما ذكرمن كلام حول أهميتها، ذلك لأن لتركيب الجملة في اللغة العربية معنى لا يتجلى إلا بمراعاة ما قدم فيها و ما أخر حتى يتشكل لنا معنى جديد متحصل من هذا النظم[3] .

يقول الجرجاني: " هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، و يُفضي بك إلى لطيفة، و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك أن قُدّم فيه شيء وَ حَوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[4]. إذن فهو فن جميل " يشتمل على كثير من اللطائف و الأسرار في اللغة والقرآن لا يدركها إلا أصحاب البصائر المنيرة و الأذواق السّليمة"[5]. وعليه فلن يرد تقديم أو تأخير في نظم الكلام اعتباطا، و إنما يكون مقصودا لغرض بلاغي يقتضيه، أو شيء من دواعيها[6]. كما " أن ما يدعو بلاغيا إلى تقديم جزء من الكلام هو ذاته ما يدعو بلاغيا إلى تأخير الجزء الآخر"[7]،

---

[1] - ينظر: لسان العرب، المرجع السابق، ج: 05، مادة: (قدم)، ص: 324.

[2] - المرجع نفسه، ج: 02، مادّة :(أخر) ، ص: 393.

[3] - ينظر : جدل اللفظ و المعنى، المرجع السّابق، ص: 52.

[4] - دلائل الإعجاز، المرجع السّابق، ص: 117.

[5] - أسرار التقديم و التأخير في القرآن الكريم، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية بالأزهر، القاهرة، مصر، 1983م، ص: 125.

[6] - ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، 1974 م، ص: 149.

[7] - المرجع نفسه.

وعليه فلعلّ أهمّ ما يدعو إلى تقديم بعض الكلم على بعض في اللسان إنما يكون على " حسب تقدم المعاني في الجنان، و المعاني تتقدم بخمسة أشياء إما بالزمان وإما بالطبع و إما بالرتبة و إما بالسبب و إما بالفصل والكمال ... و ربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفّة و الثقل لا بحسب المعنى كقولهم ربيعة و مضر و كان تقديم مضر أولى من جهة الفضل و لكن آثروا الخفة لأنك لو قدمت مضر في اللفظ كثرت الحركات و توالت فلمّا أخرت وقف عليها بالسكون"[1]،أما الذي يتقدم بالزمان فكنحو عاد و ثمود وكالظلمات و النور، والذي يتقدم بالطبع كنحو مثنى و ثلاث ورباع، والمتقدم بالرتبة كما في قوله تعالى:﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[2] فالمناع من نفسه، والمعتدي على غيره، و النفس قبل الغير، و بالنسب تقديم النساء على البنين في نحو قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾[3] ،والذي يتقدم بالفضل و الشرف في نحو قوله تعالى:﴿وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[4] فقدم الوجوه

، وقد ذكر عبد العزيز عتيق جملة من الدواعي التي توجب التقديم و التأخير في الكلام منها[5]:

1- التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم فيه غرابة، و منه قول أحدهم:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحا و أبو إسحاق و القمر[6]

2- تعجيل المسرة أو المساءة للتّفاؤل أو التطيّر، فمن الأول قولنا: الجائزة الأولى من نصيب فلان، و من الثاني: الخسائر في الجيش كثيرة .

3- الإشارة إلى أهمية المتقدم كونه محط إنكار و تعجب، و منه قوله تعالى:﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي﴾[7]

---

[1] - بدائع الفوائد، المرجع السابق، المجلد الأول، ج: 01 ، ص: 61.

[2] - سورة القلم، الآية: 12.

[3] - سورة آل عمران، الآية: 14.

[4] - سورة المائدة، الآية: 06 /ينظر بدائع الفوائد، المرجع نفسه، ص: 62 و 63.

[5] - في المرجع نفسه، من ص: 149 إلى ص: 165.

[6] - البيت غير منسوب، و هو في ص: 149 من المرجع نفسه.

[7] - سورة مريم، الآية : 46 .

4-النّصّ على عموم السلب أو سلب العلوم، و معنى الأول أن يسبق ما يفيد الشمول أداة من أدوات النفي كنحو: كل قوي لا يهزم، و معنى الثاني أن تسبق أداة النفي ما يفيد العموم، ومنه قول المتنبي:

مَا كُلّ مَا يَتَمنّى المرء يدركه تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفُن[1]

5- تقوية الحكم: و مثاله قولك " هو يعطي الجزيل " لأنك به تحقق و تقوي معنى فعل إعطاء الجزيل، و لولا تقديم (هو) ما كان ليحصل هذا المعنى.

6- التخصيص، و مثاله قوله تعالى﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2] و قوله﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾[3]

"فالغول مقصور على اتصافه بعدم حصوله في خمر الجنة و لكنه يوجد في خمور الدنيا"[4]

7- الدّلالة على القصر، وتكون بتقديم ما من حقه التأخير كنحو قول أحدهم:

إلى الله أشكو أن في النفس حاجة تمر بها الأيام و هي كما هيا[5]

لأن الجار و المجرور هنا حقهما التأخير،والفعل (أشكو)حقه التقديم.

إذن فمن كل ما سبق تبرز أهمية التقديم، و أنه " يقوم بدور مؤثر على معنى الجملة الخاضعة له، إذ يفيد شيئا جديدا لم تكن البنية العميقة تفيده قبل حدوث التقديم، بل صار عدم مراعاة مقتضى التقديم ... يؤدي إلى إنتاج جمل منحرفة"[6].

وبعد قراءة للنماذج الواردة في المركبات الفعلية (المختارة للدراسة) تبين لنا بأن، ما قدّم فيها أوأخّر من مسند أو مسند إليه أو متمّم، أو مكمّم، والمراد بالمكمّم (كل، جل، بعض)[7]، والمراد بالمتمّم المفعولات الأربعة دون (المفعول به طبعا)، وكالحال، والمتعلقات (كالمجرور بالحرف أو بالإضافة)، والتي يرجّح أن تكون المراد ممّا عبّر عنه علي أبو

---

[1] - شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمان البرقوقي، مكتبة نزار مصطفى الباز،المملكة العربية السعودية ، 1422 هـ / 2002 م، ج: 2، ص:1233.

[2] - سورة الفاتحة ، الآية: 05. لكن و للتنبيه فالمراد هنا: تقديم المفعول به (إياك) على الفعل و الفاعل، و ليس المراد عبارة (إياك نعبد) على عبارة (إياك نستعين)، لأن هذا حسب ما يرى عبد العزيز عتيق هو من باب تقديم السبب على المسبب ،لأن العبادة تكون أولا ثم طلب الحاجة فيكون ذلك أسرع لوقوع الإجابة./ ينظر علم المعاني، المرجع السابق، ص: 158.

[3] - سورة الصافات، الآية: 47 .

[4] - علم المعاني ، المرجع نفسه ، ص : 153.

[5] - البيت غير منسوب ،و هو مذكور في المرجع نفسه.

[6] - دروس في التركيب، محمد الشكيري، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1426هـ / 2005 م ، ط: 01، ص: 114.

[7] - ينظر : دروس في التركيب، المرجع نفسه.

المكارم (بالمكمّلات)، ثم بين المراد من ذلك ـ في الهامش- بقوله: "نقصد بالمكملات ... كل الألفاظ أو التراكيب الزائدة عن التركيب الأساسي للجملة العربية.. [و ليس المراد بقولنا] زائدة أنها لا تفيد في داخل المعنى المستفاد من التركيب الأساسي للجملة [بل لها فوائد معنوية] فضلا عن فوائدها اللّفظية الأخرى (و) قد تكون منصوبة أي في حالة نصب، أو في محله، كما قد تكون مجرورة، كالجار و المجرور"[1].

- قلت: وبعد قراءة لنماذج التقديم و التأخير(في الإلياذة) تبين بأنها للآتي:

1-الدّلالة على أهمية المقدم كونه محط إنكار و تعجب: و يمكن التمثيل لذلك بهذين الشاهدين:

عشقت لأجلك كلّ جميـــل وهمتُ لأجلك ، في كـل وادي[2]

وقالو:هجرت ربـوع البلاد وهمتَ مع الشّعر، في كل وادي[3]

و كلاهما من قول الله تعالى:﴿الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ (226)﴾[4] وقد سبق الحديث عن معنى الآية الكريمة، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو ما في البيتين الشعريين من تقديم و تأخير، حيث قد وردت الآية الكريمة بتقديم عبارة (في كل واد)، أما الشاعر فقد أخّرها في شاهديه مقدما عليها لفظة (همت) التي ربما لما أقرّبها في بداية الإلياذة (في المقطوعة التاسعة والعشرين)، أحس ممن حوله ببعض الاستنكار و التعجب في آخر الإلياذة (في المقطوعة التاسعة و التسعين)، فردّ عليهم بأنه إنمّا يقول ذلك عن صدق لأن حب بلاده قد ألهب فؤاده، فصار يرى في كيانها ذاته بكل اعتزاز و كل اعتداد، و أنه إنما يقول هذه الأشعار الكثيرة والمتنوعة لغاية أسمى هي تخليد أمجاد بلاده ،وأنه على هذا العهد مقيم رغم البعد الذي استنكره عليه بعض العباد الذين تقصر دون خطاه خطاهم [5] فيعجزون عن إدراك حقيقة يؤكدها الشاعر، و يُقر بها كل ذي عقل راجح.

---

[1] - الجملة الفعلية ، مؤسسة المختار، القاهرة ، مصر، 1428 هـ / 2007 م ، ط: 01 ، ص: 37.

[2] - إلياذة الجزائر، المرجع السّابق ، ص: 37.

[3] - المرجع نفسه، ص: 117.

[4] - سورة الشعراء، الآيات: 224 و 225 و 226.

[5] - و للأمانة العلمية ، فكل هذه التعبيرات هي في الأصل للشاعر مأخوذة من المقطوعات الأخيرة في الإلياذة.

أجل ... قد بعدت لأزداد قربا[1]

ولو لا التنقل يذكي شعوري و يُرهف حسّي، و يبلو رشادي[2]

لغاض معيني وأجبل فكري و عشت بليدا كبعض العبـــاد[3]

2- الدلالة على أهمية المقدم كونه ذا أولوية منهجية:

ولنا من ذلك هذا الشاهد:

وديري الذي كنت أتلو به صلاتي مع اللّيل –سرّا وجهـــرا[4]

وهو من قولهﷺ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[5] و معناه " لا تجهر بقراءتك تلك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، و لا تُخافت بها عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتّى يأخذوه عنك بل ابتغ طريقا بين الجهر و المخافتة"[6].

إذن فقد ذكر النهي عن الجهر بالقراءة قبل النهي عن المخافتة، لأن اجتناب ما يسبب السب للقرآن الكريم أولى، من قبيل أنّ درء المفاسد شرط أساسي عند القيام باجتلاب المصالح 4، فكان في هذا الترتيب ملاءمة و تناسب مع المعنى المراد .

أمّا في البيت (الشاهد) فقد قدم الشاعر اللفظ دون المعنى، بمعنى أنه لم يغير في المعنى الذي في الآية الكريمة، بل زاده توكيدا، و ذلك لأنه إن كان في الآية القرآنية الكريمة ـ بهذا الترتيب ـ نهي عن الجهر بالقراءة، ثم نهي عن المخافتة، فهذا يعني أنه يوجد في ذات النص أمر بالمخافتة ثم أمر بالجهر، و هذا ـ بالتحديد – ما أراد الشاعر التعبير عنه بقوله: (سرا و جهرا).

إذن ففي البيت الشعري أيضا التزام بمنهج الدرء للمفاسد قبل جلب المصالح ، وربما كان الشاعر يرمي ـ من وراء ذلك – إلى تشبيه العدو الفرنسي بمشركي قريش، و تشبيه أصدقائه

---

[1] - إلياذة الجزائر ، المرجع نفسه، ص :117.

[2] - المرجع نفسه.

[3] -إلياذة الجزائر،المرجع السابق، ص: 117.

[4] -المرجع نفسه، ص: 25.

[5] -سورة الإسراء، الآية : 110.

[6] -تفسير المراغي، المرجع السّابق، ج: 15، ص: 109 و 110 / ينظر كذلك: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 178

5 ـــ ينظر: مختصر علم أصول الفقه الإسلامي، محمد محدة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص: 251

من الأدباء و الشعراء [1] الذين يستمعون إلى أدبه و شعره بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا إذا لم يكن قد شبه نفسه بالنبي(عليه الصلاة و السلام)، و ليس ذلك ببعيد عن مفدي فهو القائل في موضع آخر:

تنبأت فيها بإلياذتـــي فآمن بي و بها المتنبـــي[2]

وهو القائل ـ أيضا ـ عن نفسه و عن المجاهدين:

ذكرتنا – في الجزائر بدرا فقمنا نضاهي صحابة بدر[3]

قلت : ربما في ذلك تشبيه، و أن الغرض من ذلك هو الدلالة على أن العمل في السّر – في مثل هذه الفترة الاستعمارية ـ أولى من المجاهرة، و هو المنهج الأقوم الذي يجب اتباعه عند كل عمل ثوري أو سياسي أو نضالي ، بل و في كل أمور الدنيا والدين، و حسبك ما فعَلَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حين بعث في مكة رسولا و نبيا ـ من سرية في الدعوة و لم يبُح بالأمر إلا بعد ثلاث سنوات [4]، بأمر الله عزوجل في قوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[5] .

إذن فممّا سبق يتجلى أن الشاعر ـ في الواقع ـ لم يقدم و لم يؤخر (في المعنى) بل قد اقتصرذلك على جانب اللفظ فقط، و هذا بالنظر إلى الأسلوب الذي وظفه (الإثبات) بخلاف ما في الآية الكريمة (النهي)، فحدث التناسق بين هذا و ذاك من خلال التقديم والتأخير، و قد بينا ذلك ، و نكرّرههنا بأنه إنما فعل ذلك لتوكيد المعنى الذي في النص الأصلي لا غير.

3ـالدّلالة على أهمية المقدم كونه محط اعتزاز لدى الشاعر:

ومثاله قوله:

وعرق الأصالة طهّر طبعي ونورالهداية أذهب رجسي[6]

---

[1] - سبق و ذكرنا أن الشاعر كان يسكن في فيلا كانت منتدى لأصدقائه من الأدباء و الشعراء، و قد أطلقوا عليه (دير زكريا) سنة 1942 م/ينظر: إلياذة الجزائر ، المرجع نفسه، ص: 25 (تعليق مولود قاسم).

[2] - المرجع نفسه، ص: 21.

[3] - المرجع نفسه، ص : 69.

[4] - ينظر: فقه السيرة النبوية، مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان/ دار الفكر، دمشق، سورية 1423 هـ / 2003 م ، ط: 10 ، ص: 110 و 111 .

[5] - سورة الحجر، الآية: 94.

[6] - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 35.

وهو من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] وقد سبق الحديث عنه و عن معناه، إلا أن اللافت ـ و نحن نتحدث عن التقديم و التأخير ـ ، أنه قد تأخّر الحديث في الآية الكريمة عن التطهير، و تقدّم الحديث عن إذهاب الرّجس، و في ذلك دلالة على الانتقال من الحسن إلى الأحسن، فالتخلص من الرجس ليس كافيا لبلوغ درجة التطهر التي تعتبر غاية الغايات.

أما في البيت الشعري ، فقد حدث العكس، حيث قدم الشاعر الحديث عن تطهير الطبع قبل الحديث عن إذهاب الرّجس، لا من قبيل الانتقال من الحسن إلى الأحسن، بل من باب التشوق إلى ذكر الأحسن قبل الحسن بصرف النظر عن الرّتبة الزمنية.

وقد لا يكون الأمر متوقفا عند هذا الحد فحسب ،بل قد يتجاوزه إلى لفتة دلالية أخرى تتجلّى في رغبة الشاعر في التلميح إلى فضل وادي ميزاب في تكوين شخصيته و تهذيب روحه، فهو المراد بقوله : و(عرق الأصالة) والقرائن الدالة على ذلك متناثرة في ثنايا أبيات هذه المقطوعة التي خصّ الحديث فيها عن بلده و مسقط رأسه و التي استهلها بقوله:

تَقَدّس وَ ادِيكَ، مَذْبَعَ عِزّي و مَسْقَط رأسِي، و إلهَامَ حسّي[2]

و عليه فكان في تقديم (التّطهّر) تقديم لذكر المكان الذي حدث فيه ، فهو إذن مقدم لغيره لا لذاته.

4ـ الدلالة على التّخصيص: و لنا من ذلك قول الشاعر:

وصعّرت للجنرالات خدّا فخابت نواياهم الآثمه[3]

و هو من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[4] و معناه "لا تُمِل وجهك من النّاس تكبرا و لا تُعرض عمّن يكلّمك استخفافا به، و هذا معنى قول ابن عباس و أبي عبد الله .يقال أصَابَ البعيرَ صعرٌ أي داء يلوي منه عنقه فكأنّ المعنى لا تُلزم خدّك للصّعر لأنه لا داء للإنسان أدوى من الكبر"[5].

---

[1] - سورة الأحزاب ، الآية : 33.

[2] - إلياذة الجزائر، المرجع نفسه، ص: 35.

[3] - المرجع نفسه، ص: 57.

[4] - سورة لقمان، الآية: 18.

[5] - مجمع البيان في تفسير القرآن ، المرجع السابق، ج : 08 ، ص: 500.

والملاحظ أن المعنيّ بعدم تصعير الخدّ له ـ في الآية الكريمة ـ كل الناس، دلالة على شمول النهي لعامتهم، أما في البيت الشعري، فأول ما يلاحظ هو تخصيص المعنيّ (بالفعل) بالجنرالات ثم تقديم هذا المتعلق على المفعول للدلالة على أهمية هذا المقدم (في السياق)، و تكمن هذه الأهمية في أنّ هذه المرتبة العسكرية هي من الخطورة بمكان، فما يُصَعّر أحد خده لهؤلاء إلا إذا كان لديه من الشجاعة ما لديه، و أما أن يفعل ذلك (امرأة)[1] فقد حُقّ لمثل هذا أن يكون عبرة لمن يعتبر.

وهي لفتة جديرة بالانتباه، و لو أن الشاعر قال – مثلا –و صعّرت خدا للجنرالات لكان من المحتمل أن يكون هناك آخرون قد صعّرت لهم (نسومر) خدّها و هذا أيضا وارد، و لا ضير، إلا أنه بهذا النظم ما كان ليتحقق المعنى الذي ذكرنا، و ما كانت لتحصل دلالة القصر التي يُحتمل أيضا أن تكون هي المرجوة من هذا التقديم لاعتبار تقديم ما من حقه التأخير، و هو الجار و المجرور.

هكذا نأتي إلى ختام الفصل الثالث الذي خصصناه للحديث عن المركبات الفعلية و ما أطرأ عليها الشاعر من تغييرات تمثلت في حذف و زيادة، و تغييرات إعرابية، و أخرى متعلقة بتقديم أشياء و تأخير أخرى.

فأما الحذف و الزيادة فقد أراد بهما جملة من الدلالات منها: الإثبات، و الاستمرارية (لجملة من الوقائع والأحداث)، ومنها: الاعتزاز و الفخر، و منها التي يراد بها تقريب الصور وتجسيد المشاهد للمتلقي و منها التي للتخصيص، و التي للتعميم وغير ذلك.

وأما التغييرات النحوية فقد كادت الدلالات المنبثقة عنها تنحصر في الآتي:

دلالات على مستوى الصّيغة النحوية (كالدلالة بالفاعل على المكان، أو بالمبتدأ على الفاعل، أو بالخبر على الإضافة للتخصيص أو بالمنادى على المجرور للتخصيص). ودلالات على مستوى الصيغة الزمنية (كالدلالة بالماضي على المضارع، و العكس). وأخرى على مستوى الصيغة الجنسية) كالدلالة بالتذكير على التأنيث، و العكس). وأخرى على مستوى الصيغة العددية (كالدلالة بالمفرد على الجمع، و العكس)، و أخرى على مستوى الجمود و الاشتقاق (طبعا من جانب تأثيراتها النحوية).

[1] - و في الصورة إشارة إلى محاولة هؤلاء الأنذال الاعتداء على الحرمات

وأما عن التقديم و التأخير فيمكن تلخيص مجمل الدلالات التي أرادها الشاعر بهما في الآتي:

- الدلالة على أهمية المقدّم لكونه محط إنكار، أو محط اعتزاز أو لكونه ذا أولوية منهجيـــة
- الدلالة على التخصيص .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع-

المركبات الإسنادية الإسمية

دراسة دلالية

المراد بالمركبات (الإسنادية) الاسمية " الهيئة التركيبية في أبسط صورها ممّا يُعرف بالمبتدأ و الخبر أو الجملة الاسمية "[1]،ومثاله قولك: الشمس طالعة، الله موجود، المجدّ فائز، ولهذا المركب جملة من الخصائص أهمها:

ـ المطابقة العددية و النوعية بين المسند و المسند إليه، أي: بين المبتدأ والخبر،إلا في بعض الاستثناءات .

ـ عدم تنكير المبتدأ إلا في حالات استثنائية ، والواقع أنه ليس هذا المقام الأنسب لتفصيل الحديث في كل ذلك .

ـ قد يحذف أحدهما أو كلاهما، و قد يتقدم أحدهما على الآخر إما من باب الوجوب أو من باب الجواز، بالإضافة إلى إمكانية الفصل بينهما بفاصل إما أن يكون مفعولا للخبر أو يكون قسما أو يكون شرطا، أو أيّ شيء آخر.

ـ قد يكون أحدهما مفردا ، كما قد يكون مركّبا اسمياً، أوفعلياً[2].

وقد يتقدم هذه الجملة ـ أي: الجملة الاسمية ـ أفعال كثيرة و مختلفة الدلالة ، فإما أن تدل على الزمن وهي: بات وأصبح وأضحى و ظل وأمسى و صار،أو على النفي وهي: ليس، أو على

1 - الجملة العربية، المرجع السابق، ص : 57.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص:57 و 58.

الملازمة وهي:زال وفتئ وبرح وانفك، أو على التحويل وهي ظنّ و أخواتها[1]، أو على المقاربة كنحو:كاد و كرب وأوشك ، أو على الشروع كنحو:جعل و طفق وأخذ وغيرها ،أو على الرجاء كنحو:عسى و اخلولق[2] .

كما قد يتقدمها بعض الحروف التي تحدث فيها تغييرا في اللّفظ و في المعنى، وهي إنّ وأخواتها[3]، و كذلك (ما) و (لا) و (إن) و (لات)[4] و هي التي بها ـ أي:بهذه الحروف ـ أطلق علي أبو المكارم على هذا النوع من الجمل بالجمل المقيدة ، في حين أطلق على النوع الأول منها بالجمل المطلقة[5] .

وما دامت الجمل لا تتحقق إلا بتوافر عنصري الإسناد و الفائدة ـ كما سبق الذكر ـ ، و مادمنا سنتحدث في هذا الفصل عن الجملة الاسمية، فالمسند فيها هو الخبر و المسند إليه هو المبتدأ[6]، وما دام التحليل التركيبي لأيّة جملة يختصّ ـ كما رأينا في الفصل الثالث ـ بنظم الكلمات داخلها من حيث الذكر و الحذف، و التغييرات الإعرابية، و التقديم و التأخير، و ما ينجم عن كل من تأثيرات علىالمعنى، فعلى هذا الأساس سنتناول الجمل الاسمية بالتحليل الدّلالي مُتَبنّينَ ذات المنهج ، ومتجنبين ما ورد في الإلياذة من مركبات اسمية لم يطلها أي تغيير تركيبي أو معنوي، و نعني بذلك:الجمل الاسمية القرآنية التي اقتبسها الشاعر من غير أيّ تغييرفي اللفظ.

أما التي عَمَدَ إليها بالتغيير في التركيب و في المعنى (بطبيعة الحال) ، والتي هي موضوع دراستنا، والتي ـ على قلّتها ـ يلاحظ ـ أيضا ـ أن مجمل التغييرات التي طالتها كادت تنحصر بدورها في أطر ثلاثة هي: جانب الحذف والزيادة، وجانب المواقع النحوية،وجانب التقديم والتأخير،وهي ذاتها التي من منطلقها قسمنا الفصل الثالث إلى ما قسمنا من مباحث، وكذلك نفعل مع هذا الفصل:

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 64 و 65.

4- ينظر:المرجع نفسه، من ص: 67 إلى ص: 69.

5- ينظر:الجملة الاسمية، المرجع السابق، ص: 133 .

6- ينظر:المرجع نفسه، من ص: 110 إلى ص : 115

[5]ـ ينظر: الجملة الاسمية، المرجع السابق،ص: 22 و75.

[6]ـ ينظر: الجملة العربية، المرجع السابق،ص: 33.

أولا

بين الحذف و الزّيادة :

سبق و تحدثنا – في الفصل السابق – عن تعريف الحذف و الزيادة، وعن الدواعي التي تدفع إليهما من خلال ما ذكر في بعض المؤلفات ، ككتب التّفسيروكتب البلاغة وكتب النحو.

وعليه فسيكون منهجنا مماثلا لما فعلنا بحيث نأتي إلى البيت الشعري فنشير إلى موضع التناص، ثم تحديد موضع الحذف أو الزيادة ، ثم الكشف عن الدلالة التي يريدها الشاعرمن ذلك.

و من المركبات الاسمية التي أدخل عليها الشاعر تغييرات بالحذف و الزيادة ـ وهي قليلة جدا ـ نختار هذين النموذجين :

ـ و أوقفت ركب الزمان طويـــــلا أسائله: عن ثمود ... و عاد ...

وعن قصّة المجد ... من عهد نوح وهل إرم ... هي ذات العماد[1]

ـ مساجد لله في كل حـــــــــــيّ يُبَلغَ ربّك فيـــــــها قراره[2]

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 37.

2 - المرجع نفسه ، ص: 113.

فأمّا الأول: فهو من قول الله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(7) ﴾[1]

وعاد – هنا – هو اسم بلدة، و بدون تنوين يحتمل أن يراد به اسم أبي إرم مضافا إليهم[2] ، و إرم هو اسم جدهم و به سُمّيت هذه القبيلة، و المراد أنها بلدة كانت ذات شدّة، أو أن أبنتيها كانت رفيعة و محكمة بالعَمَدِ[3].

ومعنى الآية الكريمة أنّ الله قد أرسل إلى هؤلاء القوم من يهديهم الصراط المستقيم و يبشرهم بالجنات إن هم اتبعوا النّبي الذي أرسل إليهم، و ينذرهم بالوبال و الخسران المبين في الدنيا و الآخرة إن هم جحدوا به و بالآيات التي جاءهم بها ،ومبينا لهم ـ في الوقت ذاته ـ أن العذاب إذا نزل بهم فلن ينفعهم شيء من القوة التي عندهم أو الشدّة التي اختصّوا بها، كما لن تجديهم حصونهم ولا أبنيتهم المتينة العالية إذا ما جاء أمر الله .

والظاهر ـ من البيت ـ أن الشاعر قد تصرّف في ألفاظه و تراكيبه تصرفا شبه كلّي، فكاد بذلك أن يخرج النص تماما عن مدلوله المذكور، و ذلك من خلال ما يأتي:

ـ أولا: إن التركيب الاسمي الذي استعمله الشاعر في بيته ما هو إلاجزء من جملة مركبة أخرى هي التي تمثل النَص المرجعي (الآية القرآنية الكريمة)، بحيث قد ورد تركيب (إرم ـ ذات العماد) ـ في الآية الكريمة ـ مجرد تابعين ـ بالبيان و الوصف ـ للفظة (عاد) الواردة في التركيب الفعلي الاستفهامي السابق له، بدليل الفتح في (إرمَ) الدال على الجرّ لعلة المنع من الصرف، و أن عادا (المتبوع) قد ورد مجرورا بالحرف (الباء)، إلا أن الشاعر قد استغنى عن المتبوع، و جعل من التابع و تابعه (إرم ذات العماد) تركيبا اسميا مستقلا بذاته لانصباب الغرض حول هذا دون ذاك، أي: حول إثبات (ذات العماد) لـ (إرم) أو نفيه عنها ،لا كون هذا الأخير تابعا لـ (عاد) أو غير تابع له، بله الحديث عن البيان أو البدلية أو غيرهما.

ـ إذن ففي البيت الشعري حذف للمتبوع لغرض إقامة التابعين مقاما مستقلا في اللفظ لا في المعنى، (و ذلك لأن إرم التي يتحدث عنها الشاعرفي إلياذته هي ذاتها التي يتحدث عنها القرآن

1 - سورة الفجر، الآيتان: 6 و 7 .

2 - ينظر: معاني القرآن للأخفش، تحقيق : عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003 م، ط: 01، ص: 626.

3 - ينظر : تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 586.

الكريم)، فالشاعر لا يتحدث عنها كونها عادا أو غيرها، بل الذي يعنيه ـ في هذا السياق ـ هو إثبات (ذات العماد) لها أو لا.

ـ ثانيا: في النص الأصلي إثباتٌ بأنها (ذات العماد) ، أما في البيت الشعري فقد زيد حرف الاستفهام (هل) مع ضمير الفصل (هي) لا لذات الاستفهام كما هو ظاهر (لأنه هنا إنكاري لغرض النّفي)، بل للإيغال في استبعاد أن تكون هذه البلدة جديرة بهذا الوصف[1]، و أن الأحق به إنّما هي الجزائر من غير منازع بدليل التصريح الجريء الذي صرّح به الشاعر على مستوى البيت الشعري المذكور، مع ما في ذلك من مبالغة و خروج عن المنطق الشرعي والمعقول، فَلوْ ينظر إلى هذه الصورة و هذه الجرأة من الزاوية الدينية يؤاخذ عليها الشاعر " لولا ما يُعرف عنه من قوة العاطفة الدينية التي يصدر عنها في جميع أفكاره الشرعية"[2].

إذن ففي حذفه لما حذف و زيادته لما زاد أغراض و دلالات تتمثل أساسا في الإشارة إلى أهمية المذكور (التابع) و استقلاليته عن المتبوع لانصباب الغرض (من الحكم) حوله دون غيره.

و أما الثاني: فهو من قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[3] أي : إنها بنيت لذكر الله[4] فلا تعبدوا فيها غير الله أحدا و لا تشركوا به فيها شيئا"[5] ففيها " يكون التوحيد الخالص، و يتوارى كل ظلّ لكل أحد، و لكل قيمة، و لكل اعتبار.و ينفرد الجوّ و يتمحّض للعبودية الخالصة لله"[6] .

إذن ففي الآية الكريمة دعوة صريحة إلى إخلاص العبادة لله،وعدم الإشراك به أيّ شيء، ولعل هذا ما أفاده عنصر التوكيد في مستهل النص الكريم من جهة، ومن جهة أخرى ما دل عليه تنكير لفظة ـ أحدا ـ للدلالة من معنى التعميم المطلق.

1 - و هو ـ في اصطلاح النحويين ـ (خبر) ، و لذلك اعتبرناها – في البيت الشعري – جملة اسمية.

2 - شعر الثورة عند مفدي زكريا ، المرجع السابق ، ص: 415.

3 - سورة الجن ، الآية : 18.

4 - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 543.

5 - تفسير المراغي، المرجع السابق، ج: 29 ، ص: 102

6 - في ظلال القرآن، سيد قطب ، دار الشروق (بيروت – لبنان)،(القاهرة – مصر)، 1402 هـ/ 1982 م، ط: 10 ، المجلد: 06، ج: 29 ، ص: 3735.

والملاحظ على هذا التركيب أنه جملة اسمية منسوخة بـ (أنّ) للدّلالة على توكيد فكرة إلحاق المساجد و نسبتها ـ و هي معرّفة بـ (ال) ـ لله تعالى فقط، ثم يأتي النهي عن دعوة المخاطبين غيرالله لتأكيد المعنى المتضمّن في السياق.

ـ إذن فالجار و المجرور (لله) متعلقان بخبر محذوف مقدر بـ (مبنية) أو (موضوعة) ،أو هوالخبر بعينه على رأي الكوفيين، و معنى (لله) ـ كما ذكرنا ـ لذكر الله، وإخلاص العبادة له وحده دون سواه.

ـ أما في البيت الشعري، فلم يبق من ذلك التركيب الأصلي إلا لفظتا (مساجد و لله)، و كذا بقية من للمعنى الذي انصبّ غرض الآية الكريمة حوله (وهو إثبات نسبة المساجد لله)، فقد تشكل ـ عندَ الشاعر ـ معنى يكاد يكون مستقلا بذاته لولا فاصل نسبة المساجد لله، و قد أسهم في هذا التشكل عاملان أساسيان:

ـ الأول: و يكمن في حذف (حرف التوكيد ـ أنّ ـ) و (الـ التعريف) للدلالة :

ـ بالأول على الإطلاق، والمراد بالأول: حذف حرف التوكيد، فالتركيب المجرد من هذه الحروف ، أي: من حروف التوكيد و من الأفعال الناقصة هو مطلق[1]، و غيره أي: المتضمّن تلك الحروف و تلك الأفعال هو مقيّد [2].

ـ وبالثاني على التعميم، و المراد بالثاني: حذف ـ ال ـ التعريف.

فإن قيل:ما الفرق بين الجار والمجرور ـ لله ـ في الآية الكريمة ـ من حيث الوظيفة ـ و بينها في البيت الشعري؟

نقول: هي في النص القرآني تدور في محور الإخبار ـ سواء أكانت خبرا أو متعلقا بمحذوفه ـ إذن فهي في سياق الحكم، أما في البيت الشعري فهي في باب الوصف من قبيل التعيين والتخصيص ، و سبب هذا الاختلاف إنما يرجع إلى تعريف المبتدأ ـ المساجد ـ في الآية الكريمة و تنكيره في النص الشعري.

ومعنى كل هذا أن الشاعر إنما أراد بلفظة (مساجد) هكذا من غير توكيد و لا تعريف الدلالة على التعميم المطلق و الكثرة الهائلة، ولكن في إطار التعيين والتخصيص بإضافتها لله. و معناه أنّ المساجد في الجزائر عددها كثير جدا، وأنها إنما بنيت على تقوى من الله ،كما أنها منتشرة في

1 ـ ينظر: الجملة الاسمية، المرجع السابق، ص: 22 و 75.

2 ـ و هو الذي يسمى ـ في التراث النحوي العربي ـ بالجمل المنسوخة / ينظر: المرجع نفسه ، ص: 75.

كامل أرجاء الوطن، وأنّ تواجدها غير مقتصر على منطقة دون أخرى للدلالة على استحكام العنصر الديني في نفوس كلّ الجزائريين، و قد أكّد الشاعر ذلك بقوله : (في كل حيّ)،وما في كل ذلك من دلالة هي في الواقع الكلية الدلالية التي يسير في خطّها الهدف الأسمى من وراء كتابة الشاعر للإلياذة كلها.

ـ الثاني: زيادة عبارة (في كلّ حيّ) التي تعد خبرا أو متعلقا بمحذوفه المقدر بمشتق الكون أو الوجود. وبصرف النظر عن الخلاف في تقدير هذا المحذوف، أو حتى في كون (الجار و المجرور) خبرا أو متعلقين به ، فالأهم هو أن الشاعر قد أضاف ما أضاف من الكلمات للدلالة على تركيب اسمي جديد، مستغنيا عن التركيب الاسمي الأصلي الذي في النص المرجعي للدلالة على كثرة هذه المساجد ـ كما ذكرنا ـ وعلى مكان تواجدها، فهي في كل حيّ وليست في بعض الأحياء ، في إشارة إلى أصالة هذا البلد، فجماله لا يقتصر فقط على تضاريسه الجغرافية أو على جوانبه الطبيعية أو التاريخية أو الجهادية أو على ثرواته الباطنية ، فهو إلى جانب كلّ ذلك و قبله و بعده (بلد الإسلام و أرض الشهداء) .

وعليه ففي العدول عن التركيب الاسمي الأصلي إلى هذا التركيب الاسمي الجديد عدول عن دلالة ما إلى غيرها . فإذا كان التعبير في الآية الكريمة يدل على فكرة إثبات المساجد لله، ففي هذا التركيب (الإلياذي) دلالة على الكثرة و التعميم المطلق، وما ينضوي تحت كل ذلك من أبعاد استراتيجية كانت ولا تزال وستبقى ـ كما ذكرنا ـ هي الغاية المرجوة من كتابة الشاعرلهذه الإلياذة من الأساس.

إذن فما نخلص إليه أنّ هذه الزيادة و ذاك الحذف إنّما كانا لغرض دلالي هادف، هو ما ذكرنا، و لم تكن الأمور أبدا تسير بعفوية ساذجة، أوبأمر من الأمور التي قد تخوّل لبعضهم أن يقول عن الشاعرمفدي زكريا بأنه إنما يكتب الشعرلأجل مجرد الزخرف البياني، أوأنه يهيم مع الشعر في كل وادي.

ثانيا

المواقع النّحوية و معانيها:

سبق و تحدثنا ـ في الفصل السابق ـ عن النّحو و الإعراب من حيث التعريف، و أهميتهما في الإبانة عن المعاني و الدّلالات الحادثة.

وعليه فسنشرع مباشرة في الحديث عن الجوانب الدلالية المنبثقة عن الاستعمالات النحوية والإعرابية الجديدة على مستوى المركبات الاسمية في المدوّنة مع الإشارة ـ بالطبع ـ إلى النص المرجعي، والتركيز على الجديد الدّلالي عند الشاعر.

لكن اللاّ فت للانتباه ونحن نتأمل جملة من الشواهد الاسمية التي أجرى فيها الشاعر بعض التغييرات النحوية أنه لم يعمد إلى تركيب من هذه المركبات بالتغيير في بعض جوانبه النحوية إلا و ضمّنه تغييرا آخر سواء كان على مستوى الحذف و الزيادة، أو على مستوى التقديم و التأخير.

و اعتمادا عليه، فقد ارتأينا تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين الآتيين:

1ـ **دلالات على مستوى الإعراب، و الحذف و الزيادة:** و لنا من ذلك هذان المثالان:

ـ وما كان عيسى ظلوما جهــولا وكان محمّد، يرعى النّصارى[1]

ـ وكم صدق الوعد لو كان يجدي رعاعا، قلوبهم كالحجـــــارة[1]

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 80.

فأما الأول: فهو من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[2]، و معنى عرضنا هنا: نظرنا إلى استعدادهن ، والمراد بالأمانة :التكاليف الدّينية، وأبَينَ ، أي :لم تكنّ مستعدات لذلك، وكثرة الظلم -هنا- للدلالة على قوة الغضب، والجهول، كثير الجهل بعواقب الأمور، والمراد:عموم الإنسان[3] ، وقد يكون المراد به آدم عليه السلام حيث تحمّلها بثوابها أو بعقابها بعد أن امتنعت السماوات والأرض والجبال عن حملها للخوف من عواقب ذلك . ولكنّ هذا الرّجل(عليه السلام) قد تحملها فكان ظلوما بأكله من الشجرة، وجهولا بعاقبة هذا الفعل[4].

إذن فقد اقتبس الشاعر هنا عبارة (كان ظلوما جهولا) دون المعنى الذي وضعت له في نصّها الأصلي، حيث قد ألبسها معنى جديدا ومختلفا تماما عن معناها الأصلي، ويتجلّى هذا الاختلاف وذاك التجديد في المستويين الآتيين:

أ- مستوى الإعراب : حيث كان التركيب في نصه الأصلي تركيبا اسميا مسبوقا بـ (إنّ) للدلالة على التوكيد لأن (إنّ) هنا هي حرف مشبه بالفعل، وهي من حروف المعاني وذلك إنّما يخدم أغراضا أسلوبية [5] ، فهي هنا لتوكيد هذه الحقيقة القرآنية الإنسانية على وجه العموم، حقيقة حمل الإنسان لهذه الأمانة ثم عدم الوفاء بها.

إلا أن الشاعر قد أبدل بالناسخ (الحرف) ناسخا (فعلا) "و لاتخفى على القارئ الصّبغة الفعلية التي تصبغ الجملة الاسمية بعد النسخ (بالفعل) ممّا يضاعف حركة الإلياذة، وحيوية تجدّد أحداثها وحياتها الدلالية"[6] ، وقد تحدّثنا عن هذا وعن أهميته ، والتي لأجلها قدّمنا الحديث عن المركّبات الفعلية على الاسمية .

---

1 - المرجع نفسه ، ص: 113.

2 - سورة الأحزاب، الآية: 72.

3 - ينظر: تفسير المراغي ، المرجع السابق ، ج : 22 ، ص : 45 و 46.

4 - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ص : 288.

5 - ينظر:الثابث اللساني ..،المرجع السابق ، ص :75.

6 - الثابت اللساني..، المرجع نفسه، ص : 73.

ومعنى ذلك أنّ بالفعل الذي وظفه الشاعر- وهو: كان الناقصة وإتباعها باسمي الفاعل بالمبالغة - ظلوما و جهولا، والذين هما كالمضارع من حيث المعنى - يكشف مجددا عن البعد الحركيّ التّجددي للإلياذة ، وكذا البعد الاستمراري لها، ولو تعلق ذلك بأحداث كانت فيما مضى من الزمن كنحو ما في الشاهد الذي بين أيدينا، والذي يبيّن فيه الشاعر حقيقة استمرار سيدنا عيسى عليه السلام و ثباته على الحق، وعدم انزياحه إلى جانب الباطل بالظلم و الجهالة مهما كانت الظروف.

فإن ورد علينا بأن هذه الجملة مسبوقة بفعل، إذن فهي جملة فعلية و ليست اسمية؟

نقول :إنما أدرجناها مع الجمل الاسمية مراعاة للأصل ،أي: قبل دخول النّاسخ، ثم إن اسم الفاعل الأصلي أو الذي بالمبالغة كما ذكرنا ،أو حتى الصفات المشبهة مهما كانت دلالتها شبيهة أو قريبة من دلالات الأفعال فهي أسماء، ولن تكون أبدا أفعالا.

و هنا يتجلى وجه براعة الشاعر في اختيار الألفاظ والصيغ و تركيبها، فهو يجمع في التعبير الواحد بين مختلف الدلالات، ولعل خير دليل على ذلك هذا المثال الذي بين أيدينا، والذي استطاع من خلاله أن يمزج بين تركيبين مختلفين أحدهما فعلي و الآخر اسمي،ولدلالات يكمّل بعضها البعض، وهو - في الواقع - ما نلمحه من خلال معظم مقطوعات الإلياذة التي ضمّنها الشاعر شواهد عن المركبات بقسميها.

ب- مستوى الحذف والزّيادة : ويتجلّى في حذف لفظة (الإنسان) من النص الأصلي وإحلال لفظة (عيسى) عليه السلام محلّها ، وكذا في زيادة (ما) قبل الفعل الناقص و التي هي هنا دالة على النفي ، وعليه يكون المعنى المتشكل من هذا التركيب الجديد هو نفي صفتي الظلم والجهل عن سيدنا عيسى عليه السلام – على وجه التحديد – وكأنه استثناء له من الحكم العام الوارد في النّص الأصلي ، كما قد يكون توظيف هذا العلم رمزا يريد به الشاعر كل من كان تابعا لعيسى عليه السلام من المحافظين للإشارة إلى أنّ ما جاء به الإسلام من ثورة على الظلم والجهل قد دعا إليه سيدنا عيسى عليه السلام، و أن الذي بين الإسلام والمسيحية السمحاء ما هو إلا كخيط واهن يوشك بعض الصدّمّ البكم العمي من الفرنسيين المتطرفين أن يقضي على ما تبقّى منه بالاعتداءات غير المبررة، واستباحة كل شيء في سبيل إشباع النهم الذي لاحدود له،و ذلك كالتقتيل والتعذيب والتشريد واتباع سياسة التجويع لإخضاع الشعب لمحاولات المسخ لمقومات الأمة، و الزيغ به عن جادة الصواب.

و أمّا الثاني، فهو من قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[1] ومعنــاه :" صلبت قلوبكم يا معشر اليهود من بعد رؤية المعجــزات الباهرات "[2] ،

والظاهر- حسب السياق - أن الحديث عن معجزة إحياء القتيل الذي أخبر عن قاتله. والظاهر أن العاطف(أو) هنا لا يفيد الاختيار كما في نحو قولك : " هو زيد أو عمرو " إنما هذه (أو) التي في معنى الواو ...فـ (أشدّ) ترفع على خبر المبتدأ " [3]، وعليه فيكون التقدير : هي أشد قسوة[4] من الحجارة،لأن منها ما يشّقّق فيخرج منه الماء، ومنها تخرج الأنهار، ومنها الذي يهبط من خشية الله، وكلّها معان مذكورة في القرآن الكريم .

إلا أن شاعرنا لم يراع - في هذا الاقتباس - إلا الظّاهر المتجلّي في اختزال التركيبين الواردين في الآية [5] ، إلى تركيب واحد لا يبعد في جوهره عن المعنى المتضمن في النص المرجعي ، وهذا التركيب هو اسمي ممثّل في قوله : قلوبهم كالحجارة . فإن كانت لفظة (قلوب) في التركيب الأصلي قد وردت (فاعلا) فهي هنا (مبتدأ)، وإن كان المبتدأ في التركيب الأصلي قد ورد ضميرا فهو هنا (اسم ظاهر) ، وهنا يتجلى موضع التجديد أو البنية الناشئة في الإنجاز الشعري موضوع الدراسة، وما يدل عليه هذا التركيب الجديد من معنى التوكيد بإظهار العنصر الإسنادي الأول في هذا التركيب (المبتدأ- هي -) دون إضماره، لما في ذلك من معنى التوكيد علىفكرة تحجّر قلوب هؤلاء، لانصباب الغرض حول هذه الفكرة أكثر منه حول قسوة القلوب لأنها قد تكون قاسية ولكن لا تصل إلى درجة التحجّر .

وبالمختصر، فالشاعر لكي يعبّر عن هذا الجديد الدلالي، والمتمثل في فكرة إثبات ما ذكرنا وإثبات الثبوت له ، بمعنى الدوام واستمرارية ذاك التحجر، فقد استعان مرة أخرى بالمستويين الآتيين :

ا- مستوى الإعراب ، إذ قد عمد إلى تركيبين أحدهما فعلي والآخر اسمي فجعل منهما – في إنجازه – تركيبا واحدا (هو اسمي - قلوبهم كالحجارة -) .

---

1 - سورة البقرة ، الآية : 74.

2 - تفسيرمفردات القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ص : 18.

3 - معاني القرآن للأخفش ، المرجع السابق ، ص : 239.

4 - ينظر: معاني القرآن للأخفش ،المرجع السابق .

5 - والمراد : التركيب الفعلي (قست قلوبكم) والتركيب الاسمي : (فهي كالحجارة).

ب- مستوى الحذف والزيادة : إذ قد حذف في هذا التركيب الاسمي المسند إليه (الضمير:هي)، وجاء بالذي كان فاعلا في التركيب السابق ، وزاده في هذا التركيب الجديد ليجعل منه المبتدأ (قلوبهم).

2- دلالات على مستوى الإعراب ، والتقديم والتأخير : ولنا من ذلك هذان المثالان :

وأنـت الجنان الذي وعـدوا وإن شغلونـا بطيب المنـى[1]

كـأنّ الإله الجميل تجلّـى فأغرق باينام حسنا وأوحـى[2]

فأما الأول فهو من قول الله تعالى في وصف نعيم يوم القيامة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]

" والجنات: البساتين الملتفة الأشجار التي تجن ما تحتها: أي: تغطيه وتستره، وجريان الأنهار من تحت أشجارها مما يزيد جمالها "[4] .

وقد اقتبس الشاعر بعض ألفاظ هذا النص القرآني الذي يمثل تركيبا فعليا لينشئ منه تركيبا جديدا، جعل فيه المفعول الثاني للوعد خبرا للمبتدأ (أنت) العائد إلى (الجزائر)، وجعل من الفعل الذي انبنى عليه التركيب الفعلي (في النص الأصلي) صلة للموصول الذي يمثل وصفا لهذا الخبر فأحدث – بالضرورة – تغييرا في ترتيب العناصر مما شكل لدينا تركيبا جديدا هو (تركيب اسمي)، و فرق بين التركيب الفعلي (و ما يدل عليه من معنى التجدد و الحركية)، و بين التركيب الاسمي (و ما يدل عليه من معنى الثبوت)، و هنا تكمن اللفتة الدلالية التي من أجلها آثر الشاعر في هذا التركيب (الاسم) بدل (الفعل) للدلالة على إثبات أكمل معاني الجمال و السحر لبلده و ثبوتها، بحيث جعله هو ذاته الجنة الموعودة .

و لعل أهم ما أسهم في توليد هذا المعنى الجديد هو ما يأتي :

- جانب نحوي بموجبه قلب الجملة من تركيبها الفعلي إلى الاسمي.

---

1 - إلياذة الجزائر ، المرجع السابق ، ص : 22.

2 - المرجع نفسه ، ص : 26.

3 - سورة التوبة ، الآية : 72.

4 - تفسير المراغي ، المرجع السابق ، ج : 10 ، ص : 161.

ـ جانب التقديم و التأخير، بحيث قدم لفظ الجنان لأهميته عنده، و لانصباب الغرض حوله، فهو اللفظ المحوري في التركيب كله.

لكن، و للتوضيح فالذي يعنيه الشاعر ـ بالطبع ـ ليس هي الجنة التي وعدها الله عباده الصالحين، و إنما الذي يعنيه بالجنة هو: (الجزائر)، والتي كان الواعد بها هو العدو، ولكن الموعود له فيه احتمالان :

ـ فقد يكون المراد بذلك هم الجزائريون بعد أن يحرز الحلف الأطلسي انتصاره على الألمان، وقصة الثامن ماي عام خمسة وأربعين و تسعمائة و ألف و الذي راح ضحيته ـ من الأبرياء الجزائريين ـ خمسة و أربعون ألف شهيد هي ـ في هذا السياق ـ أسرع ما يقفز إلى ذاكرة كل جزائري فيستذكر بذكراها أحطّ معاني الغدر و الخيانة .

ـ وقديكون المراد هم المستوطنون الذين و عدتهم فرنسا بالإقامة [1] في هذه الأرض بعد احتلالها و تقتيل أبنائها، وذاك هو الأظهر ، وهو ما حققته فرنسا لرعاياها على حساب دماء الشهداء الطاهرة .

و مهما يكن من أمر هذين الاحتمالين، و أيهما أقرب للصواب، فالأهم هو المعنى الذي أراده الشاعر،وهو إثبات ما أثبث للجزائر من وصف ، ثم انحصار هذا الوصف في موصوفه على سبيل القصر لاعتبار التعريف في لفظ الجنان، و قد أسهم في تشكيل هذا المعنى ـ كما ذكرنا ـ اجتماع أمرين: جانب نحوي متمثل في قلب الجملة من فعلية إلى اسمية، و جانب تقديم و تأخيرمتمثل في تقديم الموعود ـ الجنان ـ على الفعل و فاعله.

وأما الثاني فهو من قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾[2]

و معناه : "لمّا ظهر و بان من جلال الله و نوره على جبل الطور شيءٌ يسير، انْدَكّ الجبل و تفتت و تطاير، و سقط موسى (عليه السلام) مغشيا عليه مغمى، من هول ما رأى و شاهد"[3] ففي هذا التركيب (الفعْلي) تحقيق لحدث وقع في غابر الأزما .

1 - و قد جئنا بلفظ (الإقامة) تحديدا استيحاء من معنى الآية القرآنية الكريمة المذكورة حيث تدل لفظة (عدن) على الإقامة والاستقرار/ ينظر: تفسير المراغي ، المرجع السابق،ج: 10، ص :161.

2 - سورة الأعراف، الآية: 143.

3 - قبس من القرآن الكريم، المرجع السابق، ج: 03، ص: 76 و 77.

أما في البيت الشعري فقد انقلب هذا التركيب (الدال على التحقّق لتضمنه ثلاثة أفعال ماضية متعلقا بعضها ببعض من قبيل التظارف: بين تجلى و جعله، والعطف: بين الجملة الأولى و الجملة الثانية)...

قلت: فقد انقلب هذا التركيب إلى آخر مخالف تماما هو تركيب اسمي مستهل بـ (كأنّ) الذي معناه التشبيه فـ "هو مركب من كاف التشبيه و إنّ ، فأصل قولك كأن زيدا الأسد إنّ زيدا كالأسد، فالكاف هنا تشبيه صريح و هي في موضع الخبر تتعلق بمحذوف تقديره:إنّ زيدا كائن كالأسد ثم إنهم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عقدوا عليه الجملة فأزالوا الكاف من وسط الجملة و قدموها إلى أولها لإفراط عنايتهم بالتشبيه فلما أدخلوها على إنّ وجب فتحها لأن المكسورة لا يقع عليها حروف الجر"[1].

وعليه فالظاهر أن الشاعر إنّما أراد بـ (كأنّ)أخْذَ الحيطة والحذر وهو يتحدث عن أمر في منتهى الخطورة في ديننا الإسلامي، ألا وهو (فكرة رؤية وجه الله)، وهو- لمن يعرف أشعار الشاعر- أمر غريب بعض الشيء بحيث قد عوّدنا في الكثير منها على أمور كثيرة مخالفة للمنطق و المعقول، و لكنّه يفاجئنا في نحو هذا الشاهد بمثل هذا الالتزام الذي يحسب له، ولا يُحسب عليه كضرب من ضروب المبالغة المفرطة التي اشتهر بها و التي من أمثلتها على مستوى الإلياذة قوله:

أفي رؤية الله فكرك حائر و تذهل عن وجهه في الجزائر2

و كأنه بهذا يبدي استغرابه ممن ينفي فكرة إمكانية رؤية وجه الله وهو ذاهل عن هذا الوجه وجماله الذي استضاءت بأنواره أرجاء أرض الجزائر.

هذا، وإن في تقديم (الإله) التي تقابل - هنا - لفظة (ربّه) الواردةفي النّصّ الأصلي، ثم وصفه بـ (الجميل)رُبّما إشارة ذكيّة - من الشاعر- إلى وصف (باينام) بالحسن و الجمال أكثر من انصباب الغرض حول وصف (الإله) بذلك، لأن الله أغنى من أن ينتظر الوصف (بهذه الصفة) من أحد من خلْقِهِ بل إنّ حتى باينام هذا ما هو إلا قبس من نور الإله و جماله بل إن الجزائر كلّها، بل إن الكون كله ما هو و ما جماله و جمال الطبيعة فيه إلا فيض من نور الإله الذي أشرقت له السّماوات السبع و الأرض بالضّياء المبين و السناء العميم.

1 - شرح المفصل: يعيش (ابن علي بن يعيش النحوي (م: 643 هـ)، عالم الكتب ، بيروت، لبنان ، ج: 08، ص:81 .

2 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 23 .

كما قد يكون في هذا الذي ذكرنا تبرير يحتمل أن يكون الشاعر- لأجله - قد قدم الفاعل على الفعل فصارت - بطبيعة الحال - جملة اسمية، في إشارة ذكية أخرى إلى أهمية هذا الفاعل المقدّم و أنه ليس أيّ فاعل، و عليه فيكون الشاعر قد مزج مرة أخرى في تركيبه هذا بين دلالتين مختلفتين قد ذكرناهما ،وبطريقته الذكية التي أشرنا إليها.

إذن فيمكن اختصار المعنى الجديد الذي يريده الشاعر في الآتي :

1- محاولة لإثبات تجلّي وجه الإله لهذا الجبل حتى صار بهذا القدر من الجمال، وهو أمر لا يتوانى الشاعر في الإتيان به، أو التعبير عنه على الرغم من غرابته، وذاك الذي أفاده التركيب الاسمي المتضمن معنى التشبيه المؤكد،بل والذي قد صرح بمثله الشاعر في البيت المذكور الذي أثبت فيه إمكانية رؤية وجه الله في ربوع أرض الجزائر .

2- إثبات أن الله تعالى هو مصدر كل جمال و منبع كل ضياء، و هذا الذي أفاده عنصر التقديم في هذا التركيب، أي: تقديم لفظ الجلالة الذي هو - في الواقع - فاعل التجلي ، إذا راعينا في ذلك إعراب المعنى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا

بين التقديم و التأخير

سبق و تحدثنا ـ أيضا ـ عن تعريف كل من التقديم و التأخير في اللغة و في الاصطلاح، و عن الأسباب (الأغراض) التي تدفع إلى تقديم هذا و تأخير ذاك، وعليه و لاجتناب التكرار فسيكون منهجنا أيضا تماما كما فعلنا مع المركبات الفعلية في الفصل السابق.

إلا أن الملاحظ على شواهد التقديم و التأخير في المركبات الاسمية أنها قليلة جدا، و أنها – بالإضافة إلى هذا – لا تخلو من تغييرات أخرى ذات طابع مغاير متعلق إما بحذف شيء أو بزيادة آخر، و لذلك ارتأينا أن نقسم هذا المبحث إلى مطلبين اثنين :خصصنا الأول منهما لما وقع فيه تقديم مع حذف، و الثاني لما وقع فيه تقديم مع زيادة.

1- مواضع التقديم مع الحذف: و هي نادرة ، لذلك ارتأينا أن نخصّص هذا المطلب لشاهد من الإلياذة تجلت فيه هاتان الظاهرتان مجتمعتين و ذلك في قول مفدي:

وفي قدس جنّاتنا النّاضرة وجوه إلى ربّها ناظـــــرة[1]

و هو من قول الله تبارك و تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) ﴾[2] أي : مشرقة بالنعيم[3] ، لأن نضرة الوجوه هي حسنها فهي ناعمة حسنة، أو هي كذلك من السرور و النعيم و الغبطة[4] "بما تجده عند الله يوم القيامة من جزاء ما رأت مثله العين و لا سمعت الأذن

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 46.

2 - سورة القيامة، الآيتان: 22 و 23 .

3 - معاني القرآن للفرآء، المرجع السابق، ص: 212.

4 - ينظر جامع البيان .... ،المرجع السابق، ج: 29، ص: 191.

و لا خطر على قلب أحد من البشر، وأما النّاظرة فاختلف فيه، قيل: هو النظر إلى وجه الخالق، و قيل: هو النظر إلى الخالق، و قيل: هو انتظار الثواب"[1]، أما الأول و الثاني فلاعتبار أن اسم الفاعل هنا من النظر الذي هو الرؤية البصرية ،و أما الثالث فلاعتبارأن اسم الفاعل من النظر الذي هو الانتظار بمعنى انتظار الثواب كما ذكرنا.

و بغض النظر عن هذه الاختلافات فالملاحظ أن في الآية الكريمة تقديما للوجوه (وهي موصوف) على النضرة و النظر معا (و هما صفتان) للتأكيد على أهمية هذا الموصوف المقدم ـ الوجوه ـ و أنها هي – بالدرجة الأولى – موضع هذه النضرة، و صاحبة هذا النظر، وكيف لا، و إن " روح الإنسان لتستمتع أحيانا بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، تراها في الليلة القمراء، أو الليل الساجي أو الفجر الوليد أو الظل المديد. أو البحر العباب، أو الصحراء المنسابة.أو الروض البهيج. أو الطلعة البهية ... إلى آخر مطالع الجمال في هذا الوجود .. فتغمرها النشوة، و تفيض بالسعادة ... فكيف؟ كيف بها وهي تنظر – لا إلى جمال صنع الله – و لكن إلى جمال ذات الله؟

إن الإنسان لينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض، من طلعة بهية، أو زهرة ندية ... فإذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه، فيبدو فيها الوضاءة و النضارة، فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكمال مطلقا من كل ما في الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال؟"[2]

هذا، وإن في تقديم ما قدم كذلك تشويقا إلى المتأخر، فحينما يستمع الواحد منا إلى قوله : (وجوه يومئذ) يزداد تلهفه لاستكمال ما تبقي من النص، فيؤخر ما أخّر لأهميته أيضا ـ والمراد:الوصفان المذكوران ـ والذان لا يقلان عن أهمية موصوفهما فيشد الانتباه إلى سماعهما والإنصات إلى محتواهما وأبعادهما ، لأن الحديث كله منصب حول أهوال يوم القيامة، وانقسام الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السّعير ، وكل ذلك قد دلت عليه اللفظة (يومئذ) في سياق الآية الكريمة .

إلا أن الشاعر قد عمد إلى هذا النص وحذف منه هاته اللفظة والتي بموجب حذفها تأخرت لفظة (وجوه) ليتقدم عليها الوصف بالنضرة عائدا على بساتين (القدس) وحدائقها فيتغير المعنى جذريا ليصير لدينا تركيب اسمي جديد بعيد كل البعد عن المعنى الذي وضع له في الأساس

1- المرجع نفسه، ص: 192.

2 - في ظلال القرآن، المرجع السابق، المجلد: 06، ج: 29، ص: 3770 و 3771.

(المعجم القرآني) ،حيث أفاد تقديم صفة النضرة إلحاقها بغير موصوفها الأصلي، كما أفاد حذف لفظة (يومئذ) الدلالة على إثبات صفة النظر إلى الله لهذه الوجوه ثبوتا لا ندّعي فيه الاستمرارية وذلك لأمرين:

- استعمال اسم الفاعل وما يدل عليه من معنى الآنية، وقد سبق الحديث عن ذلك.
- تقييد الحدث (النظر) بظرف مكاني محدّد (القدس).

إذن وبالمختصر فقد أراد الشاعر بتركيبه الاسمي هذا معنى مختلفا جذريا عن المعنى المعجمي للنص القرآني، وأنه قد أسهم في هذا الإبداع أمران: أحدهما متعلق بتقديم متأخر،أي:تقديم الوصف بالنضرة، وثانيهما متعلق بحذف مذكور،أي:حذف ظرف الزمان .

2- مواضع التقديم مع الزيادة : وهي أيضا نادرة ، فارتأينا أن نخصّص هذا المطلب للشاهد الآتي :

شباب عليه مناط الرّجـا فمنكم ، ومنّي....عليه السّلام[1]

وهو من قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[2]، وكذا من آيات كثيرة جدا،ومعنى السلام في هذه الآية "تحية من الله عليه أوّل ما يرى الدنياوأوّل يوم يرى فيه أمر الآخرة ، وأول يوم يرى فيه الجنة والنار"[3] ، أما السلام عموما فهو الأمان أو التحية أو الصلح[4] أو الاطمئنان[5] .

إلا أن الأولى بالحديث – ونحن نبحث في فوائد التقديم مع الزيادة – أن الشاعر قد قدم المتعلقين (عليه) على المتعلق به (السلام)، بالإضافة إلى زيادة (الـ) في هذه الأخيرة ، كما قدم (منكم ومني) في مستهل هذا التركيب كله ، علما أنها – في التركيب الأصلي – جاءت بعد المبتدأ

1 - إلياذة الجزائر ، المرجع السابق ، ص : 109.

2 - سورة مريم ، الآية : 15 ، وهوأيضا من آيات أخرى كالتي في السورة ذاتها في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: "والسلام عليّ ..." الآية : 33 ، ولكننّا خصصنا الآية الأولى كمنطلق لأن الضمير (المجرور) فيها هو للغائب المفرد كما في البيت الشعري الشاهد .

3 - تفسير المراغي ، المرجع السابق ، ج : 16 ، ص : 39.

4 - ينظر: معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها ، المرجع السابق ، ص : 135.

5 - ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ج: 01 ، ص : 587.

(السلام) وذلك بتقدير (منا)[1] مع ما في التعبير من تغيير لضمير الجمع (نا) إلى ضمير جمع المخاطب (كم) وضمير المتكلم المفرد (ي).

فبالنسبة لتقديم المتعلقين وتأخير المتعلق خروج عن مألوف التراكيب الاسمية الواردة في النص المرجعي (الآية القرآنية) مع كثير من آيات أخريات من نحو قوله تعالى﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[2] ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[3] ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[4] [5] ، لأن في هذا الترتيب تناسبا مع المعنى المراد والدقيق ،ففيه لفتة و هي" أن في الدعاء بالخير قدموا اسم الدعاء المحبوب الذي تشتهيه النفوس و تطلبه و يلذّ للسّمع لفظه فيبدأ السمع بذكر الاسم المحبوب المطلوب ويبدأ القلب بتصوره فيفتح له القلب و السّمع فيبقى السّامع كالمنتظر لمن يحصل هذا و على من يحلّ فيأتي باسمه فيقول عليك أولك فيحصل له من السرور و الفرح ما يبعث على التّحاب و التواد والتراحم الذي هو المقصود بالسلام. و أما في الدعاء عليه[فيقدم المدعو عليه، و في تقديمه] إيذان باختصاصه بذلك الدعاء و أنه عليه وحده كأنه قيل له: هذا عليك و حدك لا يشركك فيه السامعون"[6] و من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾[7] و قوله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾[8] و قوله : ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾[9] و قوله: ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾.[10]

إلا أن هذا لا يعني عدم جواز تقديم المتعلقين على الدعاء إلا في سياق الدعاء بالشر، بل الثابت المعروف أن ردّ السلام إنما يكون بتقديم المتعلقين فنقول: و عليكم السّلام و رحمة الله وبركاته،

1 - ينظر: تفسير مفردات القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ص : 185.

2 - سورة الصافات، الآية : 109.

3 - سورة الصافات، الآية: 79.

4 - سورة الصافات، الآية: 130.

5 - سورة الرعد، الآية: 24، و كذلك سورة الزمر، الآية: 73.

6 - بدائع الفوائد، المرجع السابق، المجلد الأول، ج: 02 ، ص: 174.

7- سورة ص، الآية : 78.

8 - سورة الحجر، الآية: 35.

9 - سورة الفتح ، الآية: 06.

10 - سورة النحل ، الآية: 106

فمن حق المسلّم على المسلم أن يرد عليه سلامه بقوله: عليك السلام، ليعرف أنه قد رد عليه تحيته و ليس أن يبتدأه بسلام جديد[1].

وعلى ضوء هذا، فالسؤال المطروح هنا هو عن الدافع الذي جعل الشاعر يقدم المتعلقين على المتعلق به، فهل كان ذلك من قبيل الضرورة الشعرية ؟ أم أنه من قبيل سلام الموتى الذي تحدث عنه ابن القيم لاعتبار ما فهمه البعض من أن المراد بقوله صلى الله عليه و سلم " لا تقل عليك السّلام فإن عليك السلام تحية الموتى "[2] هو " أن المسلّم على غيره لما كان يتوقع الجواب وأن يقال له :وعليك السلام بدؤوا باسم السّلام على المدعو له توقعا لقوله: و عليك السّلام، وأما الميّت فلما لم يتوقعوا منه ذلك قدموا المدعو له على الدعاء فقالوا :عليك السّلام"[3] مع أن المراد بالحديث هو الإخبار " عن الواقع المعتاد الذي جرى على ألسنة الشعراء و الناس فإنهم كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء كما قال قائلهم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم و رحمته ما شاء أن يترحّما

... و الإخبار عن الواقع لا يدل على جوازه فضلا عن كونه سنة"[4]

والظاهر أن الشاعر قد جمع بين هذا و ذاك، أي: بين الضرورة الشعرية :إذ لا يستقيم الوزن إلا بتقديم (عليه)، و بين ما عبّروا عنه (بسلام الموتى) الذي طبع كثيرا من القصائد الشعرية العربية، و مفدي – كما ذكرنا في المدخل – متأثر بشكل كبير بأشعار القدامى فكان ذلك بالنسبة له أنسب من الناحيتين.

و لكن قد يرد علينا هنا بأن الشاعر إنما يتحدث عن شباب الجزائر الأصيل الذي تفتخر به البلاد و هو ليس في عداد الموتى، إذ به و عليه المعول في قيام دولة الجزائر القوية، إلا إن كان الحديث عن أولئك الذين ذهبوا فداء الجزائر بأرواحهم من الشباب، فهنا فقط يمكن القول بأن الشاعر قد قدم (عليه) للتناسب مع ما ذكرنا من أنه سلام الموتى .

هذا، و من جهة أخرى فقد يكون ابتداء الشاعر بالمتعلقين مرادا به تخليص هذا السّلام لهؤلاء دون غيرهم، و عن زيادة (الألف و اللام) فلإفادة عموم الجنس (جنس السلام) بكل معانيه

1 - ينظر: بدائع الفوائد، المرجع نفسه، ص: 152.

2 - بدائع الفوائد، المرجع السابق ، ص: 172.

3 - المرجع نفسه، ص: 173.

4 - المرجع نفسه، و البيت غير منسوب.

و مستوياته و أشكاله، فهو الأحق بكل ذلك لما اتصف به من صفات يندر أن تجد لها نظيرا، سواء أكان ذلك في ميدان الكفاح المسلح ،أو في ميدان النضال ، أو في مجال العلوم المختلفة، أو في جوانب أخرى كالجانب الديني، والجانب الأخلاقي، والإنساني، والثقافي، وغيرها يقول مفدي :

وأفلت من قفص الاتّهام شباب أصيل، و فيّ الدّمــام
شباب تطهّر فيه الضّمير فأعرض عن شبهات الطّغام
وأشرب من نبع إسلامه و فلسفة الدّين، روح النّظــام[1]

وأما عن زيادة (منكم و مني) ـ في البيت ـ ففيها دلالة على التخصيص بالتكريم الشامل لهؤلاء الشباب من طرف كل فئات الشعب، ومن طرف الشاعر شخصيا، لِمَا حقّقوه في ميادين الشرف، سواء من قضى منهم نحبه أو من مازال ينتظر.

هذا،وإنّ ممّا تجدرالإشارة إليه أن هناك مجموعة لا بأس بها من المركّبات التي استعملها الشاعر في إلياذته إذا ما نظر إليها للمرة الأولى تهيّأ للناظر كأنها مجرّدة من سمة الإسناد والاسمية.

لكن إذا ما أُمعن النظر تجلّى أنها ليست إلا مركبات إسنادية اسمية ، لكن باجتماع شيء من النسخ والحذف والتحوير في نمط أحد عنصريها الأساسيين .

و لأجل كثرة هذه النماذج، ولأجل التداخل الكبير الحاصل بينها من حيث ما ذكرنا من نسخ وحذف و تحوير فقد اخترنا منها ما يأتي:

1ـ وهو في قول الشاعر:

ومن خائرين كأعجاز نخل ضمائرهم في المزاد رقيقه 2

وهو من قول الله تعالى: ﴿ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾3 ، وقوله: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ 4.

1 - إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 109.

2 ـ المرجع نفسه ،ص:28

3ـ سورة القمر،الآية:20

4ـ سورة الحآ قة ، الآية:07

5ـ تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 457.

و المراد ـ في الآيتين ـ هي الريح الصرصر التي عذّب الله بها عادا قوم النبي هود عليه السلام لمّا كفروا بآيات الله ، حيث كانت تقلعهم عن أماكنهم وترمي بهم فصاروا كأصول النخل دون رؤوس وهي منقلعة عن مغرسها 5.

إذن فالتركيب الذي في الآيتين القرآنيتين الكريمتين هو تركيب اسمي منسوخ بالحرف المشبه بالفعل ـ كأنّ ـ للدلالة على التشبيه المؤكّد ـ وذلك لاجتماع حرف التشبيه و حرف التوكيد معا ـ ، أما في البيت الشعري فقد حذف الشاعر كلا من حرف التوكيد مع الاسم الذي هو ضمير، لأجل مجرّد التشبيه، إذ التقدير: هم كأعجاز نخل، و في ذلك من الدلالة على منتهى الاحتقار لهؤلاء من طرف الشاعرما لا يخفى، خصوصا ما ضمّنه في لفظة : ـ رقيقة ـ من معنى الهزال والخواء الذي هو في الأصل مستوحى من لفظة :ـ خاوية ـ في الآية القرآنية الثانية[1].

2- وهو في قول الشاعر:

ويجعل أمر الجماعة شورى وحق انتخاب الإمامة فصلا[2]

و هو من قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[3] ، والمعنيون بالكلام هم المسلمون الذين يجب أن يتجسد فيهم مبدأ التشاور في جميع أمور الحياة و مراجعتها[4]

و النص القرآني ـ كما هو ظاهر ـ هو عبارة عن مركب اسمي مطلق ، أما المركب الذي استعمله الشاعر فهو أيضا اسمي ولكن مضاف إليه ما يقيّده، وهو فعل التحويل ـ يجعل ـ و ربما كان ذلك للدلالة على الاستمرارية بدليل استعمال المضارع في هذا الفعل، بالإضافة إلى احتمال أن يراد باستعمال الفعل المتعدي إلى أكثرمن مفعول الإشارة إلى دورابن رستم والرستميين على العموم في بناء كيان لنا مستقل، وفضلهم في إرساء نظام الدولة الإسلامية المستقلة والذي يشمل نظام الحكم و الآداب بكل أنواعها و فروعها،و شروط القضاء والشورى وانتخاب الخليفة وغير ذلك من الأمور التي غيّرت وجه البلاد وأعلت لواءها[5] .

3- وهو في قول الشاعر:

---

[1]- ينظر:شعر مفدي زكري ـ دراسة و تقويم ـ ،المرجع السابق، ص:327.

[2]- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 44

[3]- سورة الشورى، الآية: 38

[4]- ينظر:تفسيرمفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 383

[5]- ينظر:إلياذة الجزائر،المرجع نفسه، ص:44، تعليق

نوفمبر غيّرت مجرى الحياة وكنت نوفمبر مطلع فجر[1]

وهو من الآية القرآنية الكريمة التي يتحدث فيها الله عز وجل عن ليلة القدرفيقول: ﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر﴾[2] . ومعناه أننا ابتدأنا إنزال القرآن العظيم في هذه الليلة المشرفة العظيمة التي فيها كبير الفضل و الأجر[3].

و الملاحظ على النص القرآني أن تركيب ـ مطلع فجر ـ فيه قد ورد في محل الجر بحرف الغاية ـ حتىّ ـ الذي هو هنا بمعنى: ـ إلى ـ للدلالة على وقت انتهاء هذه الليلة، إضافة إلى ما يتضمنه هذا التعبير من معنى الحقيقة دون المجاز، بخلاف ما في النص الشعري، حيث جعل الشاعر من هذا التركيب خبرا للناسخ ـ كنت ـ وما يتضمنه ذلك من معنى التقييد، و المراد هنا :التقييد بفترة زمنية معينة ، وهي فترة انطلاق أول رصاصة تاريخية أعادت لهذا البلد عزّته التي أراد العدو طمسها، فكان نوفمبر بالفعل مطلع فجر، ولكن بمعناه المجازي، إذ يريد الشاعر بذلك التعبيرعن فجرالحرية والاستقلال.

فإن ورد علينا بأن في التركيب القرآني أيضا يوجد معنى التقييد لاعتبار انقضاء ليلة القدر بوقت طلوع الفجر؟

نقول: ذاك صحيح، ولكن مع تحفّظ، لاعتبار أن هذا التقييد هو ـ بالفعل ـ بوقت محدد، ولكنّ العملية تتكرر في كل عام مرة ، بخلاف ما في البيت الشعري الذي أثبت فيه الشاعر أمرا لا يتكرر، ولن يُسمح له أبدا بالتكرر.

وبالمختصر، فقد وفق الشاعر في التعبير عن هذا المعنى الجديد و ما يحمله من دلالات في هذا الإنجاز الشعري من خلال جملة من التحويرات أهمها: حذف العنصر الإسنادي الأول ـ الذي هوالمبتدأ "هي " العائد إلى ليلة القدر ـ و استبدال لفظة "نوفمبر" به لانصباب الغرض حول هذا الأخير دون غيره، بالإضافة إلى إدخال الفعل الناقص في الزمن الماضي للدلالة على الإثبات، أي: إثبات الوقائع التاريخية.

4ـ وهو في قول الشاعر:

---

[1]- المرجع نفسه، ص:69.

2- سورة القدر، الآية:05.

3- ينظر:تفسير مفردات القرآن الكريم ، المرجع نفسه، ص:595.

وكان الفرنسيس صمّا و بكما وعميانا، فأصغى لنا من تمارى[1]

فهو من آيات قرآنية كثيرة، نأخذ منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لا يبصرون، صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ [2].

و المراد بالصم الذين لا يصغون للحق[3] ، والحديث في هذه الآية الكريمة هوحول " جماعة من المنافقين كانوا في عصر التنزيل قد بلغ من دعارتهم و تمردهم في النفاق و فساد الأخلاق أن كانوا يظهرون بوجهين، و يتكلمون بلسانين....ففضح الله بهتانهم و أوعدهم شديد العقاب"[4] .

والملاحظ على تركيب: "صم بكم عمي" في هذه الآية الكريمة ـ والذي هو في الأصل تركيب عطفي لاعتبارالمعنى ـ أنه واقع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هم،و المراد :" المنافقون" كما سبق الذكر، إلاّ أن الشاعر قد غيّربعض الشيء في البنية الأساسية لهذا النص .

صحيح أنه قد حافظ على ذات التركيب الاسمي، ولكن بتغيير المسند إليه الذي كان في النص الأصلي ضميرا مستترا إلى لفظة " الفرنسيس" و ما يفيده هذا التغيير من معنى التخصيص، إضافة إلى إدخال الناسخ المفيد التقييد الزمني كما ذكرنا وهو الفعل "كان" الدال على الماضي، حيث يثبت لنا الشاعرمن خلال إنجازه الشعري هذا أنه "قد يتغافل الإنسان عن الحق و يتعامى عنه، و يصم آذانه عن الاستماع له تكبرا وتعاليا، فتطمس بصيرته لمعرفة الحقيقة،[و يقصد بذلك الفرنسيين الذين لم تلبث حالتهم أن تغيرت]لما قضّ مضجع فرنسا بنقل العمليات الفدائية إلى ترابها، والقيام بتخريب المؤسسات الاستراتيجية، فاستمع إلينا من كان به ـ قبل ـ شك في كفاحنا، و من كان يجادل و يناقش في حقوقنا "[5] .

إذن فقد وظف الشاعر هذا الفعل الناقص توظيفا موفقا، حيث قصد به التوقيت الذي ينتهي فيه الوصف بهذا الصمم و البكم والعمي بانتهاء فترة سياسة الاستغفال التي كانت فرنسا تنتهجها مع

---

[1]- إلياذة الجزائر، المرجع السابق ، ص:80.

[2]- سورة البقرة،الآيتان:17و18.

[3]- ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق،ج: 01، ص:683.

[4]ـ تفسير المراغي،المرجع السابق ، ج:01 ، ص:56

[5]ـ أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص: 183

أبنائها[1] ، أضف إلى ذلك التغيير الذي تحدثنا عنه ، و الذي كان على مستوى المسند إليه " المبتدأ "، و الذي كان الغرض منه ـ كما ذكرنا ـ التخصيص .

5- وهو في قول الشاعر:

غرابيب سود، تجيد النعيق، وتختال في مشيها كالزرافه[2].

وهو من قول الله تعالى : ﴿ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود﴾[3].

و قد ذكر المفسرون أقوالا مختلفة عن هذه الغرابيب، فمنهم من قال بأنها جمع مفرده غراب ، و قد وصفها الله بالسواد ـ على الرغم من أنّ خلقتها كذلك ـ للتوكيد[4] ، ومنهم من قال بأنها الصخور السود[5] ، ورأي آخر يفسرها بأنها الجبال المتناهية في السواد كالأغربة[6] .

ومهما يكن من أمر الموصوف فاللفتة الدلالية هنا إنما تكمن في الوصف بالسواد والتأكيدعليه، وهو بالتحديد ما أراده الشاعر بإدراجه لهذا المركب الوصفي في بيته الشعري، هذا الذي أراد من خلاله إثبات حقيقة أن هؤلاء الناعقين قد" حرموا أنفسهم أو حرموا من ثقافتهم الأصيلة ويدعون، كشأن صاحب الجهل المركب، أنها لا شيء، أو أولئك المعقدون ممّن تعليمهم عربي إسلامي و لكنهم تعقدوا،ونسمعهم يتكلمون عن تقدمية عوجاء هي عندهم عقدة أكثر منها عقيدة، و يلوكون بعض الشعارات الجوفاء التي لا يدركون مغزاها العميق "[7].

و اللافت للنظر أن هذا المركب هو في نصه الأصلي يمثل المسند إليه في التركيب الاسمي الذي حذف منه المسند و بقي متعلقاه ـ طبعا بمراعاة العطف بالواو و الذي يوجب في غالبه مطلق

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه.

[2]- إلياذة الجزائر ، المرجع السابق، ص:101.

[3]- سورة فاطر، الآية:27.

[4]- ينظر: القاموس القويم للقرآن الكريم، المرجع السابق، ج: 02، ص: 50.

[5]- ينظر: معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، المرجع السابق، ص: 172.

[6]- ينظر:تفسير مفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 304.

[7]- إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص: 101، التعليق.

الجمع أي: التوحد في الحكم فيكون المعنى : ومن الجبال غرابيب سود[1] بتقدير خبر محذوف هو: كائنة أو موجودة ، أي: وغرابيب سود كائنة من الجبال ـ ، إلا أنه في النص الشعري مختلف، إذ يمثل ذاك المركب المسند لاعتبارأن الحذف هنا كان من نصيب المسند إليه وهو الضمير المستتر العائد إلى أولئك الحمقى ممن دأبهم التقليد الأعمى .

كما أن في حذف هذا المسند إليه "المبتدأ" و الإبقاء على المسند "الخبر"أمران:

ـ أحدهما متمثل في الاحتقارلهؤلاء ، وذلك من خلال الترفع عن ذكرهم.

ـ و الآخر في محاولة وصمهم بهذه الصفة العار، حتى لكأنها صارت علما لهم.

و لا يخفى ما في هذا التلاعب اللفظي والتركيبي من روعة فنية تنم عن الفهم الجيد للنصوص القرآنية من جهة، و من جهة أخرى عن الكفاءة اللغوية والجرأة النادرة في التصرف في أطراف الكلام، والتي قلما تجد لها نظيرا عند كثير من الشعراء.

6- وهو في قول الشاعر:

منارات علم بعرض البلاد ففي كل فج عميق منارة[2]

وهو من الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها المولى عز و جل: ﴿وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾[3] .

و معناه : ناد في الناس و أعلمهم بوجوب الحج فسيأتون من كل طريق بعيد لأجل ذلك[4].

و الملاحظ أن تركيب "كل فج عميق" قد ورد في كلا النصين في محل الجرو بحرف الجر تحديدا ، لكن الأمر يختلف من زاويتين:

ـ إحداهما أن حرف الجر في النص القرآني يختلف ـ من حيث المعنى ـ عنه في النص الشعري،

---

[1]- بهذا يرجح الرأي القائل أن المراد بالغرابيب هي الجبال.

[2]- إلياذة الجزائر، المرجع السابق ، ص: 113.

[3]- سورة الحج، الآية:27

[4]- ينظر: تفسيرمفردات القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 200.

فإذا كان في الأول دالا على الابتداء، فهو في الثاني للدلالة على الظرفية، و في ذلك إشارة ذكية من الشاعر إلى الاهتمام الذي توليه الجزائرللعلماء و العلم و دورالعلم، فهي ـ كما المساجد ـ منتشرة في كامل ربوع البلاد.

ـ ثانيهما أن هذا التركيب قد وقعت لفظتاه في النص القرآني متعلقتين بالفعل "يأتين" لمجرد الدلالة التي ذكرنا وهي الابتداء، أما في النص الشعري فالأمر يختلف تماما حيث قد وقعت لفظتا هذا التركيب متعلقتين بمقدم خبر محذوف، و إن شئت فهما ـ على رأي الكوفيين ـ الخبر بعينه، ما يعني أن فكرة الحكم منصبة في هذين اللفظين ، بمعنى أنهما بمثابة العمدة التي لا يمكن الاستغناء عنها، بخلاف ما في النص الأول الذي يمكن اعتبارهما فيه ـ من الناحية النحوية المجردة ـ فضلة يمكن التخلي عنهما .

إذن فالذي نخلص إليه أن الشاعر قد أضاف في هذا الشاهد ما أضاف و حذف ما حذف و غير من الناحية النحوية التركيبية ما غيرو قدم و أخرلأجل غرض دلالي يكاد يكون واحدا من أول الإلياذة إلى آخرها، ألا وهو منتهى الافتخار بهذا البلد و الاعتزاز بالانتساب إليه ، و الدعوة إلى المحافظة عليه.

بهذا نأتي إلى نهاية الفصل الرابع و الأخير من هذا البحث، و الذي أوّل ما يلاحظ عليه ندرة الشواهد (شواهد التراكيب الاسمية)، ولولا بعض الدّواعي المنهجية المتمثلة أساسا في الفروق الجوهرية بين المركبات الفعلية والمركبات الاسمية لألحقناه بالفصل السابق لوجود قواسم مشتركة بينهما فيما يتعلق بالطرائق التي تدرس بها كلّ من الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

ورغم ندرة هذه الشواهد فقد لوحظ إجراء جملة من التغييرات عليها مقارنة بما هو في نصّها الأصلي تجلت في حذف كلمات، و زيادة أخرى، و تغييرعلى مستوى إعراب بعضها، بالإضافة إلى تقديم كلمات و تأخير أخرى.

ـ فأما الحذف و الزيادة فقد أراد الشاعربهما جملة من الدلالات كالإثبات، والنفي، والاستنكار، و الإطلاق و التعميم، و الكثرة، وعموم الجنس.

وأما التغييرات النّحوية فقد تمخضت عن جملة من الأشياء، منها الدلالة على الحركية، والابتداء، والتوكيد، والثبوت، والقصر، والحيطة ، وأحيانا الافتخارأوالاستصغار.

ـ وأما ما قدم و أخر فإما للدّلالة على أهمية المقدم، أو للتشويق إلى المتأخر،أو للتّخصيص.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إذن و بعد عرض هذه النماذج لألفاظ من القاموس القرآني في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا نأتي بعون الله و توفيقه إلى نهاية هذا البحث الذي أمكننا الخروج منه بالآتي:

1- من خلال قراءتنا الدلالية لهذه الألفاظ من القاموس القرآنى في الإلياذة يمكن القول - بصفة عامة - بأن الشاعر قد عاد بكثير منها إلى غابر أزمنتها (أي: إلى عصر ما قبل مجيء الإسلام و صبغ هذه الألفاظ بالصبغة القرآنية)، وذلك من حيث المعنى المعجمي اللغوي العربي لها. أما من حيث المعنى المعجمي(الصّرفي و النّحوي) فقد أبدع فيها، و تفنن في دلالات أبنيتها و تراكيبها إبداعه في الإلياذة وموضوعاتها الكثيرة.

2- توظيف جل الألفاظ و الجمل (سواء التي حوّر فيها أو التي لم يبدّل) لغير ما وضعت له في الأساس (المعجم القرآني)، وذلك بنسبة عالية جدا، ومردّ ذلك هو التنويع في الدلالات الذي هو نتيجة طبيعية لتنوع الموضوعات والأغراض في هذه المدونة.

3- التنوع في موضوعات الإلياذة، و التلون في دلالات ألفاظها و تراكيبها القرآنية أنتج - عن قصد أو عن غيره - ما يُسمى بالاشتراك الدلالي (سواء على مستوى الألفاظ المفردة أو على مستوى التراكيب الإسنادية)، ومرادنا بالاشتراك : من زاوية دلالات البنى والتراكيب، و الملاحظ أنّ هذا الاشتراك قد كان على مستويين:

- مستوى الألفاظ ، و مثاله الدلالة بالبنية الصرفية الواحدة على بنى صرفية متعددة، كالدلالة بالذات على الذات وعلى المعنى وعلى المشتق ، و كالدلالة بالماضي على الماضي وعلى المضارع وعلى المستقبل، و غير ذلك.

- مستوى التراكيب، و مثاله الدلالة بالحذف على الشمول و على الإطلاق و على الإثبات، و بالزيادة على الكثرة و على التعميم و على التخصيص، و بالرفع على الرفع و على الجر، و بالتقديم على الأهمية و على التخصيص، و غير ذلك .

وكما قد أنتج ذلك التنوع في الموضوعات والتلون في الدلالات الاشتراك الدلالي، فقد أنتج أيضا ما يسمى بالترادف الدلالي، و قد كان بدوره على مستويين:

- مستوى الألفاظ المفردة، و مثاله: الدلالة بمختلف البنى الصرفية على ذات الأمر، كالدلالة على العهد بالتعريف (بالألف و اللام) و بالتعريف (بالإضافة).

و كالدلالة على التخصيص بالإضافة و بالتنكير، و كالدلالة على الجنس الشامل بالتعريف و بالتنكير. و كالدلالة على الإفراد بتجريد اللفظ من علامتَي التثنية و الجمع، و بتاء التأنيث في آخره. و غير ذلك .

- مستوى التراكيب، و مثاله: الدلالة على التعميم بالحذف و بالزيادة. و الدلالة على التخصيص بالحذف و بالزيادة و بالإضافة و بالجر بالحرف. وكذا الدلالة على التخصيص بكل ذلك و بالتقديم .

4- التمكن الجيد من الأخذ بزمام اللغة العربية فهما و ممارسة و إبداعا تجلى ـ بشكل لافت ـ في تفنّن الشاعر في علمي الصرف و النحو، و ذلك من خلال اجتهاده في وضع ما قد نسَمّيه ب(معجم صرفي)، و(آخر نحوي)خاصين بالإلياذة لاعتبار الخروج – أحيانا – عن قواعد الصّرف و النّحوالمعروفة من خلال توظيفه للألفاظ والجمل القرآنية وإرادة غير ما وضعت له، سواء من حيث البنى أو من حيث التراكيب، فضلا عن الجانب الدلالي المعجمي القرآني.

5- كثرة استعمال الشاعر للألفاظ القرآنية ليس دليلا كافيا على حسن الإسلام و قوة الإيمان، وإنما الإقرار يكون بالتأثر الشكلي و الانجذاب الفطري بسحر هذه الألفاظ . كما أن هذا الكلام لا يعدّ قدحا في حق الشاعر، فقد يفهم منه الإشارة إلى بعض المساوئ في توظيفه لهذه الألفاظ، فإن اقتضى الأمرالحديث عن مبالغاته اللاّمعقولة في كثير من المواطن، فعزاؤه ـ في ذلك ـ أن يُلمح في كثير من تلك الاستعمالات ما يَنمّ عن صدق نيته الذي كان من أبرز أسباب نبوغه في ميدان الشعر، وعلى مستوى الإلياذة بشكل ملموس.

6- من خلال المزج بين الثوابت الفعلية و الثوابت الاسمية (سواء المفرد منهما أو المركب)، يمكن القول بأن الشاعر قد تمكن من الجمع بين حركية الإلياذة وثبوت الاعتقاد و تراثية الفكرالذي منه انبثقت أفكارها، ولأجل فكرة الرّسالية وضعت أبياتها، أما عن تغليب الثوابت الفعلية فلغرض التحميس على العمل الدؤوب للحفاظ على المبادئ والمكتسبات في آن و احد.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية الكريمة	رقمها	السورة	الصفحة
- " هل جزاء الاحسان ..... "	60	الرحمن	09
- "ويحي من حيّ ..... "	42	الأنفال	31
- " وهو الذي ينزل الغيث ..... "	28	الشورى	31
- " حصرت صدورهم ..... "	90	النساء	31
- " فرح المخلفون ..... "	81	التوبة	32
- " و أنك لاتظمأ ..... "	119	طه	32
- " وعسى أن تكرهوا شيئا ..... "	216	البقرة	32
- " فلن أبرح ..... "	80	يوسف	32
- " يكاد البرق ..... "	20	البقرة	32
- " و قل جاء الحق ..... "	81	الإسراء	34
- " بل نقذف بالحق ..... "	18	الأنبياء	34
- " ألم ترأنهم ..... "	225	الشعراء	39
- " أذن للذين يقاتلون ..... "	39	الحج	43
- " وإذ تأذّن ربكم ..... "	07	ابراهيم	43
- " اذكروا نعمتي ..... "	50	البقرة	48
- " الله يحكم بينكم ..... "	69	الحج	49
- " فلم تقتلون ..... "	91	البقرة	49
- " ولن ترضى ..... "	120	البقرة	63
- " السّماء منفطر ..... "	18	النمل	65
- " وجمع الشمس ..... "	09	القيامة	66
- " وأعتدنا لمن كذّب ..... "	11	الفرقان	66
- " وأحيينا به ..... "	11	ق	66
- " وتعاونوا ..... "	02	المائدة	71
- " و جعلناكم شعوبا ..... "	13	الحجرات	71
- " فأوحى إليهم ..... "	11	مريم	85
- " وأوحينا إلى أم موسى ..... "	07	القصص	85
- " وأوحى ربّك ..... "	68	النحل	85
- " شياطين الإنس ..... "	112	الأنعام	85
- "يا أيها النبيّ جاهد ..... "	09	التحريم	87
- " ولونشاء لمسخناهم ..... "	67	يس	89
- " و لا تقولوا لما تصف ..... "	116	النحل	90
- " فهل ترى لهم ..... "	08	الحاقة	95
- " فهو في عيشة ..... "	21	الحاقة	95
- لا عاصم اليوم ..... "	43	هود	95
- " خلق من ماء ..... "	06	الطارق	95

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- " و إن من شيء إلا ..... " 44 الإسراء 96
- " سخط الله ..... " 80 المائدة 97
- " ربكم أعلم بكم ..... " 54 الإسراء 101
- " و هو الذي يبدأ الخلق ..... " 27 الروم 101
- " لو يطيعكم ..... " 07 الحجرات 103
- " و لا تنابزوا ..... " 11 الحجرات 103
- " قالت الأعراب آمنا ..... " 14 الحجرات 103
- " أولئك هم الراشدون ..... " 07 الحجرات 103
- " و لا يظلم ربك أحدا ..... " 49 الكهف 104
- " هل تعلم له سميّا ..... " 65 مريم 104
- " و إن أحد من المشركين ..... " 06 التوبة 104
- " و لا يلتفت منكم أحد ..... " 65 الحجر 104
- " علمت نفس مّا أحضرت..... " 14 التكوير 104
- " لهم مغفرة و أجر عظيم ..... " 03 الحجرات 104
- " و لو أنهم صبروا ..... " 05 الحجرات 104
- " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا ..... " 12 الحجرات 104
- " يا أيها الناس إنا خلقناكم ..... " 13 الحجرات 105
- " و جعلنا من الماء ..... " 30 الأنبياء 105
- " و خلق الإنسان ضعيفا ..... " 28 النساء 105
- " فعصى فرعون الرسول ..... " 16 المزمل 105
- " إذ هما في الغار ..... " 40 التوبة 105
- " اليوم أكملت لكم ..... " 03 المائدة 106
- "ياصاحبيّ السجن ..... " 39 يوسف 106
- " تربص أربعة أشهر ..... " 226 البقرة 106
- " قل لا تمنوا علي إسلامكم ..... " 17 الحجرات 111
- " يا أيها الذين آمنوا اتقوا ..... " 102 آل عمران 120
- " فأقيموا الصلاة ..... " 78 الحجر 120
- " و إن مّن شيء إلا ..... " 44 الإسراء 123
- " شرع لكم من الدين ..... " 13 الشورى 124
- " و أن هذا صراطي ..... " 153 الأنعام 124
- " إن تتوبا إلى الله ..... " 04 التحريم 125
- " و الذين يكنزون الذهب ..... " 34 التوبة 126
- " و إذا رأوا تجارة ..... " 11 الجمعة 126
- " ثم نخرجكم طفلا ..... " 05 الحج 126
- " هؤلاء ضيفي ..... " 68 الحجر 126
- " ما كان للمشركين أن يعمروا ..... " 17 التوبة 126
- " إن في خلق السماوات و الأرض ..... " 19 آل عمران 127
- " و في الأرض آيات للموقنين ..... " 20 الذاريات 128
- " قل إني أمرت أن أعبد ..... " 11 الزمر 128

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- " قل الله أعبد ..... " 14 الزمر 128
- " فتولى عنهم ..... " 79 الأعراف 131
- " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا ..... " 01 الحجرات 140
- "يحيي ويميت ....." 156 آل عمران 140
- " قل هل يستوي الذين يعلمون ..... " 09 الزمر 140
- " إن الذين ينادونك ..... " 04 الحجرات 141
- "يوم تبلى السرائر..... " 09 الطارق 142
- " إذا زلزلت الأرض زلزالها ..... " 01 الزلزلة 142
- " ويطعمون الطعام ..... " 08 الإنسان 143
- " فألقى موسى عصاه ..... " 45 الشعراء 144
- " أتى أمرالله ..... " 01 النحل 144
- " و تمت كلمات ربك ..... " 115 الأنعام 145
- " وتمت كلمت ربك ..... " 137 الأعراف 145
- " حتى إذا جاء أمرنا ..... " 40 هود 149
- " إن في ذلك لذكرى ..... " 37 ق 150
- " فإنها لا تعمى الأبصار ....." 46 الحج 151
- و قال فرعون يا هامان ..... " 36 غافر 152
- " و شروه بثمن بخس ..... " 20 يوسف 153
- " إنما يريد الله ليذهب ..... " 33 الأحزاب 153
- " الم تر أن الله يزجي ....." 43 النور 154
- " فسخرنا له الريح ....." 36 ص 155
- " و في عاد إذ ارسلنا ..... " 41 الذاريات 155
- " و أرسلنا الرياح لواقح ..... " 22 الحجر 155
- " و لا تعثوا في الأرض ..... " 60 البقرة 156
- " فلن أبرح الأرض ..... " 80 يوسف 158
- "و الشعراء يتّبعهم الغاوون ....." 224 الشعراء 158
- " إلاّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات ....." 227 الشعراء 159
- " ولا تعثوا في الأرض مفسدين ..... " 60 البقرة 159
- " منّاع للخير معتد أثيم ..... " 12 القلم 161
- " زيّن للناس حبّ الشهوات ..... " 14 آل عمران 161
- فاغسلوا وجوهكم ..... " 06 المائدة 162
- " قال أراغب أنت عن آلهتي ..... " 46 مريم 162
- إياك نعبد و إياك نستعين ..... " 05 الفاتحة 163
- " لا فيها غول ....." 47 الصافات 163
- " والشعراء يتّبعهم الغاوون ..... " 224 الشعراء 164
- " ولا تجهر بصلاتك ..... " 110 الإسراء 165
- " فاصدع بما تؤمر ..... " 94 الحجر 166
- إنما يريد الله ليذهب عنكم ..... " 33 الأحزاب 167
- " ولا تصعّر خدّك للنّاس ..... " 18 لقمان 168

- " ألم تر كيف فعل ربك بعاد ....."	06	الفجر	173
- "و أنّ المساجد لله ..... "	18	الجن	175
- " إنا عرضنا الأمانة ..... "	72	الأحزاب	178
- " ثمّ قست قلوبكم ..... "	74	البقرة	180
- " وعد الله المؤمنين ..... "	72	التوبة	182
- " فلمّا تجلى ربه للجبل ..... "	143	الأعراف	183
- " وجوه يومئذ ناضرة ....."	22	القيامة	186
- " وسلام عليه ....."	15	مريم	188
- " سلام على ابراهيم ..... "	109	الصافات	188
- " سلام على نوح ....."	79	الصافات	189
- " سلام على الياسين ..... "	130	الصافات	189
- " سلام عليكم ..... "	24	الرعد	189
- " وإنّ عليك لعنتي ....."	78	ص	189
- "و إنّ عليك اللعنة ....."	35	الحجر	189
- " عليهم دائرة السوء ....."	06	الفتح	189
- "فعليهم غضب ..... "	106	النحل	189
- " تنزع الناس....."	20	القمر	191
- "كأنهم أعجاز نخل خاوية....."	07	الحآقة	191
- "وأمرهم شورى بينهم....."	38	الشورى	192
- "سلام هي حتى....."	05	القدر	192
- "مثلهم كمثل الذي استوقد....."	17و18	البقرة	193
- "ألم تر أن الله أنزل....."	27	فاطر	194
- "وأذّن في الناس ....."	27	الحج	196

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

- **الكتب:**

1- أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث: محمد ناصر بوحجام، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1992م.

2- أدب المقاومة الوطنية في الجزائر ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر (1954م) ، 2003م.

3- أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري ، تقديم وشرح وتعليق : محمد أحمد قاسم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1426هـ / 2005م.

4- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، ط: 01، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1431هـ/2010م.

5- أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم، محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية بالأزهر، القاهرة، مصر، 1983م.

6-أسماء الله الحسنى، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد عيسى، ط: 01، دار الغد الجديد ، القاهرة 1429هـ / 2008م.

7- الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي (849-911هـ / 1445-1505م)، تحقيق: عبد الإله نبهان.

8- الاشتقاق ودوره في نمو اللغة، فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

9- البنية اللغوية لبردة البوصيري، رابح بوحوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

10- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، ط : 02، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، 1407هـ / 1987م.

11- التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية (بتونس) – المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) ، 1984م .

12- التحليل الدلالي – إجراءاته ومناهجه، كريم زكي حسام الدين، دار غريب،القاهرة، مصر.

13- التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، ترجمة : سعيد حسن بحيري، ط: 02 ، مؤسسة المختار، القاهرة ، مصر، 1431هـ /2010 م.

14- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (م . 656هـ) ، ضبط وتعليق : مصطفى محمد عمارة ، ط: 02، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1373هـ / 1954م.

15- التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، ط: 04، دار الشروق، بيروت، لبنان،1400هـ/1980 م.

16- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل ، محمود أحمد نحلة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مطبعة العمرانية للأونست،1999 م.

17- التفسير الكبير، محمد الرازي فخر الدين ، ط: 03، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1405هـ /1985م.

18- الثابت اللساني في إلياذة الجزائر، بين المنظور الوظيفي و الاتجاه الأسلوبي، خليفة بوجادي، دار هومة ، العلمة ، الجزائر،2001م.

19- الجملة الاسمية، علي أبو المكارم، ط: 01، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1428هـ / 2007م.

20- الجملة العربية، محمد إبراهيم عبادة، ط: 04، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1428هـ / 2008م.

21- الجملة الفعلية، علي أبو المكارم، ط: 01، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، 1428هـ / 2007م.

22- الخصائص، أبو الفتح عثمان (ابن جني)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

23- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين أبو العباس، بن يوسف بن محمد بن إبراهيم، ط: 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414 هـ / 1994م.

24- الدلالات وأثرها في تفسير القرآن الكريم ، محمد سالم أبو عاصي ط: 01 ، دار علي للطباعة ، 1418هـ /1997 م.

25- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003م.

26- الدلالة والتركيب، محمد أحمد خضير، دار الزهراء، القاهرة، مصر، 1414هـ /1993م.
27- الرسل والرسالات، عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس ، دار السلام، الأردن، 1429هـ / 2008م.
28- الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)، ط: 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م.
29- الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945 – 1962)، عمر بوقرورة، مطابع قرفي، باتنة، الجزائر .
30- الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان.
31- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
32- ألفية ابن مالك في النحو والصرف ، محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، 1430هـ / 2009م .
33- القاموس القويم للقرآن الكريم ، إبراهيم أحمد عبد الفتاح، 1404هـ / 1983م .
34- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ /2008م.
35 - القواعد الأساسية للغة العربية، سيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
36- الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، ط: 03 مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1408 هـ / 1988 م.
37- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق و تعليق محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، مصر.
38- اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب الشعري، رابح بوحوش، دار العلوم، عنابة، الجزائر.
39- اللهب المقدس، مفدي زكريا، ط: 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.
40- المزهر في علوم اللغة و آدابها، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد عبد الرحيم، ط: 01، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع (1425 هـ - 1426هـ / 2005 م) .
41- المستقصى في معاني الأدوات النّحوية، مسعد زياد، ط: 01، الصحوة و التوزيع ، القاهرة، مصر ، 1430هـ / 2009م.

42- المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر ، مراجعة ، إيميل يعقوب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ / 1997 م.
43- النحو العربي – أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه – ، محمد إبراهيم عبادة ، ط : 01، مكتبة الآداب، القاهرة ، مصر ، 1430هـ / 2009م.
44- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، ط: 01، دار الشروق القاهرة ، مصر، 1420هـ / 2000م.
45- إلياذة الجزائر، مفدي زكريا، ط: 02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م.
46- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري المصري، م: 761 هـ ، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
47- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الفكر .
48- بهجة الطرف في فن الصرف، حسن رمضان فحلة ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر.
49- تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، بلحيا الطاهر، م ، و، ك، الجزائر، 1989م.
50- تدميث التذكير في التأنيث والتذكير، منظومة الشيخ إبراهيم عمر الجعبري ، شرح وتحقيق محمد عامر أحمد حسن، ط: 01، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، 1411هـ / 1991م.
51- تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكربن فرح الأنصاري القرطبي(م671هـ) ، ط: 04، مكتبة رحاب، الجزائر، 1410هـ /1990م.
52- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط: 03، دار الفكر ، 1394هـ / 1997م.
53- تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م.
54- تفسير مفردات القرآن الكريم ، كمال سليماني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر .
55- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1405هـ / 1984م.
56- جدل اللفظ والمعنى، مهدي أسعد عرار، ط: 01، دار وائل، عمان، الأردن ، 2002م.
57- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ضبط وتشكيل وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر ، بيروت، لبنان، 1432هـ /2010م.

58- خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني – محمد أبو موسى، ط: 03، مكتبة وهبة ، القاهرة، مصر.

59- دروس في التركيب، محمد الشكيلي، ط : 01 ، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1426هـ /2005م.

60- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تقديم علي أبو زقية، موفم للنشر، 1991م.

61- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : الألوسي الغدادي.

62- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، تحقيق وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد علي، ط: 01، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، 1420هـ / 1999م.

63- شرح الآجرومية، أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ابن آجروم)، دار البصيرة – الإسكندرية – مصر .

64- شرح المفصل، يعيش(ابن علي بن يعيش النحوي ـ م : 643هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

65- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمان البرقوقي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1422هـ /2002م.

66- شرح شافية ابن الحاجب ،رضا الدين محمد بن الحسن الأسترآباذي النحوي ، تحقيق وضبط وشرح، محمد نور الحسن / محمد الزقراف / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1402 هـ / 1982م.

67- شعر الثورة عند مفدي زكرياء – دراسة فنية تحليلية – يحيى الشيخ صالح ، ط:01، قسنطينة ، الجزائر ، 1407هـ / 1987م.

68- شعر مفدي زكرياء – دراسة وتقويم – حواس بري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 11. 1994م.

69- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط: 04، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1981م .

70- علم الدّلالة ـ أصوله و مباحثه في التراث العربي ـ ، منقور عبد الجليل، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2010م .

71- علم الدلالة العربي، فايز الدّاية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 01-88، دار الفكر 4.09.1973 م.
72- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط: 02، عالم الكتب، مصر، 1988م.
73- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974م.
74- فقه السيرة النّبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، ط: 10، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان/ دار الفكر دمشق، سوريا، 1423هـ/ 2003م.
75- في اللسانيات العربية المعاصرة، خالد إسماعيل حسّان مكتبة الآداب ، القاهرة 1429 هـ / 2008م .
76- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط:10، دار الشروق (بيروت – لبنان) (القاهرة – مصر)، 1402هـ / 1982 م.
77- قبس من نور القرآن الكريم، محمد علي الصابوني،ط: 02، مكتبة رحاب،الجزائر،1407هـ/ 1987م .
78- كتاب فقه اللّغة و سرّ العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق و مراجعة، فايز محمد و إميل يعقوب، ط: 04، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، 1420هـ / 1999 م .
79- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ابن منظور) الأفريقي المصري، ط: 01، دار الفكر، بيروت، لبنان (1428 - 1429 هـ / 2008 م)
80- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط: 01، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، 1406 هـ / 1986م.
81- مختصر علم أصول الفقه الإسلامي، محمد محدة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.
82-مصطلحات الدّلالة العربية، جاسم محمد عبد العبوّد، ط: 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 2007م
83- معاني القرآن للأخفش ، عبد الأمير محمد أمين الورد، ط: 01، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003 م.
84- معاني القرآن، أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي.
85- معجم الألفاظ القرآنية و معانيها، موسى بن محمد بن موسى بن يوسف القليبي، تحقيق محمد داود، ط: 01 ، مكتبة الآداب القاهرة ، مصر ،1423هـ / 2002 م

86- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات و إحياء التراث، 1409هـ / 1989م.

87- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب،جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام، تحقيق صلاح عبد العزيز علي السيد، ط:01، دار السلام، القاهرة ، مصر، 1424 هـ / 2004 م.

88- مفدي زكريا – شاعر النضال و الثورة – ، محمد ناصر، ط: 02، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1987م.

89- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمان بن خلدون ، دار الهيثم، القاهرة، مصر، 1426هـ / 2005م.

- **الدّوريات:**

1- مجلة الأصالة، الجزائر.

2- مجلة الثقافة، الجزائر.

3- مجلة الحضارة الإسلامية، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر.

4- مجلة الحياة، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.

5- مجلة القبس، الجزائر.

6- مجلة كلية الآداب و العلوم ، مطبعة المعارف الجديدة ،فاس، المغرب.

- **المواقع:**

1ـ الظاهرة الشعرية العربية – الحضور و الغياب- ، نبض التاريخ، نبض الإبداع، إلياذة الجزائر – قراءة دلالية – ، حسين خمري 2009/03/14 م ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، سوريا، 2001 م ، www.awu-DAM-ORG/BOOK

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – د
مدخل : عن الإلياذة و صاحبها	1 – 28
الفصل الأول: البنى الصرفية للأفعال المفردة ـ دراسة دلالية ـ	29 – 74
تمهيد:	30
المبحث الأول: بين التجرد و الزيادة	30 -47
المبحث الثاني: بين الأبنية و الدلالات الزمانية	47 – 64
المبحث الثالث: بين التذكير و التأنيث	64 – 67
المبحث الرابع: بين الإفراد و الجمع	67 – 73
خلاصة:	73 – 74
الفصل الثاني: البنى الصّرفية للأسماءالمفردة ـ دراسة دلالية ـ	75 – 134
تمهيد:	76
المبحث الأول: بين الجمود و الاشتقاق	77 – 101
المبحث الثاني: بين التعريف و التنكير	102 – 119
المبحث الثالث: بين التذكير و التأنيث	120 – 124
المبحث الرابع: بين الإفراد و الجمع	125 – 133
خلاصة	133 – 134
الفصل الثالث: المركبات الإسنادية الفعلية ـ دراسة دلالية ـ	135 – 169
تمهيد:	136 – 138
المبحث الأول: بين الحذف و الزيادة	139 – 147
المبحث الثاني: المواقع النحوية و معانيها	147 – 160
المبحث الثالث: بين التقديم و التأخير	160 – 168
خلاصة:	168 – 169
الفصل الرابع: المركبات الإسنادية الاسمية ـ دراسة دلالية ـ.....	170 – 197

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد: 171– 172
المبحث الأول: بين الحذف و الزيادة ..... 173 – 177
المبحث الثاني: المواقع النحوية و معانيها ..... 178 – 185
المبحث الثالث: بين التقديم و التأخير ..... 186 – 196
خلاصة: 197
الخاتمة: ..... 198 – 200
الفهارس:
ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة: ..... 201 – 204
ـ فهرس المراجع : ..... 205 – 211
ـ فهرس الموضوعات: ..... 212 – 213

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية